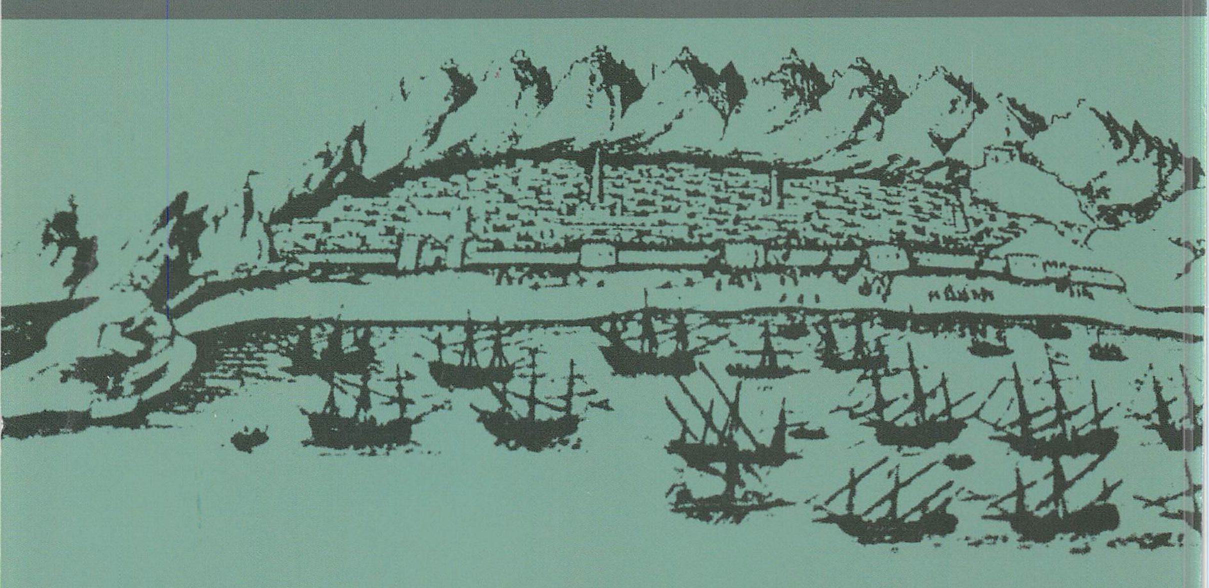


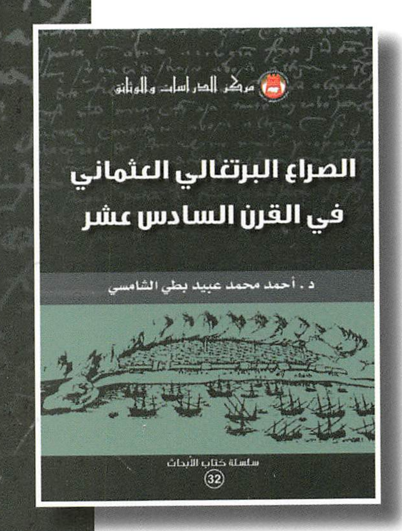
الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر

د . أحمد محمد عبيد بطي الشامسي



سلسلة كتاب الأبحاث

32



هذا الكتاب

واحد من البحوث التي تساهم في الكشف عن ملابسات م
تاريخية مهمة ، والتي تصور الصراع البرتغالي العثماني في ا
السادس عشر ، حيث واكب ذلك أمور كثيرة ، وأحداث مت
ومتلاحقة ، وصراعات ومنافسات دولية ، وتاريخ عصفت به أه
حجبت الرؤيا السليمة عن أنظار المؤرخين .

والكتاب يستعرض بدء ظهور البرتغالي على المسرح السياس
المحيط الهندي في القرن السادس عشر ، حيث مخرت اساط
البحار متجهة إلى بلاد الشرق ، فصارت لهم الكلمة العليا ، وأص
أضرارهم الفادحة موانئ شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا
زاد في محنة هذه الديار.

يجيء هذا الكتاب بوصفه خطوة رائدة في كشف الغموض ، و
الحقيقة لتلك الفترة العصيبة .



د . أحمد محمد عبيد بطي الشامسي

- ليسانس آداب تخصص – تاريخ حديث – جامعة بيروت العربية (1979م).
- ماجستير آداب – تاريخ – جامعة القاهرة (1989م).
- دكتوراة فلسفة – تاريخ حديث - جامعة القاهرة (1996م).
- رئيس قسم شؤون الموظفين (1974 – 1977 م).
- نائب مدير منطقة رأس الخيمة التعليمية (1977 – 1978م).
- مدير منطقة رأس الخيمة التعليمية بالوكالة (1978 - 1979م)
- مستشار ثقافي بالقاهرة (1980 - 1985م).
- مدير إدارة تعليم الكبار بوزارة التربية والتعليم (1985-1987م).
- مدير إدارة التعليم المستمر بوزارة التربية والتعليم (1999 – 2003م)
- موجه إداري بمنطقة رأس الخيمة التعليمية (2003 – حتى تاريخه).
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
- محاضر بجامعة الإمارات العربية المتحدة.
- محاضر بجامعة الإتحاد.

له عدة مؤلفات أهمها:

- الصراع البرتغالي العثماني في شرق أفريقيا في القرن السادس عشر (1991).
- الهنود في كينيا البريطانية خلال الفترة (1886 - 1964م).

له عدة أبحاث نالت على جوائز علمية.


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

موافقة المجلس الوطني للإعلام رقم : 1/100122/34147 - في 2013/05/07 م

رقم التصنيف : ش.أ.ص - 0953 ، 953

الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر

تأليف : د. أحمد محمد عبيد بطي الشامسي

إصدار مركز الدراسات والوثائق

رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

مقاس : 17 / 24 عدد الصفحات 390

تصميم الغلاف الأستاذ : لؤي أحمد كحلة



مركز الدراسات والوثائق

ص.ب : 1559 - رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 2331111 - 07 - 00971 / فاكس: 2331000 - 07 - 00971

DOCUMENTARIES & STUDIES CENTRE

Tel.: 00971-7-2331111 / Fax: 00971-7-2331000
P.O.Box : 1559 , Ras Al Khaimah, U.A.E
E.mail: dscgrak1@emirates.net.ae

www.dsc.rak.ae



الصراع البرتغالي العثماني

في القرن السادس عشر

د . أحمد محمد عبيد بطي الشامسي

الطبعة الثانية 2013 م

الإهداء . . .

إلى من شجعاني على العلم منذ صغري

المرحومين أمي وأبي

وإلى الصابرة التي تحملت الكثير ، رفيقة عمري زوجتي

وإلى بسمة الحياة وأملها ... أبنائي

وخاصة ابنتي الغالية فاطمة أحمد

وإلى كل من مدّ يد العون لي في إنجاز هذا البحث المتواضع

أحمد محمد عبيد بطي الشامسي

بسم الله الرحمن الرحيم

***

تقديم

ظهر البرتغاليون على المسرح السياسي في المحيط الهندي في القرن السادس عشر الميلادي، ومخرت أساطيلهم البحار متجهة إلى بلاد الشرق، حيث صارت لهم الكلمة العليا في هذه البلاد، وأصابت أضرارهم الفادحة موانيء شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، مما زاد في محنة هذه الديار التي كانت عند مقدمهم تعيش في ضعف عام، وتمزق إقليمي، مما أضعف قدرتها على مقاومتهم، بالرغم من تصدي بعض القوى الإسلامية لهم في بداية الأمر، وكان الهم الأكبر للبرتغاليين الاستيلاء على الثروات الاقتصادية، ولا سيما التجارية منها، التي كانت تعجّ بها المنطقة، ولإضعاف الرابطة القومية التي تربط سكان شبه الجزيرة العربية بشرق أفريقيا، هذا ما كانت عليه الأوضاع في تلك الفترة.

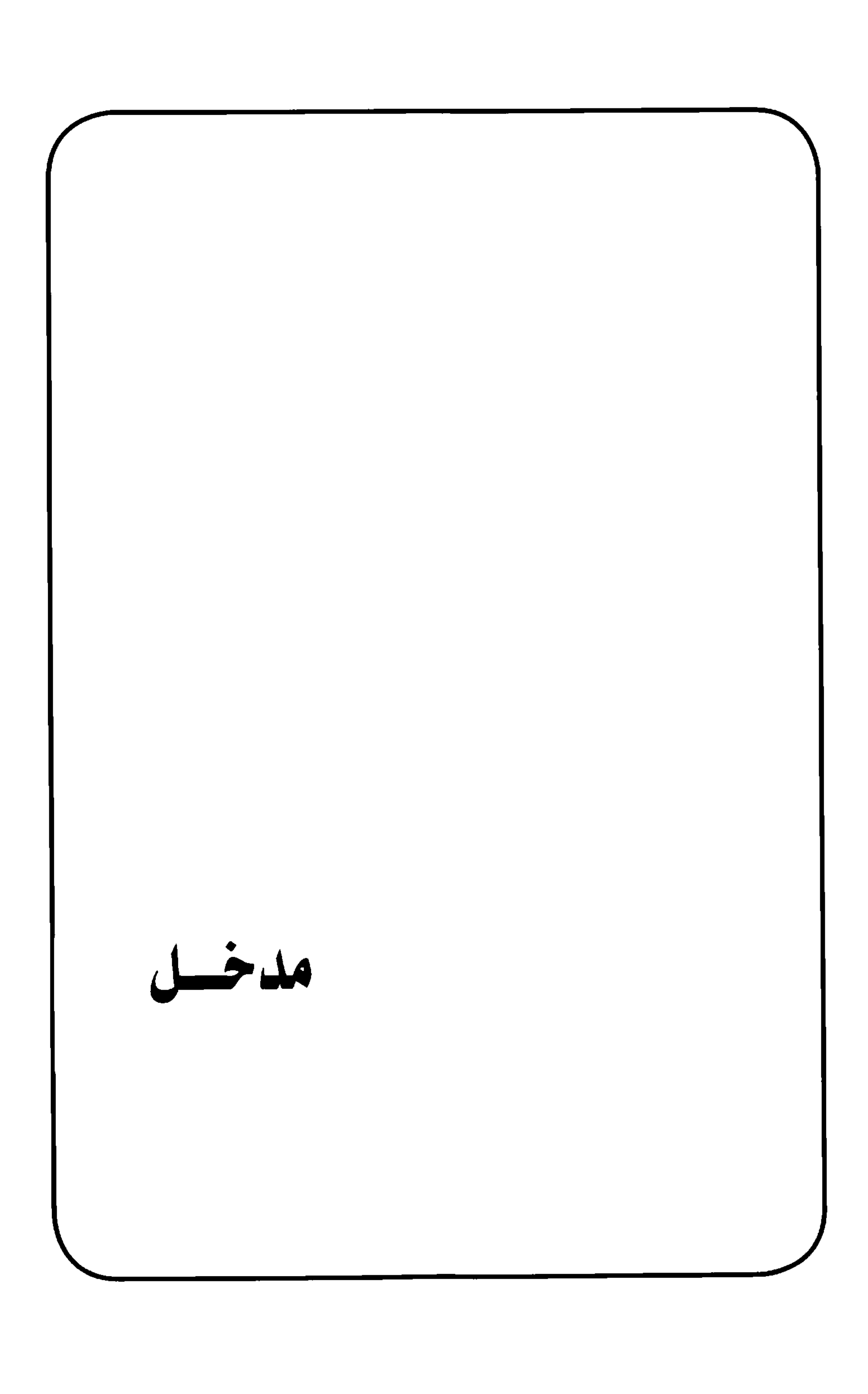
وبالرغم من هذا الجو القاتم، وفي الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي، ظهرت الدولة اليعربية العمانية، التي كان لها المقام السامي في النضال المرير، في تحرير سواحل شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، وكانت هذه الدولة اليعربية العمانية، مثلاً للعدل ومنارة للحق، ومشعلاً للعلم، ونبراسا للمساواة، هذا ما قامت عليه أسس هذه الدولة، إلى أن حاد آخر حكامها عن تلك القيم والمثل الصحيحة، فهوت في الحضيض، وتلاشت تماماً، فلله الأمر

من قبل ومن بعد.

وقد جاء بحث الأستاذ أحمد محمد بطي، (الصراع البرتغالي العثماني في شرق أفريقيا في القرن السادس عشر الميلادي)، ليضرب بسهم وافر في الكشف عن ملابسات تلك المرحلة التاريخية، التي حددها في بحثه، والتي وأكبتها أمور كثيرة، من صراعات ومنافسات دولية، وتاريخ عصفت به أهوال، حجبت الرؤيا السليمة عن أنظار المؤرخين، فجاء بحث الأستاذ أحمد محمد بطي خطوة رائدة في كشف الغموض، وجلاء الحقيقة لتلك الفترة العصيبة.

وانطلاقا من مسيس الحاجة لدراسة تلك الفترة، فقد جاء بحثه مفيدا لمن يتصدى للبحث في هذا المجال، والله الموفق ،،،

عمران بن سالم العويس



مدخل

مدخــــل

* * *

كان لنهـاية المسلمين في الأندلس على يـد ايزابلا و فـرديناند سنـة ١٤٦٩ م أثر شديد على الكيانات الإسلامية في معظم بقاعها المختلفة.

و تبع ذلك ظهـور الإمبر اطورية البرتغـالية في البحـار الشرقية متـزعمة حـركة كشفية و دينيـة أتت بثمار مختلفة على الجانبين الإسـلامي و المسيحـي. وقد لبست هـذة الحركة ثـوبـا دينيا حمل البرتغـاليـون -على وجـة الخصوص- لـواءه لتعقب المسلمين امتـدادًا للحركـة الصليبيـة التي بدأت بقصـد تخليص الأمـاكن المقدسـة المسيحية من أيدي المسلمين وشل حركتهم الاقتصادية بالدوران حول أفريقيا بعيدا عن طرق التجارة القديمة التي يسيطر عليها المسلمون.

وتمكن فاسكو دي جاما من إكمال مابـدأه الملاحون البرتغاليون و اجتياز طريق رأس الرجاء الصالح و الوصول إلى شرق أفـريقيا و الهند في عهد الملك البرتغالي دون مانويل (١٤٩٥-١٥٢١م).

وفتحت حينئذ صفحة جديدة بين المسلمين في الشرق و المسيحيين في الغرب حيث عمد البرتغاليون إلى مدافعة الوجود الإسلامي في تلك البقاع وحاولوا طردهم منها أو كسر شوكتهم و تحويل قوافل التجارة إلى عاصمتهم لشبونة.

وتمكن البرتغاليون من تحقيق كثير من هـذه الأهداف بفضل الأسطول البحري الذي أعدوه ليمكن لهم من السيطرة على البحار و سواحلها الغنية و الاستراتيجية.

و كان على الكيانات الإسلامية الكبيرة في ذلك الوقت مصارعة هذا الخطر الداهم فتصدت الدولة المملوكية بمساعدة من العثمانيين لهؤلاء الغزاة الجدد إلا أن المماليك فشلوا في تحقيق نتائج تذكر في هذا الميدان.

وبعد أن ورث العثمانيون الممتلكات و المسئوليات المملوكية كان عليهم التصدي-

بكل قوة- للعبث البرتغالي بالسواحل العربية و الإسلامية .

فجرد العثمانيون عدة حملات كان على رأسها حملة سليمان الريس، وحملات أخرى تلته إلا أنها لم تكن بالقوة التي تستطيع بها مواجهة الأسطول البرتغالي.

و تبع ذلك استنجاد الممالك الإسلامية في الهند بالسلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٠م) لمدافعة الوجود البرتغالي الذي تمثل في قلاع حصينة وسفن حربية باتت تنشر الذعر و الدمار في السواحل و الإمارات الإسلامية .

فأعد السلطان العثماني أسطولا عظيما في السويس تحت قيادة سليمان باشا الخادم الذي أبحر من السويس إلى جدة ثم عرج على عدن فاستولى عليها بعد الغدر بعاهلها عامر بن داود و أخذ طريقه إلى الهند بعد أسره لمجموعة من السفن البرتغالية كانت رابضة في ميناء شحر.

و على الرغم من تمكن الحملة العثمانية الضخمة من الساحل الهندي ومحاصرتها لأقوي القلاع البرتغالية في ديو حتى أوشكت على التسليم و الوقوع في قبضة العثمانيين، إلا أن القائد سليمان الخادم أصدر أوامره بفك الحصار و العودة من حيث أتي دون تحقيق الهدف الأساسي الذي من أجله أعدت الحملة.

و تتابع الصدام بعد ذلك بين السفن البرتغالية و السفن العثمانية على سواحل شرق أفريقيا و البحر الأحمر و المحيط الهندي طوال النصف الثاني من القرن السادس عشر.

كان من أهم مراحل هذا الصراع مادار في منطقة الشرق الأفريقي و خاصة على الساحل الحبشي منه.

فقد انضم العثمانيرن إلى الممالك الإسلامية في الحبشة، بينما تعاون البرتغاليون مع مملكة الحبشة المسيحية، ودارت رحي معارك بين الجانبين وقد كانت نتائجها سجالا بين الفريقين و لم تسفر في النهاية عن نتائج حاسمة لأحدهما على الآخر.

أما في الخليج العربي فقد تقاسم العثمانيون و البرتغاليون السيطرة على المواقع

الاستراتيجية، فبينما تمركز البرتغاليون في هرمز كان مركز العثمانيين يقع في البصرة، وتراوحت الإمارات الأخرى : كالبحرين و القطيف و الإحساء و غيرها بين الجانبين.

ونظرا لعدم تمكن أحد المتصارعين من إحراز نصر نهائي على غريمه فقد كانت هناك محاولات لرأب الصدع و قيام تعاون تجاري بينهما، ورغم تبادل السفراء بين لشبونة و إستانبول في محاولة للصلح و التبادل التجاري، إلا أنها لم تسفر في النهاية عن نتائج تذكر.

أما عن أهم الأسباب التي حدتني إلى اختيار موضوع البحث فهي:

أولا: هذا الصراع الذي دار بين المماليك و العثمانيين و كذلك عرب الخليج و البحر الأحمر و مسلمي الهند من جهة، و البرتغاليين من جهة أخرى لم يأخذ حقه من اهتمام الباحثين وإن تعرض الباحثون سواء أكانوا عرباً أم أجانب لبعض جوانب الصراع، لكنهم لم يعطوا هذه الفترة الزمنية الهامة حظها من البحث، وإظهار الدور البطولي الذي لعبه أهالي المناطق التي شملها الغزو البرتغالي.

ثانيا: ماحل باقتصاد هذه المناطق بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وانتقال السيطرة من أهل الشرق إلى أهل الغرب بعد تحويل طريق التجارة التقليدي عن المواني و الأراضي العربية إلى الطريق الجديد. لذا كان اهتمامي بالكتابة في هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة في تاريخ العرب سواء في أفريقيا أو في آسيا.

و موضوع البحث ،الصراع البرتغالي العثماني في شرق أفريقيا في القرن السادس عشر ينسحب على الصراع سواء كان في الشرق الأفريقي و مداخل البحر الأحمر أو في الساحل العماني و الخليج العربي و المحيط الهندي، لأن هذه الأماكن الرئيسية هي التي دار فيها الصراع المملوكي البرتغالي و بعده العثماني البرتغالي.

هذا بالإضافة إلى أنني من أحفاد أبناء الخليج الذين أذاقهم البرتغاليون عذابا وعبثوا بمقدراتهم فترة طويلة،مما دفعني إلى البحث و الكتابة في تاريخ هذا الصراع الذي كان مسرحه سواحل الخليج و شرق أفريقيا..الخ.

تلك هي بعض الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع للبحث، و عندما طرحته على أستاذي المشرف، وجدت منه تشجيعا و دفعا للأمام موجها و ناصحا ومرشدا إلى المنهج التاريخي القويم في الدراسة و التقصي و البحث.

أما عن الصعوبات التي صادفتني فهي متعددة خاصة بندرة الوثائق المنشورة وغير المنشورة.

و في بداية بحثي عن الوثائق و المصادر سافرت إلى تركيا، إلا أنني عدت دون فائدة، لأن الحصول على الوثائق هناك شبه مستحيل، و كنت قاصدا الدكتور أوزبران كأحد العاملين في أرشيف الوثائق العثمانية بتركيا، لكن لم يحالفني الحظ فقد نقل رئيسا لقسم التاريخ في جامعة أزمير.

و لكنني حصلت على كتابين له أحدهما مترجم إلى العربية و الآخر بالتركية و كل منهما تعرض لفترة البحث.

أما عن دار الوثائق القومية بالقاهرة فقد أفاد العاملون بها عن عدم وجود وثائق خاصة بتلك الفترة تتعرض لموضوع بحثي.

ولحسن الحظ تمكنت من العثور على مجموعة من الوثائق البرتغالية غير منشورة من مركز الوثائق بدولة الإمارات و الصعوبة في هذه الوثائق أنها لم تكن مترجمة باللغة العربية، بل مكتوبة باللغة اللاتينية، ولكن بفضل الله تعالى تغلبت على بعض الصعوبات بمعاونة بعض العارفين باللغة اللاتينية.

أما عن دار الكتب المصرية فقد حصلت منها على بعض المصادر الأصلية كما أن مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة أمدتني بكثير من المراجع الهامة.

وقد استقيت مادتي العلمية في هذا البحث من عدة مصادر متنوعة أهمها:

أولا: الوثائق البرتغالية غير المنشورة و المنشورة، منها المحفوظة بالأرشيف البرتغالي الوطني في لشبونة توري تومبو: A.N.T.T. و بعض من هذه الوثائق بالخط العربي على شكل رسائل من الأمراء و القادة المكلفين من قبل ملك البرتغال

ونائبه، و كشفت هذه الوثائق عن مدى تسلط البرتغالين و عن تصرفاتهم تجاه سلاطين الدويلات الإسلامية .

ثانيا: كما استقيت مادتي العلمية من بعض المصادر المعاصرة للأحداث ومن المؤلفات التي تتصل بالموضوع أرخها معاصرون أو قريبون لتلك الأحداث .

ثالثا: و بعض المؤلفات التي تناولت بعض جوانب موضوع البحث بصفة خاصة.

رابعا: من أهم المصادر التي استعنت بها المخطوطات غير المنشورة، وهي: عبدالرحمن بن علي الديبع : قرة العيون في أخبار اليمن الميمون.

و الشبلي اليمني (جمال الدين بن محمد بن أبي بكر السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر.

خامسا: ومن المصادر المنشورة: ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي) : بدائع الزهور في.وقائع الدهور . ويعد من أهم مصادر البحث .

و ابن إياس مؤرخ مصري من مؤرخي القرنين التاسع و العاشر الهجريين،الخامس عشر و أوائل السادس عشر الميلادي، وقد عاصر انهيار سلطنة المماليك علي أيدي العثمانيين، و عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح و بداية الجهاد ضدهم في البحر الأحمر و المحيط الهندي.

وقد استفاد البحث فائدة كبيرة من الحوادث التي دونها ابن إياس في الفترة التي عاصر وقائعها منذ بداية القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلاي، فقد أسهب في وصف تدهور الحالة الاقتصادية في الدولة المملوكية بعد عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح و تحركاتهم في المحيط الهندي، كما أمدنا ابن إياس بمعلومات قيمة عن مراحل تجهيز الحملات التي بعث بها السلطان الغوري إلى المحيط الهندي للتصدي للبرتغاليين، و مصير هذه الحملات.

وقد استفاد البحث من كتاب زين الدين ،تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين . ..وهو من أهم و أقدم المصادر العربية التي اقتصرت على ذكر أحوال

الـوجود البرتغـالي في المحيط الهنـدي، و هذا المصـدر أمـدني بصورة واضحـة عن الأهـداف الصليبية و الاقتصـاديـة التي دفعت البرتغـاليين لاجتيـاز رأس الرجـاء الصالح، وسرد الكتـاب إغارات البرتغـاليين على سواحل المحيط الهنـدي و أشار إلى الحمـلات التي بعث بها سـلاطين المماليـك إلى السـاحل الهندي ٩١٤هـ/١٥٠٨م وأيضا الحملات التي بعث بها العثمانيون عام ٩٤٤هـ/١٥٣٧م.

أمـا كتـاب قطب الـديـن النهـروالي ‹البرق اليماني في الفتح العثماني› فيعـد من المصـادر الهامة لهذا البحث، فقـد تنـاول النهروالي في هـذا الكتـاب موضـوع ضم العثمانيين بلاد اليمن في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، و احتوي المؤلف على معلـومات عن عبـور البرتغاليين رأس الـرجاء الصالـح، و تحركاتهم في البحر الأحمر و لوأنه لم يكن موفقا في حديثه عن ابـن ماجد عندما وصفه بأنه قارع القائد البرتغالي السكر عند إرشاده إلى طريق الهند.

و كتاب بانيكار «آسيا و السيطرة الغربية» ترجمة عبدالعزيز جاويد، أفاد البحث كثيرا عن فترة التواجد البرتغالي في الشرق الأفريقي و المحيط الهندي.

وكتاب جيان ‹ وثائق تاريخية و جغرافية و تجارية عن أفريقيا›.

و مؤلفات د.شوقي الجمل، و د. محمـد عبد العال أحمد، و د. جمال زكريا. و أهم المراجع المطبوعة التي استقيت منها مادتي العلمية: السير أرنولدت ويلسون: الخليج العربي مجمل تـاريخ الخليج من أقدم الأزمنة حتى أوائل القـرن العشرين، (ترجمة عبدالقادر يوسف)،

و أنور عبَد العليم: ابن ماجد الملاح، أعلام العرب

و من أهم المصادر و المراجع الأجنبية: رسائل القادة البرتغاليين مترجمة إلى اللغة العربيـة استقيتها من كتاب لصالـح أوزبران، الأتراك العثمانيون و البرتغـاليون في الخليج العربي (ترجمة عبدالجبار ناجي).

أما المراجع الأجنبية، فأهمهـا البرت كامرير (M.A.KAMMERER) البحر

الأحمر فقد أمد الباحث بمعلومات عن الوجود البرتغالي في الشرق الأفريقي و المحيط الهندي و الخليج العربي و الحملات العثمانية ضد البرتغال.

و انجلوبيش (ANGELO PESCE) جدة ،تصوير لمدينة عربية، أفاد البحث بمعلومات عن بناء سور جدة ، ووصول حسين الكردي القائد المملوكي و عن سير رحلته إلى الهند و مراجع أجنبية أخرى استقي البحث منها معلومات تخص مرحلة الصراع البرتغالي العثماني.

وقد قسم الباحث بحثه إلى مقدمة و تمهيد و أربعة فصول و خاتمة:

وقد عالج الباحث في التمهيد حالة البرتغال خلال العصر الإسلامي في الأندلس ثم انفصالها و سعيها للوصول إلى منافذ شرق أفريقيا.

و تعرض البحث في هذا التمهيد للكشوف الجغرافية و دوافعها التي كانت دوافع دينية و اقتصادية و سياسية و دور العرب فيها، وختم التمهيد بالحديث عن الكشوف البرتغالية.

وفي الفصل الأول و هو بعنوان (الحملات البرتغالية للسيطرة علي تجارة شرق أفريقيا) أبرزت الجهود البرتغالية في إرسال الحملات المتتالية للسيطرة على هذه المنطقة و تتبعت تلك الحملات. كما تعرضت في هذا الفصل أيضا لمحاولة البوكيرك الاستيلاء على عدن وفشله في احتلالها. و ختمت هذا الفصل بالكتابة عن ردود الفعل من مختلف البلدان على سياسة الاحتكار البرتغالية، و كانت البلدان المتأثرة بهذا الاحتكار هي البندقية، و اليمن، ومصر، و الخليج العربي، و الساحل الشرقي، الأفريقي.

أما الفصل الثاني: فقد خصصته لدراسة دور العثمانيين في الشرق العربي والأفريقي ، و تناولت في هذا الفصل المدن و الإمارات العربية في الشرق العربي والأفريقي ورد الفعل المملوكي عند وصول البرتغاليين إلى الشرق. ثم تحدثت عن الغزو العثماني للشام و مصر و أثر ذلك في تحمل العثمانيين مسئولية مواجهة الخطر البرتغالي و اتخاذ التدابير و الاستعدادات اللازمة له.

أمـا الفصل الثالث: فقـد خصصتـه لدراسـة مراحل الصراع البرتغـالي العثماني وتضمن بداية مؤازرة العثمانيين للمماليك في مـواجهة الخطر البرتغالي، ثم دلفت من هـذه البـداية إلى استعـراض مـراحل الصراع بين الـدولتين. وشملت المرحلـة الأولى: الصراع البرتغالي العثماني في البحر الأحمر و المحيط الهنـدي بما فيها حملة سليمان رئيس، و حملـة سليمان بـاشـا الخادم ١٥٣٨م . وتضمنت المرحلـة الثـانيـة دور العثمانيين في مدافعة البرتغاليين عن شرق أفريقيا و تحدثت في هذه المرحلة عن القوي الحبشية و الإسلامية . ثم حملة السويس التي أعـدها البرتغاليون لتدمير الأسطول العثماني الرابض في هذا الميـناء و أثر هذه الحملة و نتائجهـا على شرق أفريقيا وتبع ذلك الحديث عن معـركـة أوفلو ثم هـذه المرحلـة بتدخل البرتغـاليين والعثمانيين في الصراع المذهبي بـالحبشة و أثـر ذلك على المنطقة. وأمـا المرحلة الثـالثة فقـد شملت الصراع البرتغالي العثماني في الخليج العربي بما فيها حملـة بيري على هرمز و مهمة علي رئيس لاستعادة السفن العثمانية من البصرة ، و الصراع على جزيرة البحرين.

ثم ختمت هـــذه المرحلـة و الفصل بـدور علي ميرال في الخليـج العـربي و شرق أفريقيا.

أما الفصل الـرابع و الأخير: فقد وقفت فيه على نتـائج الصراع البرتغالي العثماني وفصلت فيـه القول عن النتائج السيـاسة التي شملت محاولات الصلـح و التعاون التجـاري بين لشبـونـة و إستانبـول و فشلهما في ذلك. ثم النتـائج الاقتصـاديـة والحضارية و العسكرية.

وفي الخاتمة ذكرت النتائج التي أسفر عنها البحث و الإضافات التي أضافها .

وقـد ألحقت بالبحث عـدة خرائط تـوضيحيـة و بعض الوثـائق الهامة المتصلـة بموضوع البحث.

كما سجلت ثبتا بالمصادر و المراجع التي اعتمد عليها البحث.

و لايسع الباحث في النهاية إلا تقديم الشكر و العرفان لكل من عاونه في إتمام هذا البحث العلمي، وعلى رأس هؤلاء يأتي أستـاذي الفاضل الأستاذ الدكتـور / شـوقي

عطا اللـه الجمل، أطال الله لنـا في عمره فقد أفـاض على من علمه وكرم خلقـه وسعة صدره الكثير ... ووجهني خير توجيه حتى منّ الله علي بإنجاز هذا البحث المتواضع لأضعه بين أساتذتي الكرام ليرشدوني إلى طريق الصواب.

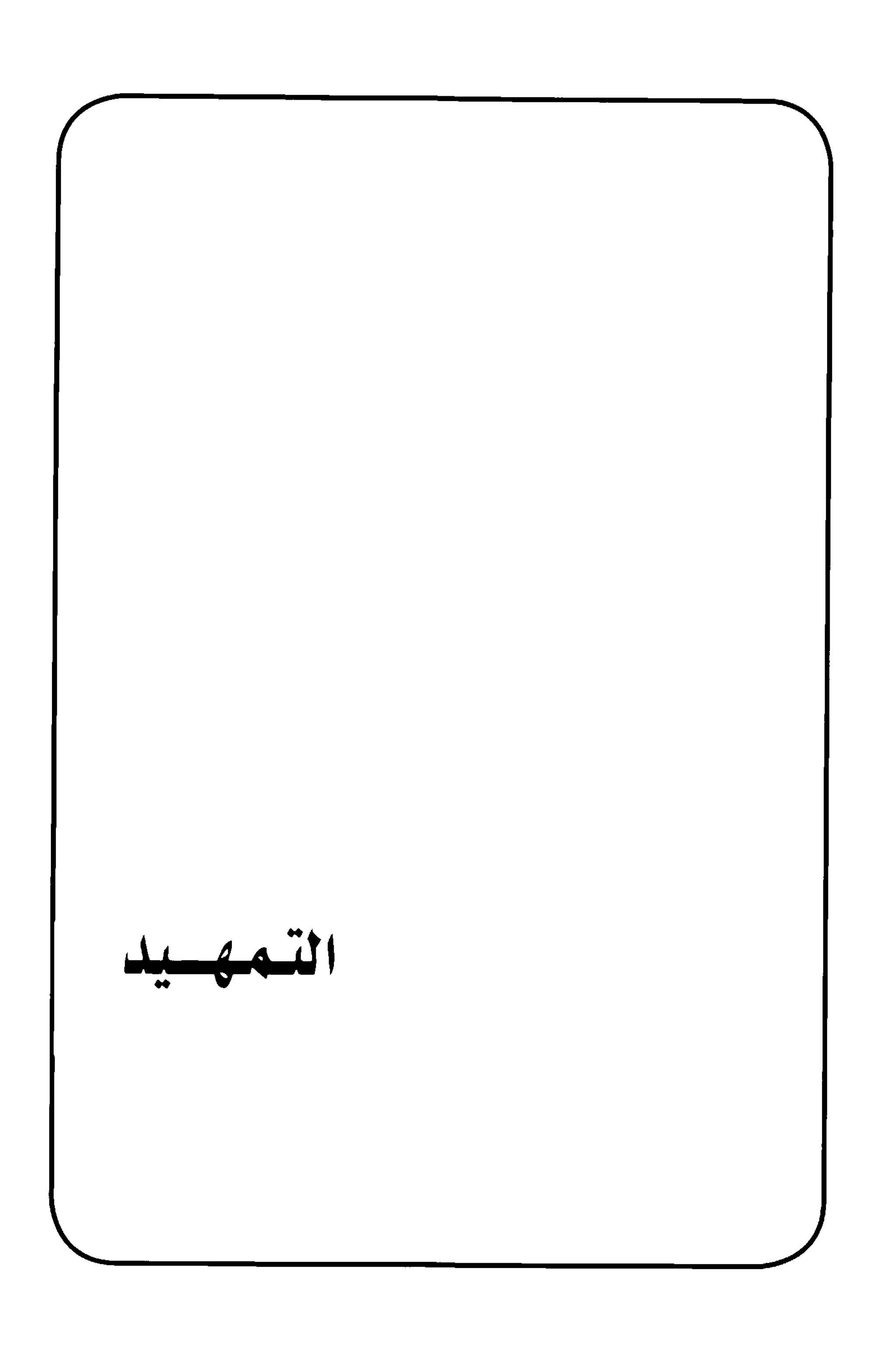
و أشكر أستـاذي الفاضل الأستـاذ الدكتـور/ رأفت غنيمي الشيخ، عميـد كلية الآداب بـالزقـازيق و أستـاذ التـاريخ الحديث و المعاصر، على تفضلـه بمنـاقشتي ليغمرني بفيض علمه و كرمه.

وأشكر أستاذي الفاضل الدكتور/ عبداللـه عبدالرازق الأستاذ المساعد للتاريخ الحديث بـالمعهد لتفضلـه لمنـاقشتي لكي أتمكن من إثراء هـذا البحث بتـوجيهاتـه وإرشاداتـه لي و أشكره على ماقـدمه لي من نصـح و إرشاد خـلال مسيرتي العلمية بالمعهد .

و الله أسال أن يوفقنا إلى علم أفضل و غد مشرق لنا وعلى الأمة العربية جمعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

أحمد محمد بطي



التمهيد

التمهيد

* البرتغال وسعيها للوصول إلى منافذ شرق أفريقيا.
* الكشوف الجغرافية ودوافعها.
*دور العرب في الكشوف البرتغالية.
* الكشوف البرتغالية.

التمهيد

قبل أن نتعرض للصراع البرتغالي العثماني في شرق إفريقيا لابد من الإشارة للظروف التي ظهرت فيها البرتغال كدولة أوربية في شبه جزيرة أيبيريا.

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية في أقصى الغرب من العالم القديم، وما تلاها المحيط الأطلسي، فقد ظل لغزا مبهما عبر تلك العصور السحيقة، و لذلك سمي «ببحر الظلمات» ، وهي محاطة بالبحار ماعدا ذلك الجزء الذي يربطها بأوروبا عبر جبال البرت أو البرنس في الشمال الشرقي منها، و التي تمثل حاجزا يفصل بين المنطقتين، وإلى الجنوب يفصلها عن إفريقيا مضيق جبل طارق. وهي أرض شاسعة تتخللها الأنهار و الوديان و تكثر فيها سلاسل الجبال و الهضاب الشاسعة، و هي غنية بمختلف الموارد الطبيعية، و مناخها يغلب عليه الاعتدال، و بينما يكثر نزول المطر في شمالها، فإن جنوبها يميل إلى الدفء [١]

وقد تعرضت شبه الجزيرة منذ العصور القديمة إلى هجرات بشرية، و تأثيرات عديدة و غزوات كثيرة عبر تاريخها الطويل، فجاءت إليها القبائل المختلفة من عدة جهات، و على فترات متفاوتة، هذا إلى جانب سكانها القدماء الذين عاشوا في أرجائها منذ آلاف السنين، عندما كان الإنسان يعيش في الكهوف حياة البداوة، ومازالت بعض هذه الكهوف موجودة تشهد على ذلك.

و أطلق المسلمون اسم الأندلس على البلاد بعد إكمال فتحها، و كلمة الأندلس مستمدة من اسم بعض قبائل القوط التي تسمي الوندال، و التي اشتهرت بعنفها وشراستها.[٢]

---

(١) طارق خالد: آثار الأندلس، أسبانيا ١٩٨٥م، ص: ١٥.
(٢) عبدالرحمن علي الحجي (دكتور) : التاريخ الأندلسي، دمشق ١٩٧٦م، ص: ١٧١

وتاريخ الأندلس الإسلامي[1] اتصف بالصراع بين المسيحية والإسلام، ومنذ عام ١٣٨هـ - ٧٥٦م وحتى ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م تعاقبت عصور مختلفة اتسمت بالقوة تارة وبالضعف والشقاق والتناحر تارة أخرى، وفي عصر بني نصر آخر عصور المسلمين بالأندلس استقلوا بحكم الجزء المتبقي من الأندلس بعد الشتات و التقوقع في الجنوب، و نجح القائد الأندلسي محمد بن نصر- و هو من مدينة أرجونه الواقعة بين جيان و قرطبة- من اتخاذ مدينة غرناطة عاصمة له، و أسس إمارة أندلسية جديدة في تلك المناطق الجنوبية من البلاد، ودامت مملكة غرناطة لمدة تزيد على قرنين و نصف القرن من الزمان (٦٣٥-٨٩٧ه/١٢٣٨-١٤٩٢م).

وطوال هذه المدة كانت معرضة للغزو و الاحتلال مما اضطرها لدفع الجزية لقشتالة[2]، وظلت هذه المملكة قوية صامدة في وجه الأعداء إلى أن دب الانقسام والتنافس بين أمرائها على السلطة[3] . وقد هاجم فرديناند الخامس غرناطة واستولت جيوشه - بعد مقاومة باسلة- على مدينة الحامة ALHAMA جنوب غرب غرناطة وذلك في المحرم ٨٨٧ه/١٤٨٢م[4]، وفي عام ٨٨٩ه/ ١٤٨٤م استولي المسيحيون على حصن لورة، ثم على مدينة لوشة LOGO في عام ٨٩١ه/١٤٨٦م، وذلك بعد مقاومة عنيفة من قائدها الأمير الشيخ علي العطار، الذي دافع عن المدينة

(١) ١ - عصر الولاة (٩٢-١٣٨ هـ / ٧١١ - ٧٥٦م).
٢ - عصر الإمارة (١٣٨ - ٣١٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٢٩م).
٣ - عصر الخلافة (٣١٦ - ٤٢٢ هـ / ٩٢٩ - ١٠٣١م).
٤ - عصر الطوائف (٤٢٢ - ٤٧٩ هـ / ١٠٣١ - ١٠٨٦م)
٥ - عصر المرابطين (٤٧٩ - ٥٤١ هـ / ١٠٨٦ - ١١٤٦م)
٦ - عصر الموحدين (٥٤١ - ٦٢٠ هـ / ١١٤٦ - ١٢٢٣م)
٧ - عصر بني نصر في غرناطة (٦٣ - ٨٩٧ هـ / ١٢٣٨ - ١٤٩٢م)

(٢) عبدالمنعم ماجد (دكتور) : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - بيروت ١٩٦٦م، ص: ٢٤٤.

(٣) حسن إبراهيم حسن (دكتور): تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب، القاهرة ١٩٣٣م، ص: ١٠٦

(٤) د. عبدالرحمن علي الحجي : مرجع سابق، ص: ٥٥٠ - ٥٥١.

بشجاعة. ثم واصلوا زحفهم و استيلاءهم على بقية المدن الواحدة تلو الأخرى.

ولنا أن نتساءل ماهي الأسباب التي أدت إلى سقوط هذه المدن الواحدة تلو الأخري بهذه السرعة المذهلة في أيدي مسيحيي إسبانيا؟

وقد تجمعت عدة أسباب رئيسية و غير منفصلة ساعدت على انهيار المدن الإسلامية في الأندلس و خضوعها لقبضة الإسبان، و من هذه الأسباب مايلي:

١) الزواج السياسي الملكي و الذي تم بين فرديناند أمير أرجونة و إيزابيلا ملكة قشتالة. و ذلك في عام ١٤٦٩م فقامت لهما مملكة مسيحية تشمل الإقليمين، وكان الزوجان يتفقان في عدائهما الشديد للمسلمين و تعصبهما للمسيحية فصمما على طرد المسلمين من بلادهم، وأخذا يرسلان رسلهما لأمراء المسلمين مطالبين الجزية ومهددين بطردهم و إبادتهم.(١)

(٢) اتحاد الإمارات المسيحية البابوية لها على الوحدة و محاربة المسلمين وتعقبهم أنّى وجدوهم، فلبس الجميع ثوبا واحدا وهو ثوب القومية و العصبية المسيحية، ضد المسلمين هناك، مما شجعهم على التصدي و القضاء على المقاومة العنيفة التي خاضها المسلمون ضدهم.(٢)

٣) الانقسامات و الفتن الداخلية التي ابتلي بها أمراء المسلمين و خاصة في غرناطة فقد وصل الأمراء إلى حد بعيد من حب الملك و الإمارة لدرجة أن الخلاف دار بين الابن ووالده و اتحاد الابن مع عدو المسلمين ضد أبيه و عمه. فنجد أن أبي عبدالله الزغبي قد انضم إلى فرديناند ضد والده أبي الحسن الذي وقف موقفا حاسما ضد هذا الملك المسيحي حينما طلب منه أن يدفع له الجزية قائلا له: لقد مات الملوك الذين قبلوا دفع الجزية، أما أنا فجعلت من دار الضرب مصنعا للسيوف وأسنة الرماح.

---

(١) حسن مراد، (دكتور) : تاريخ العرب في الأندلس، القاهرة ١٩٣٠م، ص: ١٤٦.

(٢) حسن إبراهيم حسن : مرجع سابق، ص: ٢١٦.

فهذا موقف يحمد لهذا الرجل الذي لم يتخاذل أمام أعدائه و إن كان بعض المؤرخين رأوا أن هذا الموقف جلب الدمار على بلاده، و الحقيقة أنه امتنع هذا الأمير أو لم يمتنع فإن هؤلاء الأعداء مستمرون في مخططهم و هو طرد المسلمين من جميع الأماكن الإسبانية..

و هكذا نجد أن هذه الأسباب مجتمعة قد ساعدت على تحقيق النصر للمسيحين ونجاحهم في اقتلاع جذور المسلمين من بلادهم، وفي هذه الفترة الحرجة التي تمر بها الإمارات الإسلامية في الأندلس، كانت دولة المماليك في الشرق تئن تحت وطأة الخلافات الداخلية و المخاطر الخارجية المتمثلة في كل من الدولة العثمانية والصفوية الفارسية، لما لهما من أطماع في دولة المماليك، فكان الشرق الإسلامي وغربه يمر في مرحلة خطيرة، ثم على أثرها طرد المسلمون من الأندلس و سيطر الاتحاد الملكي الذي تم بين أرجونه و قشتالة حيث تكونت بينهما قوة كبيرة، استطاعت أن تستولي على غرناطة أخر معاقل المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية في سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م بعد حصار طويل و حرب استبسل فيها المسلمون دفاعا عما بقي في الأندلس، و لهذا ملك الفرنج الأندلس، و طويت صفحة الإسلام في إسبانيا والتي استمرت نحو ثمانمائة عام.(١)

البرتغال خلال العصر الإسلامي في الأندلس:

أما عن البرتغال- موضوع بحثنا- فهي الجزء المنسي من الأندلس، أي تذكر إسبانيا عند ذكر الأندلس و ينسى ذلك الجزء الذي يشكل البرتغال اليوم، و هي الأرض الواقعة أقصي الغرب من شبه الجزيرة الأيبيرية، و كانت تسمي الغرب، وذلك لأنها الجزء الغربي من الأندلس، و مازال القسم الجنوبي من البرتغال يسمى الغربي حتى اليوم، وقد يعتقد البعض أن البرتغال لم تكن إسلامية بالقدر الذي كانت علية إسبانيا خلال فترة حكم العرب، و ذلك بسبب قلة الآثار المعمارية التي

(١) حسن مراد : مرجع سابق، ص: ١٤٦.

توجد هناك، و الحقيقة أن المسلمين ظلوا في جنوب البرتغال حتى أواخر القرن الثالث عشر، ولكن البرتغاليين كانوا لايستولون على بلد إلا محوا آثار المسلمين فيه، ومع ذلك فأي زائر للبرتغال يرى من آثار الفترة الإسلامية شيئا كثيرا في عادات الناس وملابسهم و تقاليدهم و خاصة في الجنوب.

وهناك الشيء الكثير الذي يبث حضارة العرب في البرتغال مثل القلاع العربية والوجوه التي تحمل جذور طابع إنسان الشرق العربي المسلم، بل هناك الأسماء مثل "تافيرا TAVIRA" وهي تعود بأصولها إلى (الفجيرة)[1]. وكذلك أسماء "الجرف" ALGARVE*

و هذه الأسماء الشائعة في جنوب البرتغال تثبت أن العرب مروا من هناك و زرعوا القلاع و تركوا بصماتهم، رغم نزوحهم و انهيار دولتهم القوية في الأندلس، فلم تتمكن محاولات الطمس من الوصول إلى كل شيء فيها.[2] و الآثار العربية ليست خرساء فهي لاتزال تتحدث عن عظمة أصحابها.

و كانت البرتغال في أول الأمر إحدى الإمارات الخاضعة لقشتالة، إلى أن استطاعت أن تتحرر من السيطرة القشتالية و تنبذ سيادتها نهائيا في بداية القرن الحادي عشر الميلادي على يد ملكها الفونسو الأول و التي وحدت جهودها على يديه و طردت المسلمين من لشبونة " LISBOA" في عام ٥٤٦هـ/١١٥١م على يد الفونسو الثالث عم الفونسو الأول.[3]

---

(١) الفجيرة : إحدى الإمارات السبع التي تكون دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي تقع على ساحل الإمارات الشرقي، ولابد أن تكون إحدى الأسماء العربية التي نقل اسمها العرب الأصليون الذين توجهوا مع الحملات العربية لنشر الإسلام.
حسن قائد : نشر في مجلة الرياضة والشباب، مؤسسة البيان العدد ٣١٨، تحت عنوان « جنوب البرتغال الفجيرة تتحدث عن نفسها» الإمارات ١٩٨٧م، ص: ٣٢.
* انظر مواقع هذه المدن على الخريطة (ملحق رقم١) ص: ٢٦٢.

(٢) حسين مؤنس : (دكتور) رحلة الأندلس، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٣٩٣.

(٣) محمد فؤاد شكري وآخر (دكتور) : أوروبا في العصور الحديثة، القاهرة ١٩٦١م، ص: ٦٥.

و كانت النواحي الشمالية الغربية يطلق عليهـا- بورتو كاليس- نسبة إلى ميناء بورتوس كـالي المعروف اليوم باسم- أبـورتو- وكان يطلق على المنطقـة الواقعة بين نهري المينوودويرة "MONDEGO& DOURO" و يسمى في البرتغال - دورو - ثم اختصر إلى بورتـوكال أو بوتـوجال، ثم شمل المنطقة الـواقعة بين نهري دورو وتيجو ثم منها إلى البحر المتوسط.

و أهم المدن من الشمال إلى الجنوب "بورتو :"PORTO" و قلمرية أو كويمبرا "COIMPRA" و سنترين أو ســـانتــــاريم "'SONTAREM" ولشبونـة "'LISBOA" و باجه "'BEJA".[1] وكانت لشبونة من أهم مواني الأندلس، وكانت فيها دار لصناعة السفـن، كما كانت مركزا للأسطول البحري الإســلامي الذي كان يحمي سواحل الأنـدلس الغربيـة. و تقع لشبونة عنـد مصب نهر تيجو 'TEJO* الذي يمر بمدينة طليطلة في وسط شبه الجزيرة و يستمر غربا حتى يصب في المحيط الأطلسي عند مدينة لشبونة العاصمة الحالية للبرتغال.

ولشبونـة هي مدينة قديمـة تقع على سيف البحر و تنكسر أمواجه على ســورها، وهو رائع البنيان، و بابها الغربي عليه حنـايا على أعمدة رخام مثبتة على حجارة من رخام و هـو أكبر أبوابها، و لها باب غـربي أيضا يسمى بـاب (الخوخة) يشرف على سرح فسيح يشقـه جدولان يصبـان في البحـر، و لها بـاب قبلي يسمى باب البحـر وتدخل أمـواج البحر منـه عند المد، وباب شرقي يعـرف بباب الحمـة، وباب شرقي أيضا يعرف بباب المقبرة.[2]

و مازالت هناك أســوار بأعلى المدينة موجودة بعد ترميمها ، و بـالقرب منها يقع

---

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور): أوروبـا في العصور الوسطى، جـ١، ص: ٥٤٨، القاهرة ١٩٦٦م.

* انظر الخريطة ملحق رقم (١) ص: ٢٦٢.

(٢) طارق خالد : مرجع سابق، ص: ١٠٤.

الحي القديم الذي يسمى (الفاما)[1] بطرقاته الضيقة، و يقوم الحي على ربوة عالية، و هو يشبه قصبات المدن المغربية بشوارعه الضيقة الصاعدة الهابطة، وبيوته ذات الرحبات الواسعة، و على قمة الربوة أطلال الحصن الأندلسي والذي كان يقوم وسط القصبة، وقد كان السور الغربي ينحدر من هذا الحصن على سفح الجبل و يستمر في السهل حتى يصل إلى ساحل البحر.[2]

وعلى الرغم من الدمار الذي حل بالمعالم الإسلامية في البرتغال، فإنه لاتزال توجد في مختلف أنحاء البرتغال بقايا حصون وقلاع من العصور الإسلامية، لاسيما في المدن التي كانت لها بعض الأهمية كعواصم الأقاليم أو في المناطق ذات المواقع الاستراتيجية و منها منطقة سنترا "'SINTRA" التي اشتهرت بحصونها المنيعة، وكذلك مدينة بيجا "'BEJA" وتقع على ربوة عالية يتوج قمتها حصن جدّد عدة مرات مما أدى إلى تغيير طابعه الأصلي. و كانت بيجا من المدن المهمة، تحيط بها الحقول الزراعية الغنية، و منها مدينة سلفس "'SILVES" في الجنوب.

وكانت الولاية الشمالية الصغيرة الخاضعة لملكة ليون و قشتالة هي النواة التي نشأت منها البرتغال على مراحل و اتجهت جنوبا لاحتلال المزيد من الأراضي، كلما ازداد ضعف المسلمين على فترات متفاوتة من التاريخ الأندلسي، و بالأخص خلال عصر الطوائف.

ويعود اسم البرتغال إلى أهم مدينة و اسمها بورتو "'PORTO" و كانت تسمى بورتو كاليس في الماضي، وقد استقلت عن إسبانيا بعد حرب طويلة و استمرت في غزو

(١) الفاما: هذه التسمية محرفة من كلمة الحاق أو الحمة، وهي عين الماء الحامية الحارة ولها فوائد كثيرة صحية وطبية للعلاج والنظافة، وكانت هذه العيون موجودة في مختلف أنحاء الأندلس وتستعمل باستمرار..

– حسين مؤنس : مرجع سابق، ص: ٤٠٢، انظر موقع الحصن العربي القديم، بعد ترميمه (ملحق رقم ٢٣) ص: ٢٨٥.

(٢) طارق خالد : مرجع سابق، ص: ١٠٥.

المناطق الإسلامية جنوبا بكل عنف و شراسة حتى سيطرت على جميع أنحاء غرب الأندلس.

وقد قام كثير من الصليبيين الذين هزموا في فلسطين و مصر، بمساعدة الجيوش البرتغالية للانتقام من المسلمين، فقد وجدوا الفرصة سانحة لاحتلال البلاد العربية في الغرب بعد الفشل الذريع في المشرق العربي.[١]

ويرجع الفضل في تأسيس هذه المملكة البرتغالية إلى أشهر حكامها و هو ملكها الفونسو الأول في عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م و الذي كان يسمى افونسو هنريك " AF-FONSO HENRIQUES'.

وبسبب الانعزال الجغرافي و الجبلي لهذه الدولة و الذي جعلها مولية ظهرها لقشتالة، و بسبب هذه الجبال المانعة ظل البرتغاليون بمعزل عن القشتاليين برغم ارتباط المصاهرة بينهما أحيانا[٢]. و أثر ذلك على أهمية مينائها و عاصمتها لشبونة، ولكن الذي ساعد الدولة على الظهور ضعف الحكم الإسلامي فيها وتخلصها منه، فشخصت إلى الوجود كدولة لها قوميتها منذ القرن الثالث عشر الميلادي.[٣]

و استعانت هذه الدولة في عام ١١٤٧م بأسطول صليبي مكون من الإنجليز والألمان و غيرهم في طرد المسلمين من لشبونة، ولم تكتف هذه الدولة بطرد المسلمين بل ساهمت بملاحيها في حرب المماليك و العثمانيين و الهنود في الشرق الإسلامي.

البرتغال وسعيها للوصول إلى منافذ الشرق الأفريقي:

كان الاتصال بأوروبا و الهند و الشرق الأقصي عن طريق البر بينما كانت

---

(١) محمد عدنان مراد : صراع القوى في المحيط الهندي، والخليج العربي، جذوره التاريخية وأبعاده، ١٩٨٤م، ص: ١١٣.

(٢) الفرد فيشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تعريب د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٤م، ص: ٣٩٤.

(٣) شوقي الجمل (دكتور): تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، القاهرة ١٩٨٠م، ص: ٧١. وللمزيد : انظر محمد عدنان مراد، مرجع سابق، ص: ١١٣ وما بعدها.

الحضارات القديمة القائمة في منطقة الشرق الأوسط و خاصة بلاد الهلال الخصيب كانت لها اتصالات واسعة مع الهند و بلاد الشرق إلا أن أوربا لم يكن لها أي اتصال مع ذلك العالم البعيد، فكانت أوربا في تلك العصور تمر بأحلك عهودها المظلمة وربما عرفت أوروبا الهند عن طريق الجند الهنود الذين كانوا يعملون تحت راية الأخمينيين (الفرس) أثناء محاولاتهم فتح اليونان، ولكن الاتصال الحقيقي تم إثر فتوحات الأسكندر المقدوني، الذي وصل إلى البنجاب أثناء محاولات لغزو الهند ٣٢٥-٣٢٧ق.م.

وهناك اتصالات بين الشرق و الغرب حدثت زمن السلوقيين، ومن بعدهم البارثيين وفي خلال الإمبراطورية الرومانية حتى سقوط الأخيرة في القرن الخامس الميلادي، و لعبت المدن الإغريقية التي أسسها الإسكندر دورا رئيسيا في حركة الاتصال بحرا و برا، وقد عرف المؤرخون و الرواد الإغريقيون الهند و الطرق التجارية المؤدية إليها، كما عرف الجغرافيون الساحل الهندي و الأرخبيل الأندونيسي، كما أن هناك زيارات للسفن الرومانية لسواحل الهند و الشرق الإفريقي من قواعدها في مصر بعد اكتشاف الرياح الموسمية. وقد أثبتت ذلك الحفائر التي جرت في (اريكاميدا) و هناك شواهد كثيرة على قيام اتصالات واسعة بين الأقطار الآسيوية عن طريق منتجاتها. و كان الاعتقاد أن كل مايرد أوروبا من الذهب واللؤلؤ و الماس و الروائح العطرية من الهند.(١)

وبعد الفتوحات العربية سيطر العرب على المحيط الهندي و البحر المتوسط الشرقي و أصبحت بيدهم طرق التجارة، و بذلك أصبح الاتصال يجري عن طريقهم مع أوروبا إما عن طريق البحر المتوسط إلى اليونان و إيطاليا أو عن طريق إسبانيا العربية.

---

(١) ك. م. بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٦٢م، ص: ١٩

و أخذت شعوب أوروبا تتعرف على المنتجات الشرقية خاصة التوابل و الأنسجة الحريرية.

وجاءت الحروب الصليبية (١٠٩٦-١١٩٩م) لتصبح أوروبا أقرب ماتكون للشرق، و تغيرت موازين القوي في البحر المتوسط، و فتحت أبواب الشرق لأوروبا للاتصال التجاري خاصة بعد أن استقر الصليبيون في كل من فلسطين و سوريا، وأسسوا الدويلات المعروفه (باللاتينية) و تحولت تجارة البحر المتوسط إلى الإيطاليين، خاصة مدينتي البندقية و جنوة، حيث كانت لديهما معلومات كثيرة عن تجارة الشرق القادمة من الهند.(١)

و بعد استرداد القدس على يد الناصر صلاح الدين في عام ١١٨٧م و انحصار النفوذ الأوروبي عن الشرق توقف الاتصال المباشر مع الشرق خاصة البري منه، وانتهى بعد القضاء على بقايا الصليبيين على يد المماليك، و أصبح هناك حاجز منيع بين الشرق و أوروبا، لأن الطريق بات تحت سيطرة الدولة المملوكية.

وقد شعر التجار الأوروبيون بعظم وفداحة خسارتهم، بعد فقدهم لقواعدهم التجارية في الشرق و تحول هذا العداء إلى عداء اقتصادي ضد تحكمهم في الطرق التجارية و كان هذا سببا رئيسيا لإيجاد مخرج لما هم فيه.

الكشوف الجغرافية و دوافعها:

كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة للنهضة الأوربية، فقد استطاع الملاحون الأوروبيون أن يحققوا أعظم نصر في مجال الكشوف الجغرافية في أواخر ذلك القرن.

و تمثل هذا النصر في حادثين: كشف الأمريكاتين ابتداء من سنة ١٤٩٢م، وكشف الطريق البحري من أوروبا إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح سنة

---

(١) محمد عدنان مراد : مرجع سابق، ص: ٢٠ – ٢١.

١٤٩٨م. وكانت لهذين الحادثين نتائج عميقة الأثر في تاريخ العالم و مستقبل البشرية[١]:

أولا: ظهرت المدن التجارية المطلة على البحر المتوسط مثل البندقية و جنوة وانصرفت هذه المدن للتجارة و كانت البضائع التي تتاجر فيها هذه المدن تأتي من بلاد لم يكن الأوربيون يعرفون عنها الكثير و أهم هذه البضائع التوابل و البهارات، و القرنفل، و الفلفل، و المسك، و العنبر، و غيرها من المواد التي أصبحت لها قيمة كبيرة و عظيمة في التطبيب و غيره في أوروبا. [٢]

وكان العرب هم الذين يقومون بنقل هذه البضائع من بلادها في الشرق حتى موانى مصر و الشام حيث يتولى البنادقة و الجويون نقلها على سفنهم لأسواق أوروبا وقد حرص سلاطين المماليك على أن يبقي سر هذه التجارة المربحة وقفًا عليهم، ولذا فقد اتخذوا عدة احتياطات منها: أنهم حرموا على أي مركب غير إسلامية أن تمخر عباب البحر الأحمر، و اتخذوا لذلك حججا شتى، منها أن هذا البحر يؤدي للأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز، و أوقعوا أشد العقوبة على كل من يحاول كسر هذا الحصار، أو الإفصاح عن شيء يتعلق بمصادر هذه التجارة وطرقها.[٣]

ثانيا: كانت المعلومات الجغرافية لدي الأوربيين ضيئلة إلى حد ما، و معظمها من نسج الخيال، و خاطئة في مجموعها، فقصور وسائل المواصلات عن التغلغل في أنحاء العالم، ووهن مقدرة الإنسان على الملاحة في أعالي البحار وسطحية معلوماته في عالم الفلك، و الحياة في مجتمع مغلق، و الانفصال بين العالم المسيحي و العالم الإسلامي، كل ذلك جعل معلومات الأوربيين مقصورة على أوروبا من ناحية، و تلك الأقاليم التي يسكنها المسلمون من ناحية أخري، و كانت الأقاليم التي يسكنها

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور): أوروبا في مطلع العصور الحديثة، القاهرة ١٩٧٧م، جـ١، ص: ١٤٠.

(٢) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٦٩

(٣) شوقي الجمل (دكتور): نفس المرجع، ص: ٦٩ – ٧٠.

المسلمون غير محدودة المعالم تماماً، أما بقية القارات فكانت غير معلومة من حيث وجودها.(١)

وكانوا يستمدون معلوماتهم عن أسيا و أفريقية من التجار الإيطاليين الذين كانوا يترددون على مواني مصر و الشام من أجل التجارة الشرقية، كما كانوا يعتقدون أن المحيط الأطلسي، و البحار الجنوبية مأوي الشياطين و الجن والوحوش، و إذا غامر بحار بالتوغل جنوبا فإنه ملاق نطاقا من نار لن يستطيع اجتيازه. . وهكذا صور الوهم و الجهل لهم ألوانا من الأخطار و المخاوف لا محل لها، كما كانوا يعتقدون أن الأرض قرص منبسط مركزه بيت المقدس يحيط به البحر.(٢)

ثالثا: لم تتعد معلومات أوروبا عن شرق أفريقيا في العصور الوسطى الأقوال الخرافية عن وجود ملك مسيحي يحكم في وسط أسيا أو أفريقية، هو القديس يوحنا أو برسترجون " P.JOHN. وقد حددت الشائعات مكان وجود ذلك الملك المسيحي، فيما بين الصين و جامبيا، و أنه يسيطر على منطقة كبيرة تعرف باسم أثيوبيا.(٣)

و منذ القرن الثالث عشر شاعت في أوروبا أخبار كثيرة عن مملكة أثيوبيا هذه وكفاحها ضد المسلمين، غير أن مكانها و طريق الوصول إليها لم يكن معروفا لدى الأوربيين بالدقة.

.رابعا: أما عن معلومات الأوربيين عن غرب أفريقيا في نهاية العصور الوسطي فلم تكن أفضل من معلوماتهم عن شرق إفريقيا.

وقد كثر الكلام فعلا عن وجود ملك زنجي أطلق عليه " ملك مالي " يحكم جميع أجزاء الصحراء الغربية في إفريقيا جنوبي الأقاليم الساحلية، و كثرت القصص عن

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور) مرجع،سابق، ص: ١٠٤.
(٢) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور): مرجع سابق، ص: ١٠٥.
(٣) سعد زغلول عبد ربه (دكتور): البرتغاليون والبحر الأحمر، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة ١٩٨٠م، ص: ٢٠٥.

ثراء ذلك الملك حتى أن الخرائط التي ترسم لإفريقيا كانت تضع في هذا الجزء من الصحراء عرشا كبيرا من الذهب يجلس عليه ملك زنجي يلبس الملابس الموشاة بالذهب رمزا لهذه المملكة الأفريقية الزنجية الفتية.[1]

وقد تضافرت عدة دوافع أدت إلى بدء حركة الكشوف الجغرافية و تنشيطها منها:

الدافع الاقتصادي:

كانت العلاقات بين أوروبا و الشرق الأقصي ضعيفة في العصور القديمة والوسطى، غير أنها كانت وثيقة مع غرب آسيا و العالم العربي و الإسلامي، وقد أخذت الروابط الاقتصادية تقوى تدريجيا منذ الحرب الصليبية، وزادت الحركة التجارية نشاطا، لأن أوروبا أصبحت بحاجة ماسة إلى البضائع الأسيوية التي لم تكن تنتجها و أغلب هذه البضائع كانت عبارة عن الأقمشة القطنية و الحريرية والكتانية، و المصنوعات الفخارية و الخزفية،و الذهب و الفضة، و التوابل و الأحجار الكريمة، وبعض الأخشاب، وكانت المدن الإيطالية و خاصة البندقية تقوم بدور الوسيط بين التجار العرب و المسلمين و بين الأوربيين كما ذكرنا سابقا.

غير أن مجيء الأتراك العثمانيين منذ أواخر القرن الثالث عشر، و استيلاءهم على بلاد البلقان في القرن الخامس عشر، جعل طريق التجارة الشرقية مسدودا في وجه الأوربيين، كما أن الضرائب الكثيرة التي فرضها أمراء المماليك في مصر و الشام على البضائع المارة بأقطارهم رفعت الأسعار إلى درجة لم يستطع الأوربيون احتمالها[2].

كما لايمكن إغفال رغبة بعض الدول الأوربية في ضرب الاحتكار الذي كانت

(١) شوقي الجمل (دكتور): مرجع سابق، ص: ٧٠.
(٢) محمد صالح (دكتور): تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، بغداد ١٩٨١م، ص: ١٣٨.

تمارسه جمهـورية البنـدقية في نقل المتـاجر الشرقيـة من مـواني مصر والشام إلى أوروبا كوسيلة لحرمان هذه الجمهورية من مصادر ثرائها. وتطلع التجار من رعايا دول أخري غير البندقية إلى النزول إلى ميـدان التجارة الشرقية والحصول لأنفسهم على شطر من أرباحها الوفيرة.[1]

واشتد التنافس بين البندقية و جنـوة في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر،وهذه المنافسة القوية لها أهميتها الحيوية في التاريخ.

فمن المعروف أن البندقية كانت قد احتكرت تجارة الشرق مع المماليك دون سائر الـدول الأوربيـة، وكـانت جنوه الخصـم العنيد لجمهـوريـة جنـوبـة التي حققت استئثارها بتجـارة الشرق دونها، فعملت على كسر الاحتكار التجاري الـذي فرضته على تجارة الشرق، فتمكنوا من معـرفة أماكـن الإنتاج وأسعار السلع، و استطـاعوا تخفيض الأسعار.

ولكن الطـرق البرية سـدت مـرة ثانيـة بعد ظهـور الأتـراك، لذلك عـاد التفكير لاكتشاف طريق للهنـد عن طريق رأس الرجاء الصالح، و كان الـرواد في هذا المجال تجار جنوه الذين يبذلون أقصي جهودهم للوصول إلى الهند.

الـدافـع الـديـنـي:

لاشك أن الدافع الديني من أهم العوامل التي أدت إلى حـركة الكشوف الجغرافية التي تعد حلقـة من سلسلة الحروب الصليبية فقـد كانت البرتغال و إسبـانيا أسبق الدول في إيفاد البعـوث الدينية، و كانت الناحيـة الدينية تلعب دورا كبيرا في تخطيط سياسة هـاتين الدولتين، و استغرق الأوربيون في أحـلام اليقظة استغراقا سـاذجا فـراحوا- وهـم في غمـرة الكشـوف الجغرافيـة- يضعـون المشروعات للقضـاء على الإسلام قضاء مبرما، و كانت تكمن في هذه الناحية روح صليبية جارفة.

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٠٥ - ١٠٦.

فالكشوف الجغرافية في نظر البرتغال يجب أن يكون من أهدافها تحويل المسلمين في غرب أفريقيـا و غيرها من المناطق الآهلة بهم إلى المسيحية الكاثـوليكية والكشوف الجغرافيـة في نظر إسبانيـا يجب أن يكون من مراميهـا نشر الديانـة المسيحية وفق المذهب الكـاثوليكي بين السكان الأصليين الـوثنيين في تلك الأصقاع البعيـدة، بل إن هـذه الـروح الصليبيــة استهـدفت أيضـا تحويل الحبشــة المسيحيـة إلى المذهب الكاثوليكي، وفصلها عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر.[١]

ومن أهم الأسبـاب التي جعلت النـاحية الـدينيـة المسرفـة تلعب دورا طاغيـا في سياســة البرتغال و إسبـانيا : أن نفـوذ العرب في الأنـدلس بدأ يضعف منـذ القرن الخامس عشر الميلادي، مما أتاح الفرصة لـلإمارات المسيحية في إسبانيا لتظهر مثل إمارة أرجون " ARAGON' وقشتالة " OSTILE" وقد اتحدت الإماراتان بزواج فرديناند حاكم أرجونة من إيزابيلا حاكمة قشتالة، في عام ١٤٦٩م،

وكان هذا الزواج بمثابة مولد مملكة إسبانيا التي أخذت تضيق الخناق على القوي الإسلامية في الأندلس.[٢]

وبدأ هذان العاهلان يمارسان سياسة الاضطهاد الديني، و استئصال شأفة كل فرد لايدين بالمذهب الكاثوليكي، وكان سقوط غرناطة و استيلاء النصاري عليها من سلطانها أبي عبد الله في يناير ١٤٩٢م.[٣]

ويـلاحظ أنه في نفس السنـة التي سقطت فيهـا غرنـاطـة آخر معـاقل المسلمين بالأندلس، تم طرد اليهود من إسبانيا.

وتعـاقد ملكـا إسبانيـا مع كرستـوفـر كولمبـوس على القيام بـرحلته الكشفيـة الجغرافيـة الأولى، و لم يكتف نصارى شبـه الجزيرة الأيبيريـة بجلاء المسلمين عن

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٠٥، ١٠٦، ١١٠.
(٢) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٧١.
(٣) أحمد مختار العبـادي (دكتور) : دراسات في تـاريخ المغرب والأندلس الإسكـندرية ١٩٦٨م، ص: ٦٨.

الأندلس، بل ازدادوا تحمسا و شراهة في مطاردة المسلمين خارجها، و انتقل نشاطهم إلى شمال أفريقية و غربها يتعقبون المسلمين الفارين بدينهم في عرض البحر المتوسط، فقتلوا الرجال وبقروا بطون النساء و استولوا على ماكان المسلمون قد حملوه معهم مما خف حمله و غلا ثمنه، كما هاجموا موانى الساحل الشمالي الأفريقي و استولوا على بعض القلاع.[١]

ويعقب أحد الباحثين على ذلك بأنها حركة دينية أخري حمل البرتغاليون-علي وجه الخصوص- لواءها لتعقب المسلمين، حتى أن بعض المؤرخين يعتبرونها امتدادا للحركة الصليبية التي بدأت بقصد تخليص الأماكن المقدسة المسيحية من أيدي المسلمين.[٢]

كما راودتهم الآمال في إمكان محاصرة الإسلام عن طريق البحر، وطعنه من الخلف و سحقه في آسيا و أفريقية، و لذلك فإن الشعور الذي احتوي مسيحيي شبه الجزيرة الأيبيرية بوجوب محاربة الإسلام كان شعورا امتزجت فيه الروح الصليبية المتأججة بالعاطفة الوطنية.[٣]

وقد بين بانيكار ذلك وذكر أن البرتغال أصبحت في القرن الخامس عشر نصيرة المسيحية وراعيتها على الإسلام، فكأن روح الحروب الصليبية لم تبق فيها جذوة الحياة متقدة فقط، بل ازدهرت أيضا مكتسبة قوة على قوتها بشبه الجزيرة الأيبيرية، ولدى شعب قشتالة و أرغونة و البرتغال بالذات عزيمة للتخلص تماما من الممالك الإسلامية التي كانت لاتزال موجودة على أرض شبه الجزيرة نفسها، ومزدهرة فقد كان الأيبري المخلص لدينه، المتفاني في حب وطنه إسبانيا كان أو برتغاليا، يعد القتال ضد الإسلام ضرورة ماسة صارمة، ويراه خليطا يجمع على حد سواء بين الواجب الديني و الضروريات الوطنية. لقد كان الإسلام هو عدوه اللدود

---

(١) السيد محمد الدقن (دكتور) : دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة ١٩٧٩م، ص: ٥٠

(٢) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٧١.

(٣) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور) : مرجع سابق. ص: ١١١.

الذي لابد من قتاله في كل مكان.[1]

ولـذلك نـرى أحد البـاحثين في دفـاعه عـن الدولـة العثمانيـة، يشيـد بخدمـات العثمانيين للإسلام لـوقوفهم في وجه الاستعمار البرتغالي قائلا: كـانت أعظم خدمة أسدتها الدولة العثمانية لـلإسلام أنها وقفت في وجه الزحف الصليبي الاستعماري البرتغالي للبحر الأحمر و الأمـاكن المقدسة الإسلاميـة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي إذ كـان البرتغاليو ن يعتـزمون تنفيـذ مخطط صليبي، مسرف في وحشيته، وهو دخول البحر الأحمر، و اقتحام المسجد الحرام حيث الكعبة المشرفة، ثم مواصلة الـزحف منها على المدينـة المنورة، لنبش قبر الـرسـول - صـلي الله عليـه وسلم- ثم استئناف الزحف على تبوك، و منها إلى بيـت المقدس، للاستيلاء على المسـجد الأقصي، وبذلك تقع المساجد الثلاثة في أيدي البرتغاليين.[2]

وقد حظيت الكشـوف الجغرافية بـاهتمام بالغ من البـابوية، و أصـدر عدد من البابوات مـراسيم متلاحقة يعطون بها ملوك البرتغال وإسبـانيا الحق في ملكية كل إقليم جـديد أو بحـر جديـد يتم اكتشافـه في الحاضر و المستقبل.[3] وتورط بعض البابوات في هذه المراسم، فوصفوا الإسلام بأنه طاعون "THE PLAGUE OF ISLAM " وطالبـوا ببذل الجهود لتـدمير سكان المنـاطق التي اكتشفت أو سوف تكتشف، و الحيلولة بينهم و بين إصابتهم بطاعون الإسلام.

---

(١) بانيكار : مرجع سابق، ص: ٢٤ - ٢٥.

(٢) عبدالعزيز محمـد الشناوي (دكتور) : الدولة العثمانية دولة إسلاميـة مفترى عليها، القاهرة ١٩٨٠م، ص: ٨٦٢.

(٣) يذكر على سبيل المثال من هذه المراسيم: المرسوم الذي أصدره البابا نيقولا الخامس بتاريخ ٨ يناير ١٤٥٥م والمرسوم الذي أصـدره البابا كاليست "COLLISTE" ١٤٥٥م - ١٤٥٨م بتاريخ ١٣ مارس ١٤٥٦م، والمراسيم الثـلاثة التي أصدرها البـاب اسكندر السادس في ٢، ٤ من مايو، و٢٦ من سبتمبر ١٤٩٣م، والجدير بالملاحظـة أن المرسومين اللذين أصدرهما البابا نيقولا الخامس وكـاليست الثالث كانـا ينصبان على منح الملكية فيما يتعلق بـالأقاليم التي تم اكتشافها بالفعل، بينما نصت المراسيم التي أصدرهـا البابا إسكندر السادس على منح الملكية فيما يتعلق بالأقـاليم المجهولة التي يتم اكتشـافها في المستقبل. (بانيـكار : مـرجـع سـابق، ص: ٢٨ ، ٢٩).

وفي الوقت نفسه بذلت البابويـة نفوذها الأدبي لإغراء البحارة للانضمام إلى سلك البعوث الكشفية حين كان الإقبال على العمل في سفن الكشوف فاترا، و كان البابوات يعدون المشتركين في رحلات الكشف بالعفو عند الحساب في اليوم الآخر والنجاة من النار و الفوز بالجنة. وصدرت الأوامر برسم الصلبان على أشرعة السفن، وكان دعاة المسيحية من رجال الطوائف الدينية يرافقـون الرحلات الاستكشافية للقيام بمهمة نشر المسيحية وفق المذهب الكاثوليكي في العالم الجديد.(١)

و الدليل على أن الـدافع الديني كـان وراء الحركات الاستعماريـة المبكرة في ذلك الوقت أن البابوية بادرت بالتدخل لفض النزاع بين الدولتين الاستعماريتين البرتغال و إسبانيا.(٢)

كما وضع البـابـا نيقـولا الخامس ١٤٤٧-١٤٥٥م خطـة تنفـذ مع الكشــوف الجغرافيـة لضرب المسلمين ضربة أخيرة و القضاء على الإســلام قضاء مبرمـا، ولذا فقد أرسل في عـام ١٤٥٤م إلى ملك البرتغال مرسوما بـابويا تضمن مايعـرف باسم (خطة الهنـد) تقوم على إعـداد حملة صليبيـة نهائية تشنهـا أوروبا الكـاثوليكيـة للقضـاء نهائيا على الإســلام، بعد أن تحقق كشـوف البرتغـاليين أهدافهـا و يتصل البرتغاليون بـالملوك؛ المسيحيين سواء أكانوا في أفريقيـا أم في آسيا كي يسهم هؤلاء الملوك في تمويل الحملة بالأموال و الرجال و العتاد، ويتم تطويق البلاد الإسلامية.(٣)

وقد حـرصت حكومة البرتغـال على إرسال مجموعـة من رجال الدين بـرفقة كل حملة استكشافية للقيام بمهمة التبشير بين أهـالي البلاد المفتوحة و نذكر على سبيل المثال: أنه كان يوجد مع حملة ديجوكام :DIEGO CAM: في عام ١٤٩١م بعض رجال الدين نزلوا عند مصب نهر الكـونغو، وقاموا بنشاط تنصيري في هذه المناطق، ثم توغلـوا في الداخل إلى مـايقرب من مائتي ميل، و يقـال إن هذه البعثـة التنصيرية

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور) : أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص: ١١١، ١١٢.
(٢) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٣٢، ١٣٣.
(٣) عبدالعزيز محمد الشناوي: مرجع سابق، ص: ٨١١٣

نجحت في إقنـاع الملك الحاكم و جميع أفراد شعبـه و اعتناق المسيحية، و تـرتب على ذلك أن شـاعت بعض المعتقدات المسيحيـة إلى جانب الكثير من العـادات و الطقوس الوثنية التي استمرت لفترة طويلة.(١)

الـدافــع السـيـاسـي:

استرد صــلاح الدين بيت المقـدس من الصليبين عـام ١١٨٧م، وجعل من مصر قاعدة لـلإسلام الذي أصبح حاجزا هائل القـوة يفصل بين أوروبا، وبعد الحماس والغيرة الدينية و الطاقة الخارقـة، التي تمتعت بها أوروبا، أصابها الوهن والتلاشي، و انتصار صلاح الدين كان من أشـد الانتصارات حسما في تاريخ العالم حيث أدى إلى إقرار سلطان المسلمين لعدة قرون بمنطقة ذات أهمية حيوية مثل منطقة سواحل سوريا و مصر.

ومما يـدل على أن رجال السيـاسة الأوربيين لم يكونـوا يجهلون حقيقـة الحملة الصليبية الخامسة ١٢١٨-١٢٢١م التي وجهت إلى مصر ذاتها، وشـارك فيها جان دي بريين، ثم الحملـة الصليبية السادسة (١٢٤٨-١٢٥٠) التي شـارك فيها عدد كبير من عظماء ملوك أوربا بقيـادة القديس لويس العاهل الفرنسي، و قـاموا بهجوم شامل على مصر، و ماكان من هذه الحملة إلا أن انهزمت و منيت بالفشل، وأصبحت مصر بعد ذلك في يد المسلمين بعد فشل القوى الصليبية في السيطرة عليها.(٢)

وبعـد هذه الأحـداث بعدة قـرون، تنهض أوروبـا لتثأر لنفسها، لتتبـوأ مكانـة سياسية مرموقة عالمياً يتطلب منها تحركاً سياسياً واسع النطاق.

في تلك الفترة كانت الأوضاع السياسية متردية في المشرق العربي إبان مطلع القرن السادس عشر، وفي نفـس الوقت ظهـرت البرتغال كقـوة سياسية، بعـد أن أصبحت

---

(١) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع ســابق، ص: ٣٢.
وانظــــر : Johnston, H. H. The opening Up of Aftrica (LONDON 1929). P. 244
(٢) محمد سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامســة حملة جان دي بريين على مصر، الإسكندرية ١٩٧٨ - ص: ٤٢٨، وانظر: ك. م. بانيكار: مرجع سابق ص: ٢٠، ٢١.

دولة ذات كيان سياسي يؤهلها إلى التطلع إلى ماوراء البحار، فأولت الأمور السياسية اهتماما بالغا كي تتمكن من تحقيق الأهداف الدينية.(١)

وبما أن البحر المتوسط، و المحيط الهندي تحت سيطرة المسلمين و العرب، وهذا بدوره جعل من أوروبا و خاصة البرتغال تتطلع إلى إيجاد مخرج من الدائرة التي تطوقهم فلابد من إحياء الحروب الصليبية، و لكن هذه المرة بشكل يختلف عن السابق فرجال الدين و السياسة اهتموا بإيجاد طريق آخر للوصول بواسطته إلى بلد التوابل في الشرق، و حرمان الموانى العربية من التمتع بهذه السيطرة على طرق التجارة، ولإضعافها والتمكن من النيل منها، ووضعها بين فكي الكماشة، والبحث عمن يناصرهم ليحققوا أهدافهم السياسية و الدينية و الاقتصادية.(٢)

وقبل وصول فاسكو دي جاما: VASCO DA GAMA: إلى قاليقوط أوكاليكوت وصلت إلى ملبار بعثة من التجار البرتغاليين و على رأسهم الفونسو دي بايفا: ALFONSO DE PAIVA: و بيردي وكوفيلهام "PERO DE CO-VILIHAM" ذهبوا إلى الهند مرورا بمصر ودويلات شرق أفريقيا، فوصل الأخير إلى مصر عام ١٤٨٧م، ثم سافر عن طريق البحر الأحمر إلى عدن ثم الهند، وفي عودته زارأغلب المناطق العربية على الساحل الشرقي لأفريقيا، و لقد وصل جنوبا حتى سفاله "SOFALA"، و عاد مرة أخرى إلى القاهرة، و كانت رحلاته بالغة الأهمية، فقد كانت أساسا لرحلات فاسكو دي جاما.(٣)

---

(١) محمد علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي من (١٥٠٧ - ١٦٥٠) العدد الثاني من مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، شباط ١٩٦٠م، ص: ١.

BERES DAMIO : Ahistory of the Portuguese Discoveries _LISBOA 1960) P. 7.

(٢) شوقي الجمل (دكتور) : الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقات بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، ندوة رأس الخيمة التاريخية المقامة بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ومركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري برأس الخيمة ١٩٨٧م، ص: ٢.

(٣) johnston .H . History of colonizion of Africa by Alien Races (Cambridge 1913) P. 30

ومن هذا نستنتج أن هدف البرتغال السياسي هو الوصول إلى أماكن التجارة والتخلص من قبضة المماليك و البنادقة للتجارة وإيجاد مناطق نفوذ لتكوين الإمبراطورية البرتغالية.

دور العرب في الكشوف البرتغالية:

كان الملاحون العرب قد عرفوا المرشدات الملاحية، و الخارطات البحرية منذ القرن العاشر الميلادي، وقد اتخذوا من تجاربهم الشخصية الواقعية أساسا جديداً للجغرافية الملاحية، إذ كان للعرب نشاط ملاحي في أرجاء المحيط الهندي و أرخبيل الملايو و بحر الصين، فضلا عن البحر المتوسط و البحر الأحمر و أجزاء من المحيط الأطلسي تطل عليها سواحل الأندلس و شمال غرب أفريقيا.[١]

وقد كان لليهود دور كبير في نقل المعلومات الجغرافية العربية الإسلامية إلى المسيحيين في الأندلس، فقد استعان ملك قشتالة الفونس العاشر ALFONSO.X ١٢٥٢–١٢٨٤م بخبرة اليهود الذين تلقوا علومهم عن العرب في معلومات و معارف العرب الفنية في مجال الفلك، و بعد أن طرد المسلمون من الأندلس كان لليهود الدور الكبير في ترجمة التراث العربي الإسلامي إلى اللغة الإسبانية، وخصوصا في مدينة طليطلة، كما سعي البرتغاليون للحصول على علوم العرب الملاحية، قبل أن يقوموا بمغامراتهم في الشاطىء الأفريقي، واستعانوا في هذا الشأن بيهود الأندلس كجواسيس ومترجمين، بعد أن طردتهم إسبانيا عام ١٤٩٢م، فلجأوا إلى البرتغال حاملين معهم علوم العرب الملاحية و خرائطهم وجداولهم الفلكية، وكانوا قد ترجموها إلى العبرية و احتفظوا لأنفسهم بأسرارها و كان لهذه العلوم الإسلامية أكبر الأثر في تقدم البرتغاليين في مجال الرحلات الكشفية.[٢]

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور): مرجع سابق، ص: ١١٩.
(٢) أنور عبدالعليم: ابن ماجد الملاح، القاهرة ١٩٦٧م، ص: ٤٢ – ٤٤.

وقد تعلم البرتغاليون استخدام آلات الملاحة من العرب، و خاصة الاسطرلاب[١]، والبوصلة البحرية.

ومن واقع تجارب المسلمين العلمية أثناء رحلاتهم الكثيرة، أضافوا إلى الإبرة المغناطيسية مايعرف باسم وردة الرياح لمعرفة اتجاه الريح و مصدر هبوبها عند معرفة جهة واحدة من الجهات الأصلية، و لم يلبث هذا الاختراع أن انتقل إلى أوروبا عن طريق التبادل التجاري في البحر المتوسط بواسطة الجنوبيين و البنادقة، وإبان الحروب الصليبية وعن طريق الأندلس أيضا[٢]، كما استخدم المسلمون في الملاحة آلات أخري، أخذها عنهم الإسبان و البرتغاليون، مثل ربع الدائرة الكوادرنت(CUDRENT)، [٣]كما وضع المسلمون الخرائط[٤]، و الجداول الفلكية

(١) الاسطرلاب : هو عبارة عن قرص مستدير مقسم إلى درجات به ذراع متحرك مثبت من المركز ومؤشر يتخذ الموضع العمودي على الأفق، ولاستعماله يحرك الملاح الذراع على الدائرة، ليقيس الزاوية بين النجم القطبي مثلاً، والاتجاه الرأسي الذي يدل على المؤشر مساوية الارتفاع القطبي فوق الأفق، والاسطرلاب هو آلة قياس ارتفاع الشمس والنجوم، وقد عمل البحارة العرب والمسلمون على تطويره، كما ألفوا كتبا كثيرة عن طريق استعمالاته، أما بالنسبة للبوصلة فرغم اتفاق معظم المؤرخين على أن الصينيين هم أول من تعرف على خواص الإبر المغناطيسية وأنها تشير إلى الشمال على الدوام، فإنهم يجمعون على أن المسلمين هم أول من استخدمها عمليا في البحار وفي الاستدلال على القبلة.

أنور عبدالعليم (دكتور): مرجع سابق، ص: ٣٤ - ٣٥.

(٢) أنور عبد العليم (دكتور) : نفس المرجع، ص: ٣٥، ٣٦.

(٣) ربع الدائرة الكوارنت "CUDRENT": هي آلة تمثل قوسا قدره ٩٠° درجة من الاسطرلاب وتقيس ارتفاع الأجرام فوق الأفق عن طريق قياس رؤية الظل.

عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٢٣ - ١٢٤.

(٤) ومما يؤيد الرأي بأن العرب قد وضعوا خارطات بحرية ممتازة للإرشاد الملاحي أن الأميرال البرتغالي الفونسوي دي البوكيرك "ALFONSO DE ALBUGUREGHER" ارفق في تقرير له لملك البرتغال عما نويل عام ١٥١٢م، خارطة بحرية كبيرة لملاح من جاوة موضح عليها رأس الرجاء الصالح والبرتغال والبحر الأحمر والخليج العربي وجزائر الملوك، ومسالك ملاحية إلى الصين وجزيرة فرموزا، كما أن فاسكو دي جاما نفسه يقرر أنه وجد الملاحين العرب على الساحل الأفريقي يستخدمون (البوصلة) وآلات دقيقة ملاحية وخارطات بحرية.

و خطوط العرض و الأزياج[(١)]

كما استفاد البرتغاليون بالخبرة العربيـة المتطورة المتألقة في مجال البحار نتيجة احتكاكهم بالعرب، بعد اجتياز طريق راس الرجاء الصالح، فقد استعانوا بالمرشدين و الملاحين العـرب لإرشادهم إلى طـريق الهند، ورغم معـرفة البرتغـاليين للبوصلـة والاسطرلاب عن طريق العرب و المسلمين إلا أنهم لم يكـونوا على علم ودراية بما طرأ على تلك الآلات من تطـور و تجديد مستمـر بدليـل الدهشـة العظيمة التي أصـابت فاسكو دي جاما عندمـا رأى الآلات التي يستخدمها الملاح العربي (أحمد بن ماجد) في سفينته إبان مرافقته له في رحلته الكشفية للهند.

كما استفـاد البرتغاليـون من كتـابات الـرحالـة الجغـرافيين العرب من أمثـال الإدريسي و المقديسي و المسعودي و على رأس هؤلاء ابن بطوطة، الذي تعد كتاباته عن رحلته فتحا للاكتشـافات الجغرافيـة، ومقدمة لها، فإن ذلك الرحالة الإسلامي الكبير جاء إلى شمال أفريقيا و جزيـرة العرب، وفي عام ١٣٣٠م ارتاد اليمن، وزار عدن ثم رحل إلى الشاطئ الشرقي لأفريقيا، وزار بـربرة و كلوة ، ثم ذهب إلى عمان،ووصف هرمز وصفاً دقيقـا و لذا يمكن القول بأن البرتغاليين قد استخـدموا في اكتشافاتهم ضد العرب كل ما أنتجه العرب من علم و معرفة.[(٢)]

الكشوف البرتغالية:

ذكر أحـد الباحثين الأوربيين في معرض حديثـه عن الكشوف البرتغالية أنـه لولا الغـزو عبر المحيطـات الـذي لازمه الانتصـار طـوال القـرن الخامس عشر، لكـانت البرتغال بالتأكيد عبارة عن خط ضيق طولي في ولاية ابرين.

---

(١) الازياج : مفـردها زيج، وهو جـدول يستدل به على حـركة الكواكب السيـارة حول الشمس، لتحديد موقعها.
انظر : دائرة معارف بطرس البستاني، مادة (زيج).

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : فتـح العثمانيين عدن، وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر، القاهرة ١٩٧٩م، ص: ٥٦.

حقاً لقد كان الغزو محرراً للبرتغال من البدائية الأولية المتواضعة، كما كان للغزو أثره في خلق أسس ثابتة و مستقبل دائم و مستقر[١]، كان أهل جنـوة أول من قام بمحـاولـة الطـواف حـول السـاحل الأفـريقي الغـربي، ففي عـام ١٢٩١م أبحـر فيفالد "VIVOLDI" من أهل جنـــوة في سفينتين كبيرتين للبحـث عن الطــريق المؤدي إلى الهند[٢]، ونظرا لعدم الخبرة الكافية في مجال الإبحار أدى إلى فشل الرحلة و تحطمت السفينتان قبالة الساحل الأفريقي مما أدى إلى غرق فيفالد وصحبه.[٣]

و عن أهل جنـوة تلقى البرتغاليـون فنون البحــار، و تعلموا بناء السفــن المتينة الكبيرة* و السير بها في المحيطات، وقــد اشـترى دون بدرو (DON PEDRO) البرتغالي نسخة من كتـاب رحلة ماركو بولـو وجدها في مدينة البندقيـة و أهداها إلى الأمير هنري (PRINCE HENRY) الذي تـزعم حركـة الكشوف الجغـرافية البرتغالية[٤].

وقد ولـد الأمير هنري في بـورتو في ٤ مــارس ١٣٦٤م، وهو الابن الثـالث للملك يوحنــا الأول ملك البرتغال[٥]. وقـد تربى الأمير هنـري في أحد الأديـرة الإسبانيـة وتشرب تعاليـم الكنيسة وبغضهـا المرير للإســلام و المسلمين، و تعلم الفـروسية، فنشأ محاربا صليبيـا من الدرجة الأولى واشتهـر عنه كراهيته الشـديدة للمسلمين، واعتبر مــلاحقتهم و اجبا دينيـا مقدسـا وأصبحت له سيرة حـافلة بحـروبه ضــد المسلمين في شمال أفريقيا.[٦]

وترأس الأمير هنري الملاح بعد ذلك طائفة الرهبان اليسوعيين، ونظرا لكثرة أموال

---

(١) BERES DAMIAO. CIT. P. 5

(٢) محمد محمد صالح : مرجع سابق، ص: ١٤١.

(٣) BERES DAMIAO : OP. CIT, P. 5

* انظر شكل السفن، (ملحق رقم ١٥) ص: ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٤) يسري الجوهري (دكتور) : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، الإسكندرية ١٩٧٥م، ص: ١٣٨.

(٥) وندل فيليس : تاريخ عمان (ترجمة محمد أمين عبدالله) عمان، ١٩٨٣م، ص: ٣٦.

(٦) بانيكار : مرجع سابق، ص: ٢٥

هذه الطـائفة، التـي أصبحت تحت تصرفه فقـد أنشأ الأمير هنري مـدرسة بحـرية ومـرصدا في قلعتـه رأس ساجـرس (SAGRES) في الطـرف الجنوبي لشـاطىء البرتغال وجمع هنري حوله في قلعتـه علماء الرياضـات ورسامي الخرائط الفلكيين، كما استعان بأسرى المسلمين الذين لهم دراية كبيرة بشئون الفلك و البحر والأسفار الطويلة و الجزر البعيدة و قـام ببذل جهود كبيرة في تحسـين بناء السفن* من حيث الحجم والقوة والمتانة[1]

و اهتم بتعليم البرتغـاليين فن الملاحـة على الطـرق الحديثـة و الأسس العلميـة الصـحيحة.[2]

عرف الأمير هنري بلقب هنري الملاح (THE NAVIGATOR HENRY) ١٣٦٤–١٤٦٠م، على الرغم من أنه لم يركب سـوى مرة واحدة سنة ١٤١٥م، حين اشترك في رحلة عسكرية أرسلها والده يوحنا الأول ملك البرتغال لانتزاع مدينة سبتة (CEUTA) على الشاطيء الشمالي لأفريقيه تجاه إسبانيا من أيدي المسلمين،[3]

ويرى أحد الباحثين أن السبب في إطلاق لقب الملاح على الأمير هنري يرجع إلى أن النجـاح الأول للبرتغال عبر البحـار يعود إليـه [4]، وقد كـانت مدينة سبتـة معقلا للمجـاهـدين، في وقت امتلأت فيـه روح هنـري بـالبغضاء و الحقـد على الإسـلام والمسلمين ممـا جعلـه يلجأ إلى أبشع الأساليب الـوحشيـة ضـد أهالي سبتـة إبـان احتلالها، ثم عينه أبوه حاكما عليها، كما عينه رئيسا لفرسان المسيح مكافأة له.[5]

---

* انظر شكل السفينة الحربية (ملحق رقم ١٢) ص: ٢٧٣

(١) السيد رجب حراز (دكتور) : عصر النهضة، القاهرة ١٩٧٤، ص: ٢١٤.

(٢) شوقي الجمل (دكتور) : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، ص: ١٦٥.

(٣) HAMILTO GENESTA : IN THE WAKE OF DAGAMA, (LONDON 1951) P 148

(٤) BERES DAMIAO .OP. CIT, P. 20.

(٥) ونواة هذه الجماعة بعض الفرسان الصليبيين الذين هربوا من جزر البحر المتوسط بعد تعقب المسلمين لهم فلجأوا إلى البرتغال وكانوا بالطبع يتـوقون للانتقام من المسلمين، شوقي الجمل (دكتور): المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب) القاهرة ١٩٧٧، ص: ٤٣.

و كانت من أمنيات الأمير هنري- كما صرح هو - أن يعمل عملا يتقرب به إلى الله عن طـريق التبشير بالمسيحيـة الكـاثـوليكية في ســواحل أفـريقيا الشماليـة، و بين الوثنيين الأفريقيين.(١)

وكانت البرتغال في ذلك الوقت تتمتع بالاستقرار السياسي والاقتصادي منذ ثلاثة قرون بحيث أصبحت منيعة الجانب تحت حكم يوحنا الأول (JOHN 1) أحد ملوك أسرة أفيز (AVIZ) الذي أصدر الأمر بغزو سبتـة، ففي هذا العهد حظيت البرتغال بجيل من الـرجال الأقـوياء، قـوامه التجـار و البحارة و المغامـرون الذيـن رفضوا الاكتفاء بالطرق التجارية المألونة وقتئذ، وأخذوا يسيرون في طريق الاستعمار الذي لاينتهي أمده، تملـؤهم الحماسة للغـزو وجمع الغنائم و الأسلاب وهـدم الحصون والقلاع.(٢)

ولاشك في أن الموقع الجغرافي الـذي تتميز به البرتغال قد مكنهـا وسهل لها مهمة الكشف و الارتياد البحـري، وذلك لأنها تملك شواطيء طـويلة على المحيط الأطلسي، بالإضـافة إلى أن لشبـونة أصبحت منـذ القرن الخامـس عشر الميلادي، مستـودعا لتجارة الشرق وهي في طريقها إلى أوروبا.(٣)

وفي الحقيقة أن الحملة على سبتـة تعتبر حملة صليبية بالمعني الـواضح المحدود وامتدادا لما سبقها من حملات مشابهة، وقـام بنشاط تجاري بهدف تقوية البرتغال لتتمكن من تنفيذ مخططاتها الاستعمارية، وقام بجمع الصيادين المهرة، وجعل منهم بحارة وحوّل سفن الصيد إلى سفن للحرب و النقـل، و استقدم من إيطاليا وصقلية بعض الملاحين المهرة و أسس المدرسة المذكورة.

و جاســت في نفس هنري الملاح رغبـة قوية لطـرد المسلمين من مراكـش و بلاد

---

(١) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(٢) دفي جيمس: الاستعمار البرتغـالي في أفـريقيا (تـرجمة الـدسوقي حسين المراكبـي) القاهـرة ١٩٦٣م، ص: ٣٢ - ٣٣.

(٣) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) مرجع سابق، ص: ٥٦، ٥٧.

المغرب كما طردوا من شبه جزيرة أيبريا، فقام بحملة أخرى على طنجة في عام ١٤٣٧ استهدف من ورائها أن يكرر النجاح الذي أصابه في المغامرة الأولى على سبتة، غير أنه باء بالفشل و أخفق في احتلال طنجة، وكان هنري قد بدأ يفقد اهتمامه بالنشاط العسكري المحدود النطاق و أصبح هدفه منذ عام ١٤١٧م وضع خطة استراتيجية كبرى لتطويق العالم الإسلامي، وحمل العالم المسيحي رأسا إلى المحيط الهندي.(١)

ولم يلبث هنري أن تحول بمجهوده لاحتلال شواطيء مراكش المطلة على المحيط الأطلسي و إخضاع هذه الأقاليم ابتداء من نهر السنغال كمقدمة للاستيلاء على غانا، وكان قد ترامى إلى مسامعه الكثير عن ثرا هذه البلاد، التي ذاعت شهرتها بثروتها وتجارتها مع المسلمين، فرأى أن يقطع عن المسلمين هذه التجارة، و أن ينشر المسيحية بين أهلها و يستخدمهم بعد ذلك لتحقيق مشروعاته، بل فكر في الوصول إلى بلاد الحبشة المسيحية و عقد حلف معها ليتعاونا في تطويق بلاد المسلمين وليتمكن من الوصول إلى منتجات الشرق التي تدر على البلاد الإسلامية أرباحا طائلة من جراء احتكار السفن العربية لعملية نقل هذه البضائع حتى موانىء البحر المتوسط بالإضافة إلى الضريبة التي تجبى منها.(٢)

ومما يجدر ذكره أن الرغبة في القضاء على الإسلام قد ازدادت تأججا وضراوة وعنفاً لدى المسيحيين و يتضح ذلك من المرسوم الذي بعثه البابا نيقولا الخامس في سنة ١٤٥٤م إلى هنري الملاح و استهله بقوله: إن سرورنا العظيم أن نعلم أن ولدنا العزيز هنري أمير البرتغال قد سار في خطى أبيه الملك جون بوصفه جنديا قدير ا من جنود المسيح ليقضي على أعداء الله المسيح من المسلمين و الكفرة، و مضى البابا نيقولا الخامس يقرر في نفس المنشور أنه منح هنري الملاح الحق في أن يغزو ويحتل و يخضع جميع الشعوب و الأقاليم التي يسودها حكم أعداء المسيح، و أن يحتل

---

(١) HAMILTON GENESTA : OP. CIT, P. 15.

(٢) شوقي الجمل (دكتور): تاريخ كشف افريقيا ، ص: ١٦٥.

ويحوز البحار اللازمة للقضاء على انتشار طاعون الإسلام[١]

وهكذا أراد هنري انتزاع تجارة غانا من أيدي المسلمين و نشر المسيحية في ربوعها، و إنشاء إمبراطورية برتغالية في تلك الأصقاع يشرف عليها جماعة فرسان المسيح.

ولما كان الوصول إلى غانا من داخل القارة دونه أهوال لايستطيع التغلب عليها، وكان المسلمون يسيطرون على هذا الطريق البري، فكر هنري في طريق بديل هو الطريق البحري، ومن هنا جاء اهتمامه بكشف الشاطيء الأفريقي المؤدي إليها.[٢]

وفي عهد هنري اكتشف البرتغاليون جزر كناريا* (ANARY ISLANDS) و جزر ماديرا (MADERA ISLANDS) و جزر أرورس (AZORES) فقاموا باحتلالها وإدخال زراعة الكروم وقصب السكر فيها، واختار البرتغاليون جزيرة أرجيوم (ARGIUM)[٣] قاعدةً ملائمة لأساطيل الصيد، و قاعدة لتجارة الساحل، و كانوا يأملون في تطوير هذه التجارة في داخل أفريقيا، بحيث تقضي على طريق القوافل الواصلة بين مالي و مراكش.

وللحفاظ على مستعمراتهم بدأ البرتغاليون عام ١٤٤٨م في بناء حصنين في هذه الجزيرة.[٤]

---

(١) بانيكار: مرجع سابق، ص: ٢٧، محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي، عصر النهضة، بيروت ١٩٨٣م، ص: ٨٨.

(٢) شوقي الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، ص، ١٦٦.

*انظر مواقع هذه الجزر (ملحق رقم ٨) ص: ٢٦٩.

(٣) ارجيوم (ARGIUM) هي جزيرة صغيرة تقع جنوبي الراس الأبيض (CAPE BLANC) على الساحل الأفريقي، انشأ فيها البرتغاليون قلعة حربية ومركزاً تجارياً في منتصف القرن الخامس عشر، ومنها تمكن البرتغاليون من التدخل في تجارة السودان الغربي ولكن أرجيون كان مقدرا لها الأفول بسبب ضحالة عمق مياهها وصعوبة رسو السفن فيها، فما أن زاد حجم السفن حتى قضى عليها كمركز تجاري.
DUFFY. JAMES: PORTUGUESE AFRICA (LONDON 1959) P. 35.

(٤) فيج. جي. دي: تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة د. السيد يوسف نصر، القاهرة ١٩٨٢م، ص: ١١١

و منذ فتح سبتة ١٤١٥م توالت فتوحات البرتغاليين لجزر الغرب الأفريقي حتى وصلوا نهر السنغال و الرأس الأخضر (CAPE VERDE)، وبعد ذلك وصل البرتغاليون إلى ماوراء الصحراء أي غينيا التي كانت و قتئذ سوقا عظيمة للذهب الوارد من تمبكتو (TEMBUKTU)[١].

و كانت القصص قد أشاعت أنها غنية بالذهب، و البرتغاليون يطمعون في الحصول على الذهب الذي سيمنكهم من الإنفاق على رحلات كشفية أخرى للوصول إلى تجارة الهند.[٢]

ونظرا لعدم تمكنهم من الوصول إلى مراكز الذهب في تمبكتو انصرفوا إلى تجارة الرقيق الذي كان مركز تجميعهم في أرجيوم، وبعد ذلك يعد للرحلة الطويلة عبر الأطلسي[٣]، ويتم بيعهم في البرتغال كي يعملوا عبيداً في الأقاليم الجنوبية من البرتغال، لأن هذه المناطق الجنوبية من البرتغال كانت غير آهلةبالسكان، حيث استردها البرتغاليون حديثا من حكامها المسلمين.[٤]

وقد كانت أهم النتائج التجارية التي ترتبت على جلب الزنوج من غرب أفريقية، اعتناقهم المسيحية، هذا إلى جانب تنشيط تجارة الرقيق في أوروبا.[٥]

وقد لقيت تلك الرحلات تشجيعا عميقا من الأمير هنري الملاح طوال حياته حتى توفي عام ١٤٦٠م بعد أن نجح في بث روح جديدة في الشعب البرتغالي، و أصبحت بلاده رائدة الدول الأوربية في مجال الكشوف الجغرافية، ولكن شاءت الأقدار أن يطويه الموت قبل أن يشاهد كشف بلاده لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولها بحرا إلى الهند.

---

(١) شوقي الجمل (دكتور) مرجع سابق، ص: ١٦٥

(٢) محمد صفي الدين: أفريقيا بين الدول الأوروبية، القاهرة ١٩٥٩م، ص: ٧٣.

(٣) DUFFY : OP. CIT. P. 133

(٤) فيج. جي. دي: مرجع سابق: ص: ١١٢

(٥) فيج. جي. دي: مرجع سابق: ص: ٢٦.

وبعد مماته توقفت الرحلات الكشفية الأساسية في الفترة مابين ١٤٦٩،١٤٦٠م كما تـوقف أيضـا النشاط البرتغـالي عنـد جـزر الرأس الأخضر، التي كـان قـد تم استعمارها من قبل بواسطـة الحملات الكشفية البرتغالية. و بعد أن تـوطدت أقدام البرتغاليين في الساحل الغـربي لأفريقيا أخذوا يتوسعون في اكتشـافاتهم الجغرافية حتى وصلوا إلى ساحل سيراليون عام ١٤٦١م بعد وفاة الأمير هنري بعام واحد.

و اهتمـوا بإنشاء الحصـون و القواعـد على السـاحل الغربي لأفـريقيا لخدمـة أغراضـهم التجارية و الاستعمارية، و كونوا أيضـا شركة لتقوم بالتجارة مع ساحل غانا (GHANA) في الرقيق و الذهب، بإرشادات من الأمير هنري الملاح، وازدهرت تجارة الرقيق حتى قيل إن عددهم أصبح في لشبونة يزيد على عدد عشر سكانها.[١]

وكان الكابتن ديجو كام (DIEGO CAM) هو أول من تمكن من الوصول إلى مصب نهر الكـونغـو في منتصف عـام ١٤٨٤م و أبحـر في النهـر حتى بـومـا (BOMA)[٢] و أخذ البرتغـاليون معهم إلى لشبـونة أربعـة من الزعماء الأفـارقة وعـاملـوهم ككبار الضيـوف، و كـان الهدف من هـذه المعـاملة الطيبـة، أن يكـون الأفريقيـون دعاة لهم في بلادهم يشهدون بتفـوق البرتغال الحضاري. و بنوايـاها السلمية، و يبـدو أن البرتغاليين أرادوا السيطـرة على هذه البلاد عـن طريق التسرب السلمي تحت ستار التجارة و التنصير و التمـدن، وربما كان تفسير ذلك اعتقادهم في قوة ملك الكونغو وصعوبة استخـدام القوة ضده- وقتئذ- فضلا عن الاعتبارات التي كانت كامنة وراء التوسع البرتغالي.

فقد كانوا يعتقدون بإمكان الوصول عن طريق الكونغو إلى مملكة القديس يوحنا الواقعة في شرق القارة، و أن التحالف مع ملك الكـونغو قد يساعدهم على تحقيق هذا الهدف.[٣]

وكان للنجاح الباهر الذي حققته حركـة الكشوف البرتغالية في غرب أفريقيا أثره

(١، ٢) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٦٦.

(٣) راشد البراوي (دكتور) : الرق الحديث في أفريقيا، القاهرة ١٩٦٢م، ص: ١٦، ١٧.

البالغ على الملك جون الثاني (١٤٨١-١٤٩٥) الذي قـرر مواصلة الجهود الكشفية حتى بلـوغ البرتغـال بلاد الهنـد بـرا و بحرا في آن واحـد، فكلف كـلاً من بيرو دي كوفيلهام (PERO-DE COVILHAM0) و الفـونسـو دي بـايفـا AL FONSO DE PAITA) للبحث عن طريق يخترقان فيـه أفريقيا و آسيا لكي يصلا إلى الهند.(١)

كما وجـه- من جهـة أخـري- ثـلاث سفن تحت إمـرة بـار ثلـوميـو ديـاز (BARTHOLOMEU DIAZ) الذي جـاءت رحلته المشهورة متوجـة لجهود من سبقوه في محاولات ارتياد الشاطيء الغربي لأفـريقيا، و قد ارتبط اسمه بكشف طريق رأس الرجاء الصالح.(٢)

رحل دياز من لشبونـة عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وسار بمحـاذاة الساحل الغربي لأفريقيا، فوصل إلى خليج و الفيش (WALFISH) ونظرا لقوة التيارات البحرية التي تدور حول أفريقيا، عمل ديـاز على تفاديها بالاتجاه نحو الجنوب، حتى وصل إلى نطاق الـرياح الغـربية، ثم اتجه شرقـا فشمالا، إلى خليج (MOSET BEY) وبعد أن أمضى عدة شهور في هذه الرحلة لاحظ أن الساحل الأفريقي قد أصبح على الجانب الأيسر من سفنـه، فأدرك أنه عبر هـذا الطرف، و أنـه يتجه شمالا بمحـاذاة الساحل الشرقي للقارة.(٣)

ولم يستطع دياز المضي قدمـا في رحلته، لأنه واجه تمردا خطيرا من بحـارته، مما جعلـه يضطر- من أجل المحـافظة على سـلامة سفنـه - لقطع رحلته و العـودة إلى لشبـونه مـارا بمنطقـة الـرأس بعد أن أطلق عليـه اسم رأس العـواصف CAPE TORMENTOSO) ثم سمي بعـد ذلك تفـاؤلا بـاسم رأس الـرجـاء الصـالح

(١، ٢) جيان : وثـائق تاريخية وجغـرافية وتجارية عن أفـريقيا الشرقية، تـرجمة يوسف كمال، القاهرة ١٩٢٧م، ص: ٢٠٥.

(٣) محمد مخزوم : مرجع سابق، ص: ٨٩.

[1](CAPE DE BOA ESPERANCA)

وعلي هذا يكون بارثلوميو ديــاز هو أول من اجتاز رأس العواصف (رأس الرجاء الصــالح) على عكس الــرأي الشــائع بأن فــاسكــو دي جــامــا VASCO DE) (GAMA هو أول من عبر رأس الرجاء الصــالح، و بهذا أخذ أمل البرتغاليين يزداد في إمكان تحقيق أهــدافهم الرئيسيــة التي تمثلت في العمل على السيطرة على مــواطن التوابل وفــرض الحصار الاقتصــادي على مداخل البحــر الأحمر و الخليج العربي، بــدايةً أســاسية لانتــزاع احتكار تجارة الشرق من مصر، و حــرمانها من المكــاسب الكبيرة التي كانت تشكل الجزء الأكبر من اقتصادها الذي تعتمد قوتها عليه، والعمل على الاتصــال بــالحبشــة المسيحيــة، و تحقيق التعــاون معهــا من أجل ضرب مصر عسكريا من الخلف و القضاء على المسلمين و مقدساتهم.[2]

وبعد مضي عشر سنوات جاء دور فاسكودي جاما ليكمل مابدأ بارثلوميو دياز في اجتياز رأس الرجاء الصالح و الوصول إلى شرق أفريقيا و الهند، وقد تمت رحلته في عهد الملك البرتغالي دون مــانويل (DON MANOUL) ١٤٩٥-١٥٢١م، وقد كانت الهنــد وقتئذ منقسمة، وكان كــل من السلاطين الأتراك و الأفغان يتنــافسون فيها، و يحتفظون للهندوس بالوظائف الصغيرة.

وبعد تمكن بــابر- الحفيد الخامس لتيمــور لنك- من مد حكمه من سمــرقند إلى كابــل ثم إلى دلهي، و انتصرت مدفعيتــه على أفيال الإقطــاعيين، و سيطر على شمال الهند بعد أن نشر الإرهاب على طريقــة أجداده، و أحرق النساء و الأطفال كما تمكن حفيده أكبر من إتمام عملــه، وتوحيــد كل الهند تحت حكمــه، ماعــدا أقصي الجنوب، فأصبح الخان الأعظم ي تمكن بذلك أحفاد المغول من حكم الهند.

---

(١) السيد رجب حــراز (دكتور): مرجــع سابق ص: ٣١٦، وانظر أحمد محمــود المعمري، عمان وشرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبدالله، عمان، ص: ٤٨

(٢) محمد عبــدالعال (دكتور): أضــواء جديدة على مــلامح فاسكو دي جــاما، مجلة الــدراسات الإفريقية، العدد الخامس، القاهرة، ١٩٧٦، ص: ١٥٥، ١٥٦.

و كانت بـلاد الهند بمحصولاتها الثمينـة و توابلها الشهية، و تجارتها الـرابحة الـوفيرة هي الهدف الأول للبرتغـاليين و محط آمـــالهم في مشروعـات الكشف الجغرافي[1].

وقد أدى نجاح بـارثلوميود ياز في اكتشاف رأس الرجـاء الصالح في فتح الطريق إلي الهند، حيث أصبح مفتوحاً أمام البرتغال وبقي على الملك مانويل (الملقب بالسعيد) أن يحقق ذلك الحلم. ولم يتم البت في الإقـدام على هـذه الحملـة إلا بعـد منـاقشـات طويلة، وفي المجلس الأكبر الذي بحث ذلك المشروع كانت المعارضة قوية وملحة تجاه الخطـة الموضوعـة للحملة، التي كـان كثير من أصحاب الـرأي و المشورة في البـلاد يظنون بأنها سراب خـادع، من المحتمل أن يدمر مـالية الدولة، غير أن الملك مـانويل وقف بقوة إلى جانب المشروع و أمر بتجهيز السفن المسلحة فورا للحملة..[2]

وقد رشح لقيـادة الحملة فاسكو دي جاما*، وهو نبيل من رجال البلاط الملكي وذلك لخبرته بـالبحار، فقـد سبق أن أرسله الملك جـون الثاني (١٤٨١-١٤٩٥م) على رأس بعض السفن لاكتشاف سـاحل إفريقيا، فعبرريـودوا انفانت (RIODO INFANT) شمالا.[3]

كما أرسل لـلاشتراك في بعض الغـزوات البرتغاليـة بعـد عـودته عـام ١٤١٩م لمحاصرة بعض السفن الفرنسية، بالإضافة إلى خدمته للملك جون الثاني.

وكان دياز قد نصح فاسكودي جـاما بأن السفن التي كانت معه لاتصلح لرحلة طويلة، كما أنها كانت غير صالحة للدخول في المواني الضحلة، و على هذا أشار عليه ببناء سفينتين إحداهما حمولة ١٢٠ طنا، وهي ساوجبرائيل، و الأخري حمولة ١٠٠

---

(١) جلال يحيى (دكتور): التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، الإسكندرية، ص: ٣٩١ - ٣٩٢.
(٢) بانيكار: مرجع سابق، ص: ٢٩
* انظر صورة للقائد البرتغالي فاسكو دي جاما (ملحق رقم٢٥) ص: ٢٨٧.
(٣) CORTESAO ARMANDO : THE MYSTERY OF VASCO DA GAMA, COIMPRA, 1973. P. 16.

طن وهي ساورفائيل، و الجدير بالذكر أن هذه السفينة قد غـرقت- فيمابعد- عند عودة الأسطـول البرتغالي من الهنـد، بالإضـافة إلى سفينتين أخـريين هما (كارمل) وهي سفينـة سريعة بينما كـانت الأخري سفينـة بضائع بقيـادة (جون الفـونس) ضابط العتاد الحربي.(١) وللأهمية القصوي التي علقهـا التاج البرتغالي على كشف الطريق الجديد إلى الهنـد، ذهب الملك مانويل بنفسه إلى المرفأ وحولـه أفراد الحاشية ليكونـوا في وداع فاسكـودي جامـا و أعضاء رحلتـه، وقد أبحـر دي جامـا مع بيتر الانكسير الذي كان مدير الدفة لسفن دياز.

ومن ميناء رستلو (RESTELO) أبحرت السفن من ثغر لشبونة في الثامن من شهـر يوليـو ١٤٩٧م* بين هتاف الجماهير وصيـاحهم، و كـانت سفينة القيـادة المسماة ساوجبرائيل و عليها القـائد الربان الأكبر تحمل عشرين مدفعـا و ترفع على ساريتها علما رسم عليه صليب كبير للمسيح، وهما الـرمزان اللذان اتخذتهما القوة الجديدة الزاحفة على الشرق، أمـا السفينة الثابتة ساورفائيل فقـد كانت بقيادة بول الشقيق الأصغر لفاسكو.(٢)

وكان عـدد بحارة الأسطـول مائة و خمسين بحـاراً، وزودت السفن بـالأجهزة الخاصة بالملاحـة، كما زودت بالخرائط اللازمة والكتب وقـد سلك الأسطول طريق من سبقوه.

ومن نصائح دياز لفاسكو دي جاما أن يترك أمـامه - وهو متجه جنوبا - جبهة بحريـة واسعة للاستفادة من هبـوب الرياح التجـارية في منطقة الرهـو الاستوائي بأفريقيا المداريـة، وقد استفاد فاسكـو دي جاما من النصائح التي قـدمت له، فبعد وصوله إلى جزر الرأس الأخضر، ارتحل إلى ميناء سـانتياجو حيث قضى به أسبوعا

---

(١) BESCE ANGELO : JIDDAH PORTRAIT OF AN ARABIAN CITY. ITALY 1977. P. 68

* انظر خط سير رحلة فاسكودي جاما من لشبونة إلى الهند والمحطات التي مر بها في غرب وشرق إفريقية (ملحق رقم ٨) ص: ٢٦٩.

(٢) وندل فيلبس : مرجع سابق، ص: ٣٧.

للـــتـــزود بـالمـــؤن.

أبحر دي جـاما في ٨ اغسطس إلى ســاحل أفريقيا، و بمســاعدة الـرياح اتجه إلى الجنوب الغربي مقتربـا من أمريكا، ثم بعد ذلك استفاد من الـرياح العكسية ليقترب مرة أخري مــن أفريقيا الجنوبية قـاطعا ٤٥٠٠ ميل في ثلاثــة عشر أسبوعا دون أن يرى جزيرة واحدة.(١)

وفي نوفمبر رأى فاسكو دي جـاما مع بحاريه اليابسة، ورســوا عند خليج أطلقوا عليه اسم خليج القـديسة هيــلانة (ST.HELENA,BEY)حيث قضــوا ثمانية أيام، ثم أبحروا مرة أخرى وعبروا رأس الرجاء الصالح(٢)، ومنه استمروا في رحلتهم على الساحل حيث وصلوا إلى إقليم (ناتــال) في يوم عيد الميلاد، و سميت هذه الأرض بذلك تيمنا بالمناسبة فكلمة (NATAL)تعني الميلاد.

وفي يناير ١٤٩٨م فقد دي جاما إحدي سفنه على الساحل الأفريقي شمال ناتال نتيجة العواصف الشديدة، فانتقل بحارتها إلى ظهر السفينتين الباقيتين(٣) ثم واصل الملاحة شمالا حتى ثغــر سفالــه قرب نهر كليماني (KILIMANT) حيث رسوا لمدة شهر كامل للتمرين و إصلاح السفن.(٤)

ثم أبحر فاسكو دي جاما مرة أخرى لمدة خمسة أيام فوصل إلى موزمبيق، حيث رحب بهم ملكها في بــاديء الأمر معتقــدا بأنهم من المسلمين، فلما عرف أخيرا بأنهم مسيحيون و غرباء عن الشاطيء الأفريقي أوقف التعامل معهم، وبدأ الشك يساوره من ناحيتهم. ولما كان كشف البرتغاليين عن أهدافهم في تلك المرحلة من شأنه أن يثير مشاعــر العداء ضدهم و يهدد بالقضــاء على جهودهم وآمالهم، ويعــرضـهم لأخطار محققة، لهذا عمل دي جاما على معاملة أهالي المناطق التي يصل إليها بالحسنى، ولم يلجأ إلى استخدام العنف إلا إذا اقتضت الضرورة وذلــك يتضح من تصريحاته، كما

(١، ٢) BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 68

(٣) أنور عبدالعليم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٧.

(٤) يسري الجوهري (دكتور) : الكشوف الجغرافية. الإسكندرية ١٩٦٧م، ص: ١٣٢ – ١٣٣.

ذكـر أحد البـاحثين، فقد حـدث ذلك أثنـاء تقدمــه على الشاطيء الأفـريقي الشرقي شمالا، إذ وجـد قاربـا عند مـوزمبيق على متنه بعض الـزنوج وأحـد البحارة ظنــه البرتغاليـون– في بداية الأمر– من المغـاربة، فلما اقترب من السفن البرتغاليـة، هرع الزنـوج، وألقوا بأنفسهم في البحـر وفروا إلى الساحل، أمـا البحار فقـد تم نقله إلى سفينة القيادة البرتغالية، حيث أحسن دي جاما استقباله، و اكتشف أنه رجل هندي من أهل كمباي (CAMBAY) ويدعى دافان و ليس عربيا مغربيا، وقد اتخذه دي جاما مستشـارا له، لأنه كان خبيرا بالتـوابل، ومن سماسرتها، وقد وافق دافان على مرافقة البرتغاليين إلى الهنـد وتعهد بتزويدهم بحمولة من التـوابل نظير توصيله إلى بلاده.[١]

ومن المسلم بــه أن الملاحين الهنـود كـانوا يـرتـادون المحيط الهنـدي إلى الشرق الأفريقي قبل ذلك بعـدة قرون، كما كانت السفن الهنديـة تتردد على مواني الساحل الأفريقي الشمالي و الخليج العربي.[٢]

وكـان وصول الأسطـول البرتغـالي إلى موزمبيق في وقت كـانت فيــه أربع سفن راسيــة في الميناء محملــة بالتـوابل وغيرهــا من البضـائع الهنـدية، فلم يتعـرض لها البرتغاليون بسوء.وطلبوا من حاكم موزمبيق تـزويدهم بالمرشدين فزودهم باثنين منهم، لكنهما هربا من البرتغاليين عندما علموا أنهم مسيحيون.[٣]

فقد قصف البرتغاليون المدينــة ودمروها مما ترك لدى سكـان السـاحل انطباعا مبكرا عن وحشية الغزاة القادمين إليهم.

وفي ١٠ مارس ١٤٩٨م أبحروا بقيادة فاسكـو دي جاما إلى ممبسه، التي وصلوا إليها في الســابع من إبريل بعد جهـد شاق و مقاومــة للعواصف، غير أنهم لم يجدوا ترحيبا من الحاكم و الأهالي، ولذلك لم يغامر دي جـاما بالرسو بأسطوله في ممبسه

---

(١) محمد عبدالعال أحمد (دكتور) : مرجع سابق ص: ١٥٦.
(٢) بانيكار : مرجع سابق، ص: ٣٠.
(٣) محمد عبدالعال أحمد : مرجع سابق، ص: ١٥٦ – ١٥٧.

خوفـا من احتمال قيام حاكمها بتـدمير سفنه وإغراقهـا، انتقاما لما فعله ضـد أهالي موزمبيق.(١)

وعلى أثر هـذا العداء الذي لقيه دي جـاما من كل من موزمبيق و ممبسـه نتيجةً طبيعية لسياسته العدائية التي مارسهـا ضدهما. اضطر إلى الإبحار بأسطوله فوراً تجاه ماليندي.(٢)

وقد أقام فاسكـو دي جاما بضعة أسابيع في مالنـدي وأخذ يجمع المعلومات عن أقرب و أسهل طـريق ملاحي يؤدي إلى الهنـد، ووطد عـلاقته مع حاكم مـاليندي- وكان يـدعى وجراج- الذي أحسن استقبالـه، وبالغ في الترحيب به، فقد كـان حاكم ماليندي رجلا ذا أطماع سياسيـة أراد أن يتخلص من تبعيته لسلطان كلوة وظن أنه سوف يتلقى تأييدا من القـادمين الجدد في الظفر بالاستقلال ولكنـه كان في ظنه من الواهمين الخاسرين.(٣)

ولما لمس دي جامـا الترحيب البالغ من حاكم ماليـندي طلب منه تزويده بمـرشد يصحبه في رحلته إلى الهند، فوافق ووعد بتحقيق طلبه، وفعلا أرسل إليه فورا الربان العربي و العالم الفلكي أحمد بن ماجد.(٤)

وقام بإرشـاد فاسكو دي جاما للـوصول إلى الهند، وقد ألقى البعـض مسئولية وصـول البرتغـاليين إلى الهند على أحمد بن مـاجـد، ومـاتـرتب على ذلك من تحويل

---

(١) جيان : مرجع سابق، ص: ص٢٠٩، وانظر: أحمد محمود المعمري: مرجع سابق، ص: ٤٩.
(٢) يقع اقليم ماليندي على خط عرض ٣ جنوب خط الاستواء، ويتبع حاليا جمهورية كينيا.
(٣) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور) مرجع سابق، ص: ١٢٢.
(٤) ابن ماجد هـو : شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمـد بن عمرو فضل ابن دويك بن يوسف بن حسن بن الحسين بن أبي معلق السعدي، بن أبي الركائب النجـدي، وقد ولد في جلفار من الخليج العربي وتسمى اليوم رأس الخيمة، إحدى إمارات دولـة الإمارات العربية المتحدة، وقد كان ابن ماجد بحـاراً مرموقا جم النشاط في المحيط الهندي، وبخاصـة في المنطقة الواقعة بين الساحل الشرقي لأفريقيا وبين الهند، وجاب الهنـد وسيام والزنج وفارس، والسند، والحجاز، واليمن، وهرمز،
انظر : د. أنور عبدالعليم، مرجع سابق، ص: ١٢.

التجارة من الشرق إلى الغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح مما ترتب عليه تغيير في موازين القوى، و تحويله لصالح البرتغال و تحقيق طموحاتها للسيطرة على تجارة الشرق، ومواجهة الدول الإسلامية و القضاء عليها.

وسوف نرى فيما بعد دور المماليك ضد الهجمة البرتغالية على الشرق الإسلامي.



الفصل الأول

الحملات البرتغالية للسيطرة على تجارة شرق أفريقيا

الفصل الأول

* **الحملات البرتغالية للسيطرة على تجارة شرق أفريقيا**
* **حملة كابرال ٩ مارس ١٥٠٠م**
* **حملة فاسكو دي جاما الثانية مارس ١٥٠٢م**
* **حملة فرانسكو دي الميدا ١٥٠٥م**
* **حملة ترستان داكونها إبريل ١٥٠٦ م**
* **حملة الفونس دي البوكيرك ١٥٠٧م**
* **محاولة البوكيرك الاستيلاء على عدن**
* **ردود الفعل على سياسة الاحتكار البرتغالية**

أولا : البندقية.

ثانيا : اليمن.

ثالثا : مصر.

رابعا : عرب الخليج و الساحل العماني.

الفصل الأول

الحملات البرتغالية للسيطرة على تجارة شرق أفريقيا

لماذا كانت هذه الحملات ؟؟

لما كانت أوروبا قد تعاملت مع العرب في المجال التجاري ، وشعرت بأهمية التجارة العالمية بين الشرق و الغرب التي سيطر العرب عليها حتى نهاية القرن الخامس عشر و وفرة الإيرادات التي امتلأت بها خزائن حكام الشرق الأدنى. هذا بالإضافة إلى احتكار البندقيه لنقل بضائع الشرق على أساطيلها التجارية و ماتدره هذه الوساطة عليها و بالتالي ارتفاع أسعار تجارة الشرق في أوروبا.

لذا فقد كانت هذه الأسباب الاقتصادية من أهم العوامل التي دفعت الأوربيين إلى حركة الكشوف الجغرافية لإيجاد طريق آخر للتجارة لايمر عبر الأراضي التي يسيطر عليها المماليك.

وقد وجدوا ضالتهم في طريق رأس الرجاء الصالح، و تشددوا في سبيل تحقيق هدف السيادة البرتغالية البحرية باحتلال المواني التجارية الواقعة على الطريق البحري بين الهند و رأس الرجاء الصالح، و جعلها مراكز منيعة للبرتغاليين والسيطرة على مداخل البحر الأحمر و الخليج العربي، و إغلاقها أمام التجار العرب.

ولذا فقد أرسلت البرتغال إلى المنطقة مجموعة من الحملات العسكرية لتحقيق أهدافها الاستعمارية. و سنمر سريعا بهذه الحملات:

أولا : حملة كابرال ٩ مارس ١٥٠٠كان من أهم نتائج حملة فاسكودي جاما أن وفرت للبرتغاليين بعد عودته إلى لشبونة- في أيلول ١٤٩٩م كل المعلومات الهامة والرئيسية لوضع الخطط الاستراتيجية المناسبة للاحتكار والسيطرة على الطريق المؤدي إلى الهند بأسرع وقت ممكن.*

* انظر الطرق التجارية البرتغالية المؤدية إلى الهند والخليج والبحر الأحمر (ملحق رقم٩) ص:٢٧٠

وقد أثـار الوجود العـربي في المحيط الهندي دهشة فـاسكو دي جامـا مما جعل القادة البرتغـاليين يدركـون حجم الصعوبات التي ستـواجههم من قبل المسلمين في تلك المنطقة، ودفعهم ذلك إلى التفكير و التخطيط للقضاء عليهم و التخلص منهم[١].

وبعد اكتمال المعلـومات تم رسـم الخطة التي بمـوجبها سوف تنطلـق الحملات البحرية المتتابعة إلى الهند، كما حددت أهدافها الاقتصادية و السياسية و الجغرافية بدقة.

وقد ساعد البرتغاليين على تحمل أعباء تمويـل هذه الحملات رجال المال في مدينة انفرس (انتورب) [٢]. فقد أدرك رجال المال الفوائد الكبيرة التي يمكن أن تعود عليهم من حركة الكشـوف في مجال التجارة العالمية فسارعوا بمـد البرتغاليين بالمال اللازم بعد تأكدهم من الأرباح الهائلة التي سيجنونها من وراء ذلك [٣].

وصمم عمانويل OMMANUEL ملك البرتغـال على الفـوز بسيادة البحـار فجهز أسطولا بحريا عظيما، وخلع عليه البـابا لقب (سيد الملاحة ر الفتح و التجارة في إثيوبيا و بلاد العرب وفارس و الهند)[٤]

وبمجرد عودة أسطول دي جاما إلى لشبونـه، كان هناك أسطول جديد يتجمع في تاجوس TAGUS للإبحار إلى الهند في أول فرصة ممكنة قبل أن يتمكن العرب في الهند من تسليح أنفسهم للدفاع، وحتى تفوت عليهم فرصة إثارة حاكم كانوري ضد البرتغاليين.

وكان من أهـداف هذا الأسطول إقـامة مصنع دائم في الملبار و إمـداده بـ١٢٠٠ رجل لمدة عام ونصف، كما جهـزوا شحنات للتجارة، وقد عين لقيـادة هذا الأسطول البحري المتجه إلى الهند بـدرو الفارس كابرال PEDRO ALFARES CA-

---

(١) محمد عدنان : مرجع سابق – ص: ١٢٤.
(٢) تقع مدينة انفرس على ساحل بحر الشمال البلجيكي، وهي لا تزال من أكبر مواني بلجيكا.
(٣) محمد عدنان: نفس المرجع السابق، ص: ١٢٥.
(٤) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ – ص: ١٤٣ – ١٤٤.

BRAL على رأس ثلاث و ثلاثين سفينة أبحرت من لشبونة في مارس ١٥٠٠م[١].

كان من رأي كابرال إقامة علاقات ودية مع زامورين حاكم قاليقوت الذي لم يكن له خيار- بسبب تفوق قوة البرتغاليين- سوي تلبية مطالبهم في إقامة المصنع بالمدينة غير أنه قد حدث في نهاية الأمر سوء تفاهم بينهما نتيجة لضغط الجالية الإسلامية أنهى الود بمذبحة ضد الحامية البرتغالية التي كانت تدير المصنع.

وكرد فعل من جانب البرتغاليين أحرق كابرال كل السفن الراسية بالميناء وأمطر البلدة بوابل مخيف من نيران المدفعية[٢]، وأسفرت العملية عن قتل أعداد كبيرة، وكان في نيته الاستمرار في قذف المدينة عدة أيام غير أنه قوبل بمعارضة من قباطنة السفن الذين حذروه من الخطر الداهم على أسطولهم من استمرار القذف بالنار فأبحر بأسطوله نحو الجنوب إلى كوشين COCHIN و منها إلى مالينـدي ثم لشبونة[٣].

وقبل عودة أسطول كابرال كانت حكومة لشبونة قد أعدت أسطولاً آخر للإبحار صوب الهند بقيادة جوادا نوفا GOADO NOVA الذي قوبل بأسلوب غير

---

(١) ظل كابرال مبحراً على ظهر أسطوله حتى خط الاستواء، ثم اتجه إلى الجنوب الغربي عبر الرياح التجارية، وضبط البوصلة ناحية الغرب لكن التيارات القوية وجهته نحو سواحل البرازيل بالصدفة. وكان هذا الكشف من حسن حظ التاج البرتغالي.
انظر: BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 72

(٢) قُدر عدد السفن بخمس عشرة منها ثمان كبيرة.

(٣) الفقيه الشيخ زين الدين: تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين لشبونة ١٨٩٨م، ويذكر الفقيه الشيخ في كتابه أن وصول البرتغاليين إلى الهند كان سنة أربع وتسعمائة من الهجرة النبوية ١٤٩٨م، وأنهم وصلوا إلى فندرينة في ثلاث مسماريات (أي ثلاث سفن ثبتت أخشابها بالمسامير) بعد انقطاع موسم الهند ثم خرجوا منها إلى بندر كاليكوت في طريق البر، وأقاموا فيها شهورا يتعرفون أخبار مليبار وأحوالها ولم يشتغلوا بالتجارة بل رحلوا إلى بلدهم برتكال وسبب وصولهم إلى مليبار على ما يحكي عنهم طلب بلاد الفلفل ليختص تجارته لهم فإنهم ما كانوا يشترونه إلا من الذين يشترونه ممن يجلبونه من مليبار بوسائط.
وذكر أنه بعد سنتين منها جاؤا في ست مسماريات ودخلوا كاليكوت على هيئة التجار واشتغلوا بالتجارة وقالوا لعمال السامري ينبغي منع المسلمين من تجاراتهم ومن السفر إلى بر العرب.

ودي بمجرد دخـوله إلى المياه الهنديـة من قبل زامورين حاكم قاليقـوت الذي صمم على إبـادة القوة، غير أن التفـوق البرتغـالي وقـوة النيران ساعـدت البرتغـاليين على الصمود أمام حاكم قاليقوت، بل وتوجيه ضربة ساحقة إليه.

ثانيا: حملة فاسكو دي جاما الثانية مارس ١٥٠٢

أدت الأنباء التي وصلت إلى لشبونة عن مذبحة الحامية البرتغالية التي كانت تدير المصنع، وما تعـرضت له القوات البرتغالية في الميـاه الهندية من مواقف عـدائية من جانب حاكم قاليقـوت وما نقله كابرال إلى حكومته عن الاشتباكـات الدائمة في الهند ضد قـوات بلاده إن صمم البرتغـاليون على إرسال أسطـول حربي قـوي إلى الهند لمواجهـة أية معـارضـة فتم تجهيز عشريـن سفينة وسلحت تسليحـا قـويا ثقيـلا، وأشرعتها مثلثة اقتبسهـا البرتغاليون من العرب، وكان تعـداد القوات التي استعدت للإقلاع على ظهر السفن ثمانمائة جندي[١]

وأسندت قيـادة هذه القـوات إلى فاسكـو دي جامـا الذي أبـدى تحمسا شـديدا لمعـالجة الأخطاء التـي وقعت للحاميـة البرتغـاليـة في قاليقـوت و الثأر من العـرب والقضـاء على نفوذهم التجـاري بـواسطة أسطـولـه البحري، وتمزيق كل قـواتهم التجارية لينفرد البرتغاليون باحتكار تجارة التوابل عن طريق رأس الرجاء الصالح.

وما كاد فاسكو دي جاما يصل إلى السواحل الأفريقية حتى بدأ أعماله العدوانية نحو سكان ساحل أفريقيا الشرقي - بـاستثناء ماليندي الموالية للبرتغاليين - ليثبت سيادة مولاه ملك البرتغال عمانويل EMMANUEL على البحار.

كما أقام مراكز للتوابل في كل من سفـالة و موزمبيق وكلوة، و استولى على بعض السفن العـربية التي تصـادف وجودهـا في مـاليندي وأخـذ كذلك يتعـرض للسفن العربية والإسلامية.

---

(١) يذكر ANGELO PESCE - ص: ٧٢، أن عدد السفن عشرون سفينة بينما يذكر محمد عدنان مراد في كتابه (صراع القوى) - ص: ١٢٦. أن عددها خمس عشرة سفينة فقط.

فعند وصـوله إلى الميـاه الهندية قـام في أول أكتوبـر ١٥٠٢م بأسر سفينة كبيرة يمتلكها سلطـان مصر تسمى مريم (MERIUM) كانت ترتبـط بتجارة مع جده وكانت محملـة بالتوابل كما كان عليهـا عدد من الحجاج الهنود يقصـدون بيت الله الحرام في مكة فعاملهم بوحشية لانظير لها لطخت اسمه للأبد في سجلات التاريخ.

وقد وصـف أحد المؤرخين وصفـا دقيقا سلـوك فاسكـو دي جامـا تجاه حادث السفينة الإسلامية في أول أكتوبر ١٥٠٢م قائلا[١]:

ذهبت سفينـة صغيرة إلى السفينة الإسـلامية وشـدتها بـالحبال، و مـا إن علم القبطان العام أنها من قاليقوت حتى أمر رجاله بسلبها فنفذ الملاحون أوامره ونقلوا كل حمولتهـا إلى سفنهم حتى أخلوهـا تماما ورفض دي جامـا الاستماع إلى أي من ركاب السفينة المور MOOR (أي المسلمين) ثم أمر بإشعال النيران فيها، ولم تجد محاولات قائد سفينة المسلمين وماقدمه من عروض على البرتغاليين.

فقد عرض أن يتجه معه إلى قاليقوت فيمـلأ له سفنه بالتوابل دون أن يدفع عنها شيئـا في مقـابل إطلاق سراح الحجـاج المسلمين و إخـلاء سبيلـه، فرد دي جـامـا قـائلا: "سوف تحرق حيـا لأنك حرضت ملك كـاليكوت ليقتل البرتغـاليين ويسلب المصنع. وحيث أنك قوي في كاليكوت حتى إنك تزعم منحي شحنة لهذه السفن فإني أقول إنـه ليس هناك شـيء أعـز في الوجـود من إذاقتك الموت مائة مرة إذا كـان هذا باستطاعتي.

ثم أمر بإعادته إلى سفينته و أشعـل فيها النيران- رغم محاولة ملاحي السفينة لإثناء دي جامـا عن عزمه للاستفادة من الثروة التي عـرضها القائد المسلم. غير أن محاولتهم لم تجد لدي القـائد البرتغالي سوى أذن صماء، وتحمل فاسكـو دي جاما كل المسئولية عن القرصنة و الفظاعة التي لامثيل لها.

---

(١) BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 79.

انـظـــر: شـوقـي الجـمـل : قضيـة روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحـدة الإفريقية، القاهرة، ص: ٥٦

وفي الوقــت الذي كــان البرتغاليــون يغادورن فيــه سفينة المسلمين بعــد إشعال النيران فيها كانــوا لايزالون يسلبون منها كل مــايجدونه مما سهل لبعض المسلمين الاستيلاء على الأسلحة التي تركها البرتغاليون فقتلوا البعض و جرحوا آخرين حتى اضطروهم إلى القفــز في البحر، وقــاموا بقطع الحبال المربــوطة بــالسفينة فتجمعت حولهم القوارب البرتغالية برجــالها المسلحين، وأظهر المسلمون- وكان عددهم يبلغ سبعمائة رجل- شجاعة نادرة، و أثبتــوا أنهم مقاتلــون بواسل لم يتورعوا عن بذل نفوسهم في الجهــاد بدلا من إهلاكهــا بالنــار فتمكنوا من الصعود على ظهــر سفينة فرانسسكو مــاركوس و حاربوا بشجاعة، غير أن السفن البرتغــالية أحاطت بهم من كل جانب و تمكنت من إبادتهم عن آخرهم(١)

وكان ممــا ذكر عن هذه المجزرة أن فــاسكو دي جاما أمــر قبل إشعال النيران في السفينة بالمحافظة على حياة عشرين طفلا أمر بتحويلهم إلى النصرانية في الوقت الذي أصدر فيه أمراً آخر بسبي نساء السفينة.

وبعد أن نفذ دي جامــا مذبحته في سفينة الحجاج المسلمين توجــه إلى الهند وعقد مع حاكم كــانوري معاهــدة تجارة، وأخذ منه عهــدا بإقامة المصنع البرتغــالي قرب الميناء ثم اتجه بأسطوله إلى كاليكوت وقام بمظاهرة بحرية في الوقت الذي أرسل فيه رسالة إلى زامورين يطلب فيها الترضية و إصلاح التخريب الذي حدث لمصنع كابرال ودفع تعويض مناسب عن حياة البرتغاليين وأملاكهم التي فقدوها أثناء الهجوم على المصنع المذكور (٢).

ولم ينتظر دي جاما رد رسالته بل إنه عاد إلى تصرفاته الوحشية وغير الإنسانية مرة أخرى فما أن اقترب من السفن غير المسلحــة في الميناء حتى أسر خمسين مواطنا هنديا رهينة، وأرسل تحذيرا للملك زامورين بأنــه إذا لم تصله منه إجابة واضحة في وقت محدد فإنه سوف يبــدأ الحرب ويقتل الرهائن، وعندما لم يصلــه الرد المطلوب

(١) BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 73 - 74

(٢) محمد عدنان مراد: مرجع سابق، ص: ١٢٦.

أمر بشنق ضحاياه التعساء وقام رجاله بالتمثيل بجثثهم بوحشية متناهية، ثم أمطر المدينة بوابل من مدفعية أسطوله ثم غادرها إلى كوشين حيث استقبلهم ملكها (ترايمومبار TRIMUMPAR) بترحاب كبير، ووقع معهم معاهدة صداقة وتجارة.[1]

وكان دي جاما وهو في طريقه إلى كانوري قد قسم أسطوله إلى مجموعتين :

الأولى : تضم ثلاث سفن كبيرة وخمس سفن شراعية صغيرة أسند قيادتها إلى فنسنت سودري (SODRE) وأمره بأن يسير بمحاذاة الساحل.

والمجموعة الثانية : تضم بعض الشحنات وبعض المراكب الصغيرة وعددها عشرة وجميعها تحت إمرته هو على أن تبعد قليلا في البحر.

ولم يكن زامورين حاكم كاليكوت غافلا عن تحركات أسطول دي جاما ولاعن أسلوبه الوحشي الذي اتسم بالهمجية في معاملة أهالي كاليكوت فأرسل أسطوله خلف البرتغاليين لتعقبهم، وكان هذا الأسطول يتكون من ٢٩ مركبا شراعيا بقيادة خوجامبار (KHOJAMBA) وهو ملاح عربي تمتع بشهرة واسعة بالإضافة إلى عدة دست من السامبوكة والمليبارية بقيادة خوجا قاسم وهو من أكفأ الملاحين المشهورين في هذا الساحل [2].

وإذا نظرنا إلى القوة العسكرية لكل من الطرفين نجد أن كفة الزامورين أو

---

(١) BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 74

(٢) السمبوكة : جمع سمبوك، وتطلق على السفن التي شاع استخدامها في عمان والخليج العربي والقرن الإفريقي والهند وهي من النوع الصغير الذي يُستعمل للأسفار والنقل كما تقوم هذه الأنواع بمهمة الاستطلاع نظرا لخفتها، وسرعتها حيث تسبق مثيلاتها من السفن الكبيرة الأخرى.

وقد أُطلق عليها ابن بطوطة في كتابه (تحفة الأنظار) جـ ١، بيروت ١٩٨٥م - ١٩٦ اسم صنبوق، حيث قال: «تصعد الصنابق وهي القوارب الصغار» ولكنه أشار إلى أن اللفظ غير عربي والعكس صحيح فهو عربي لأنها سميت سبوقة لسرعتها ووصفها العرب بالسبوق.

انظر الشيخ زين الدين - مصدر سابق، ص: ٣٩

الأسطول الشرقي كانت أكفأ وأرجح غير أن البرتغاليين يملكون أسطولا مزودا بمدافع أبعد مدى لمحاولة الإبقاء على مسافة معينة لمداهم تعينهم على النجاح في المعارك.

ونشبت المعارك بين الطرفين بقيادة أمير البحر المعروف قاسم - الذي أظهر براعة نادرة في المناورة للتخلص من قنابل الأسطول البرتغالي - من إلحاق الهزيمة بالبرتغاليين بالرغم من مدفعيتهم بعيدة المدى[1].

إلا أنه وبسبب هذا التفوق الواضح في المدفعية تمكن البرتغاليون في نهاية المطاف من إعاقة الجزء الأكبر من الأسطول الشرقي ثم هزيمته، وتلى ذلك - كعادة البرتغاليين - السلب والنهب ثم مذبحة رهيبة.

ولم يكتف دي جاما بما حققه من انتصارات على الزاموريين في مياه الهند، بل كلف قائده سودري بالبقاء بالخلف ليقوم بحملة تأديبية أخرى على كاليكوت وهو في طريقه إلى كانوري.

وفي كانوري حصل البرتغاليون على ملكية رسمية لقطعة أرض يقيمون عليها المصنع المنشود، وعين جل فرنار بوسا رئيسا له.

بدأ هذا الرئيس على الفور بجمع عدد كبير من قطع المدافع والذخائر والمؤن للمصنع وشرع في بناء حائط وسياج حول قطعة الأرض البرتغالية في الهند لتأمين المصنع من أي هجمات محتملة - كما حدث من قبل - وقد ترك دي جاما ست سفن ومائتي رجل بقيادة سودري، وأمره أن يتجول طوال الصيف على الساحل ويقوم باستفزاز مستمر لكاليكوت وملكها زامورين وأن يحرص على زيارة كوشين، ويفعل كل ما يأمره به ملكها، حيث أن هذه هي رغبة ملك البرتغال عمانويل.

ولم يمهل القدر سودري لتنفيذ هذه المهام الموكلة إليه فقد تحطم أسطوله على جزر كوريا موريا في نفس صيف ١٥٠٣م وغرق.

---

(١) محمد عدنان مراد : مرجع سابق ص: ١٢٦.

أما دي جاما فقد غادر ميـاه الهند متجها إلى لشبونة التي وصلها في أول ديسمبر ١٥٠٣م حاملا ثروة عظيمة سلبها من السفن العربية والإسلامية.

وقد قدرت شحنته بـ ٢٤,٠٠٠ دوكات ذهبية DUCATS وكانت تضم ٣٥٠٠ طن من التوابل، ٥٠٠ طن من الفلفل وبعض الذهب الذي حصل عليه من سلطان كلوة بالإضافة إلى تمثال من الذهب يزن ٤٠ رطلا مع زمردتين ثمينتين سلبهما من أسطول الزامورين بعد هزيمته واحتفظ بهما لإهدائهما ملك البرتغال(١).

وقبل عودة فاسكو دي جاما كانت هناك حملة بحرية أخرى قد أقلعت من البرتغال في السادس من أبريل ١٥٠٣م وأسندت قيادتها إلى ثلاثة من كبار القادة وهم الفونسو دالبوكيرك وأخوه فرانسسكو وانطوان دي سالدانها (٢).

وكان من أهم أهداف البوكيرك عند وصوله إلى الهند الانتقام من زامورين صاحب كاليكوت – الذي كان قد تمكن – بعد عودة دي جاما – من التغلب على كوشين وإحراق مدينته والقضاء على الحامية البرتغالية فيها.

وقد تمكن البوكيرك من تنفيذ مهمته وأجبر زامورين على إقامة قلعة برتغالية في بلاده، كما ألزمه بدفع غرامة عينية كبيرة ومنع تصدير تجارة بلاده إلى البحر الأحمر كما عمل البوكيرك على تمكين مركز بلاده في كوشين إلى جانب تدعيم مركز الحامية البرتغالية فيها بإمدادها بالسلاح والعتاد ثم ترك أخاه فرانسسكو وانطوان في مجموعتين من السفن، وعاد إلى البرتغال.

وسعى البوكيرك أثناء وجوده في الهند إلى الاستفادة من جمع المعلومات ووضع الخطط عن المنطقة ضمنها تقريره الذي قدمه إلى الملك عمانويل – بعد عودته سنة

---

(١) BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 74 - 75

(٢) يذكر، د. محمد عبدالعال في كتابه: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨ – ٩٢٣هـ) ١٢٣١ / ١٥١٧م، الإسكندرية ١٩٨٠م، ص: ٤٨١ أن الحملة غادرت لشبونة في ٦ إبريل سنة ١٥٠٣م، بينما يذكر ما يلز أن الحملة غادرت لشبونة في ٦ فبراير من نفس العام.

١٥٠٤م – بالإضافة إلى مقترحاته للمشروعات العديدة التي يرى إقامتها في المنطقة ليضمن لبلاده السيطرة البحرية.

وكانت تسيطر اعتقادات مفاداها أن مشروعاته كلها قابلة للتحقيق بسبب ضعف الشعوب الآسيوية.

وقد طرحت فكرة البوكيرك وخطته على المجلس البرتغالي لمناقشتها، ورغم اعتراض بعض النبلاء عليها أمثال الماركيز سادانا وغيره إلا أنها قد اعتمدت بسبب مساندة الملك لها وتعهده بإتمامها.

وقد أدت السفن التي تركها كل من دي جاما والبوكيرك في المياه الهندية مهام جسيمة وأكثر البرتغاليون من بناء القلاع في تلك المناطق مما سهل للبرتغاليين مهاجمة السفن التجارية الإسلامية المتجهة إلى البحر الأحمر أو القادمة منه على السواء، وترتب على ذلك أن احتلت البرتغال مركز الصدارة في التجارة الشرقية.

هذا بالإضافة إلى ماكان يراود البرتغاليين من أمل في الاتصال بملك الحبشة المسيحي للتحالف معه في رسم مخطط لضرب القوى الإسلامية والولوج بمساعدته إلى مكة المكرمة لضرب العالم الإسلامي في أغلى مقدساته (١).

ولهذا فقد استمر تدفق الأساطيل من لشبونة إلى المياه الهندية، ففي سنة ١٥٠٤م غادر البرتغال أسطول آخر متجها إلى الهند لتحقيق هذا الهدف وتمكن من إيقاع مجموعة من السفن العربية القادمة من جدة في كمين نصب لها، واستمر في تطبيق سياسة الانتقام ضد السفن الإسلامية القادمة من البحر الأحمر، كما قام بمساعدة ملك كوشين ضد السفن التي كانت راسية في ميناء كاليكوت وقام بتدمير مجموعة منها قبل خروجها من الميناء وحقق انتصارا على ملكها زامورين.

وبعد أن استقر البرتغاليون في كشي «كوشين» فرضوا على جميع السفن التجارية

---

(١) فائق بكر الصواف ومصطفى رمضان: اهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، القاهرة : ١٩٨٠م – ص: ٢٦٤.

أن تحمل ورقة بمثابة جواز مرور ودفـع رسوم للحصول على هذه الورقة لتمكنهم من المرور بعرض البحر بســلام، وإذا وجد مركب ليس به ورقتهـم أخذوه ومن فيه ومافيه [١].

ثم عاد الأسطـول إلى البرتغال حـاملا معـه ماجمعـه من أسلاب قـدرت بأربعة وعشرين ألف قنطار من التوابل[٢].

وقـد شملت هذه الكميـة بعض الهدايـا التي قـدمها ملك كـوشين المتحـالف مع البرتغاليين إلى عمانويل ملك البرتغال [٣]* .

ثالثا : حملة فرانسسكو دي الميدا ١٥٠٥م FRANCISCO DA ALMIDA

بحلول سنـة ١٥٠٥م تبدأ مرحلـة جديدة في الصراع العـربي البرتغالي في المحيط الهنـدي، فقـد قرر عمانـويل ملك البرتغـال، «وهـو أول من حمل لقب سيـد الفتح والملاحة والتجـارة في الهند والحبشة وجـزيرة العرب وفـارس» أن يقضي على تفوق الدول العربية التجاري مرة واحدة عن طريق احتلال عدن وهرمز وملقا والاستيلاء على القواعد العربيـة في أفريقيا [٤]، فاستقـر رأى ملك البرتغال على تعيين نـائب له بصفة دائمة في الهند، ويتولى توجيه السفن المتجهـة من لشبونه إلى المياه الهندية بما يخدم ويحقق المصالح والأهداف البرتغاليـة، ووقع الاختيار على الدوق فرنسيسكو دي الميدا ليكون أول نـائب لملك البرتغال في المستعمرات البرتغـالية في الشرق، فغادر لشبـونة في ٢٣ مـارس ١٥٠٥م على رأس أسطـول كبير بلغ عـدده ثلاثـاً وعشرين سفينة [٥]، كما ضم إلى جـانب السفن الحربيـة أسطـولاً تجارياً، وكـان دي الميـدا بعكس القادة البرتغـاليين الآخرين محبا للأســاليب السلمية والسياسية في معـاملة

(١) الفقيه الشيخ زين الدين – مصدر سابق، ص: ٢٦٤
(٢) محمد عبدالعال أحمد (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٨٧.
(٣) a. n. t. t. c. c. i. 12 - 35.
* انظر ملحق رقم (٢٩) الخاص بالوثيقة رقم ٣٥ – ١٢ – ١ ص: ٣٠٥ – ٣١٢.
(٤) لوريمر : دليل الخليج، القسم التاريخي، ص: ١١، ١٢.
(٥) دفي جيمس: البرتغاليون في أفريقيا، ص: ٨٢.

الشعوب، في الوقت الذي عمل فيه على تثبيت قواعد الوجود البرتغالي في الهند فجعل من كوشين مقراً لقيادته، وكانت سياسته تهدف إلى حصول البرتغال على السيادة البحرية لتأمين طرق التجارة فعمل على التحكم في مداخل البحار وقطع شرايين التجارة العربية والقضاء على نفوذ العرب الذين كانت لهم السيادة التامة على طريق التجارة ويعملون كوسطاء في نقل منتجات الهند والشرق الأوسط إلى أفريقيا واستولى البرتغاليون على سفالة SOFALA وكلوه KILWA وممبسه MOM-BOSU [1]، وكان دالميدا يرى أن المحيطات لاتحتاج إلا لعدد قليل من الجنود، وخلافاً للمستعمرات التى تتطلب أعداداً كبيرة منهم، فكانت خطته تتبلور في قول باكون (BACON) «إن من يتحكم في البحر يصبح ذا حرية كبيرة، ويمكنه الاشتباك في حرب واسعة أو ضيقة كيفما يشاء [2].

رابعاً : حملة ترستان داكونها ابريل ١٥٠٦م TRISTAN DA CUNHA

حرص الملك عمانويل على تدعم حملة دالميدا لتحقيق السياسة المرجوة من ورائها وهي السيطرة على طرق التجارة الدولية والقضاء على نفوذ العرب التجاري، فسارع بإمداده بحملة بحرية كبيرة أسندت قيادتها إلى ترستان داكونها عام ١٥٠٦م على رأس أسطول من ١٦ سفينة ضم إلى جانب السفن الحربية سفنا أخرى تجارية، وكان الفونس د البوكيرك مسئولا عن الناحية العسكرية لتلك الحملة التي عززت بأسطولين آخرين في سنة ١٥٠٨ [3].

وكان ترستان داكونها قد تلقى الأوامر بالإبحار إلى سوقطرة * ، لإنشاء قلعة فيها لحماية المسيحيين المقيمين في تلك الجزيرة بالإضافة إلى استخدامها كقاعدة لتمويل الأسطول المكلف بمواجهة الأسطول المصري، كما عهد إليه أيضاً بفرض

---

(١) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٥٦، ٥٧

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن، ص: ٧٦.

(٣) محمد عبدالعال (دكتور): مرجع سابق، ص: ٤٨٨

*انظر موقع جزيرة سوقطرة (ملحق رقم٣) ص: ٢٦٤

حصار كامل على البحر الأحمر، وإغلاقه في وجه التجارة الهندية [1].

على أن يغادر الجزيرة إلى الهند مع بعض قطع الأسطول بعد إتمام إنشاء القلعة المذكورة، ويترك بقية قطع الأسطول تحت تصرف البوكيرك للقيام بالهجوم على جدة وعدن، ثم تدمير المدينتين المقدستين مكة والمدينة، واعتراض سفن التجار العرب، كما كان يحمل معه رسالة سرية من ملك البرتغال بتعيينه نائبا للملك وحاكما لمستعمرات البرتغال بدلا من دالميدا [2].

وتمكن داكونها بعد محاولات وخسائر كثيرة في الرجال من الوصول إلى جزيرة سوقطرة في منتصف عام ١٥٠٧م وفي أثناء سيره بالأسطول انضمت إليه السفينة البرتغالية فلورد يليمار بقيادة الكابتن جواد نوفا، الذي كان قد توجه إلى الهند بأسطول آخر. وقد كانت سوقطرة في ذلك الوقت تخضع لحكم السلطان إبراهيم الذي رفض السماح للبرتغاليين بالنزول إلى الجزيرة أو أن يسلم بمطالب القائد البرتغالي، مما جعل داكونها يعمد إلى إصلاء حامية البلدة بوابل من نيران أسطوله، وتمكن في نهاية الأمر من احتلالها، رغم المقاومة الباسلة التي أبداها المدافعون عن البلدة، وقام البرتغاليون بإعادة بناء القلعة التي أطلقوا عليها اسم (السينت توماس) وعين دوترونا قائدا على الحامية [3].

وتذكر المراجع أن خلافاً قد حدث بين داكونها والبوكيرك حول الأفضلية في العمل واتجاه الحملة، إذ كان رأي البوكيرك الاتجاه رأساً إلى رأس جارد أفوى (قرن أفريقية) الواقع في شمال الصومال ثم احتلال سوقطرة قبل التوجه إلى الهند [4].

---

(١) جزيرة سوقطرة: تقع بالقرب من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية إلى الشرق من عدن، وهي جزيرة جبلية وعرة قليلة السكان تنتشر حولها الشعب المرجانية، ولها أهمية استراتيجية لمن يريد التحكم في مدخل البحر الأحمر،

انظر بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، والمتأخر ج – ا، ص: ١٥

(٢) لوريمر: مرجع سابق. جـ١، ص: ١٢.

(٣) مايلز: الخليج، بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله مسقط ١٩٨٦م، ص: ١٥٠.

(٤) محمد عدنان مراد، مرجع سابق، ص: ١٢٨.

غير أن الخلاف بين القائدين تمت تسويته بعد احتلالهم الجزيرة التي كانت تتحكم في الطريق البحري المؤدي إلى البحر الأحمر، في الوقت الذي تصلح فيه لاتخاذها قاعدة لشن الغارات على سواحل حضر موت وعمان وهرمز. وفي نهاية شهر يونيو ١٥٠٧م كانت جميع أمور الجزيرة قد تم تسويتها، وأصبحت الظروف مواتية لكل من القائدين أن يفترقا، كل منهما في طريقه حسب الخطة المرسومة لهما من جانب ملك البرتغال عمانويل، فتم توزيع قطع الأسطول عليهما، وكان من نصيب البوكيرك سفينة القيادة (سيون)، ثم غادر داكونها بنصيبه من الأسطول إلى الهند في يوم ٧ اغسطس ١٥٠٧م، تاركا للبوكيرك حرية التصرف في ممارسة عملياته الحربية ضد التجارة العربية [١]، وهكذا تركزت جهود داكونها على إغلاق جميع الممرات المؤدية إلى المحيط الهندي والاستيلاء على الموانىء الاستراتيجية مثل هرمز وعدن [٢].

خامساً: الفونس دي البوكيرك عام ١٥٠٧م -ALFONSO DE ALBU QUERQUE

يرتبط ذكر الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في المياه الهندية والبحر الأحمر بسيرة الفونس دي البوكيرك الذي وفد إلى الشرق سنة ١٥٠٢م للانتقام من زامورين حاكم كاليكوت وإخضاع بلاده لخدمة النفوذ البرتغالي في الشرق [٣].

وخلال مدة إقامة البوكيرك في الهند، وضع خطة حكيمة لتحقيق سيادة البرتغاليين البحرية وذلك بإحلال الموانىء التجارية الواقعة على الطريق البحري بين الهند ورأس الرجاء الصالح وجعلها مراكز منيعة للبرتغاليين، بينما كانت عودته الثانية إلى المياه الهندية عام ١٥٠٦م ضمن حملة داكونها وكان يحمل معه أمراً سرياً من ملك البرتغال عمانويل بتعيينه نائباً للملك في الهند خلفا لدى الميدا نائب الملك السابق في الهند منذ ١٥٠٥م [٤].

---

(١) مايلز: مرجع سابق – ص: ١٥٠
(٢) محمد عبدالعال (دكتور): مرجع سابق، ص: ٤٨٩
(٣) المسيو جياب: مصدر سابق، ص: ٢١٥
(٤) A. T. T. C. C - I - 44.

وهناك تساؤل قد يطرح نفسه عن الأسباب التي دفعت الملك عمانويل لتعيين البوكيرك نائبا في الهند، ومدى كفاءة البوكيرك نفسه لتولى هذا المنصب الخطير، والحقيقة أن البوكيرك كان من طبقة النبلاء البرتغاليين، وكان قد حصل على تجارب حربية واسعة خلال اشتراكه ضمن القوات المرابطة في الشمال المغربي الأفريقي لمقاتلة العرب بعد خروجهم من البرتغال كما عمل في البحر تحت قيادة القائد البرتغالي كابرال ووصل مع ابن عمه فرنسسكو إلى كوشين وقام بتحصين المدينة وتوفير الحماية لها وبناء أول قلعة برتغالية في آسيا، ووضع فيها حامية، وفتح مركزاً تجارياً في (كويلون) وبعد أن عاد إلى لشبونة عام ١٥٠٤م استقبله الملك عمانويل وأصبح من مستشاريه في وضع السياسة الخارجية التي كانت تهيمن عليها روح صليبية ورثها هو ومليكه من جدهم جون الثاني. وكان البوكيرك* نفسه يكن حقداً لامثيل له للعرب والمسلمين، وعندما كلف بالحملات البرية والبحرية كان همه القتل ونشر الذعر في كل المناطق الساحلية. فعندما احتل جوا – فيما بعد – أبلغ مليكه «بأنه وضع السيف على رقبة كل عربي حيثما أمكنه العثور على عربي، وكان إفلاته من يدي من المحال، وقد ملأت بهم المساجد وأضرمت بها النار» (١).

وقد كانت التعليمات التي صدرت للبوكيرك – كما جاء في يومياته – تقضي بأن يقوم بعد الاستيلاء على سوقطرة بتدمير مدينة هرمز، وأن يعمل كل مافي وسعه لاعتراض وعرقلة النشاط الملاحي العربي المتجه إلى الشرق عبر الإسكندرية والبصرة وذلك قبل أن يبدأ بالهجوم العسكري على المنطقة نفسها (٢). وكان البوكيرك يحمل معه أيضا الموافقة على خطته التي عرضها مسبقا على الملك البرتغالي، وهي سد منافذ التجارة الإسلامية المتمثلة في البحر الأحمر والخليج العربي (٣).

---

* انظر صورة البوكيرك القائد البرتغالي (ملحق رقم ٢٤) ص: ٢٨٦.

(١) محمد عدنان مراد: مرجع سابق، ص: ١٢٩ – ١٣٠

(٢) مايلز: مرجع سابق، ص: ١٥١

(٣) صلاح العقاد (دكتور): التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٧٤م، ص: ١٤ – ١٥.

محاولة البوكيرك الاستيلاء على عدن :

توالى ظهور السفن الحربية البرتغالية واستخدامهم للطريق البحري إلى الهند واستقر رأى البرتغال على ضرورة تجول بعض سفنهم الحربية أمام مدخل البحر الأحمر وتدمير السفن العربية التي تحاول الخروج منه، وكذلك السفن العربية التي تتجول في المحيط الهندي. وقد كان للوجود البرتغالي الغربي،أثر ضاغط على التجار العرب في البحر العربي والموانىء الواقعة على الساحل الهندي الغربي وازداد ظهور ذلك الضغط بمضي الوقت، وأصبح واضحا أن هدفهم النهائي هو القضاء نهائياً على طرق التجارة السابقة، ووقف سير التجارة الشرقية بين الهند والبحر الأحمر [١].

وكان البوكيرك يؤمن بأن التفوق البحري هو الذي يؤمن الحفاظ للإمبراطورية البرتغالية الفتية دون بعثرة جهود الشعب البرتغالي في ضم ممتلكات شاسعة لايقوى على الاحتفاظ بها بسبب عدده المحدود، والاكتفاء بالسيطرة على المنافذ البحرية كشرط ضروري لضمان التفوق البحري وحصر التجارة بيد البرتغاليين باعتبارها الهدف الاقتصادي الأول. ولذا فقد حدد البوكيرك النقاط الرئيسية التي تكون قواعد إمبراطوريته الجديدة وهي (هرمز) للسيطرة على منافذ الخليج العربي ثم (سوقطرة أو عدن) للسيطرة على مدخل البحر الأحمر الذي كان يمثل طريق الاتصال مع أوروبا عن طريق برزخ السويس، ثم (ملقا) للسيطرة على مضيق ملقا بحيث تتم مراقبة كل السفن الذاهبة أو القادمة من المحيط الهندي والشرق الأقصى، ثم (سيلان)، وتكملة هذه القواعد بما كان لدى البرتغاليين من قواعد في شرق أفريقيا، ولتحقيق المراقبة الفعلية والحماية الضرورية كان لابد من بناء قلاع دائمة تقيم فيها حاميات برتغالية، وإيجاد مستوطنات بقربها لتكوين مراكز تجارية،

---

(١) سعد زغلول عبدربه (دكتور): البرتغاليون والبحر الأحمر، جامعة عين شمس، سمنار الدراسات العليا، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة ١٩٨٠م ، ص: ٢٠٧.

وتنحصر مهمة هذه القلاع في حماية المصالح التي تمثلها هذه المراكز، ونشر النفوذ البرتغالي في البر [١].*

وكان قد تبين للبرتغاليين أن موقع سوقطرة لايمثل المفتاح الحقيقي للبحر الأحمر، وأنهم إذا ماأرادوا إحكام إغلاقه أمام السفن التجارية العربية فعليهم احتلال عدن التي تمثل المدخل الحقيقي له. ويتضح ذلك من كتاب البوكيرك للملك عمانويل حيث كتب يقول: «لابد من أسر عدن واحتلالها بالقلاع، ففيها ميناء طيب يستطيع تقديم الحماية لأساطيلنا في الشتاء، وآخر الأخبار عنها أن الحوائط والأسوار قد أقيمت بها ودعمت وتلقت كميات كبيرة من المدفعية من ملك إياز حاكم ديو Diu الذي يظن أنني لاأعلم شيئا عن ذلك، وأنا أعتبر عدن مفتاح المضايق ولاينبغي لجلالتكم عقد أية معاهدة تجارة مع أي من بربرة أو زيلع ولكن تفرض إتاوة عليها ويخضع سكانها لكم [٢].

وقرر البوكيرك فعلاً الاستيلاء على عدن فخرج من جوا في ٨ فبراير سنة ١٥١٣م بأسطول كبير من عشرين سفينة تحمل على ظهرها قوى عسكرية بلغ تعدادها ألفين وخمسمائة مقاتل، ووصل إلى عدن في ٢٤ مارس ١٥١٣م، وفرض البوكيرك الحصار حول مدينة عدن ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها لقوة تحصيناتها الطبيعية وقد كان هدف البرتغاليين من هذا الحصار هو إسقاطها والاستيلاء عليها، واستخدامها قاعدة عسكرية يستطيعون عن طريقها السيطرة على البحر الأحمر، ومنع الأسطول المصري المعادي لهم من الخروج إلى المحيط الهندي، والقضاء عليه إن أمكن ومهاجمة سفن المماليك وطردهم من الهند، وبذلك يقضون على آمال أمراء

---

(١) محمد عدنان مراد: مرجع سابق، ص: ١٣٠ - ١٣١.
انظر : رسالة راشد ركن وزير هرمز لعمانويل ملك البرتغال مؤرخة في ٢٧ مارس عام ١٥١١م، ضمن الوثائق التي أعدها مركز الوثائق والدراسات - أبوظبي.
* ملحق (رقم ٢٦) ص: ٢٨٨.
(٢) BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 78.
ANTONI RAYMUNDO : CARTAS DE AFFONOS ALBUQUERQUE LISBOA 1884, P. 167.

الهند في وصول الإمدادات العسكريـة لهم من مصر، فتضعف مقاومتهم مما يساعد على استقرار الأمور للبرتغاليين في الهند [1].

ولما كانت أخبار حملة البوكيرك قـد سبقت وصولها إلى عدن، فقد فـوّت ذلك على البرتغاليين عنصر المفاجأة التي كانـوا يهدفون إليها، فاتخذ حاكم عدن لـلأمر عدته واستعد للقاء البرتغاليين، فقام بتحصين المدينة والاستعداد للدفاع عنها [2].

وعند وصول البرتغاليين كـانت بالبندر [3] مجموعة من المراكـز العربية راسية بالميناء اضطر أهلها إلى تركهـا والاحتماء في المدينة وعلى الرغم من انتفاء المفاجأة، إلا أن البرتغاليين تمكنـوا من التقدم إلى الميناء وإحـراق وتدمير معظم المراكب الـراسية بالميناء ثم استـولوا على دار البندر [4] وأمطروا المدينة من مـدفعية أسطولهم [5]، فخشي حاكم عدن الأمير مرجان مـن تدميرها على أيدي البرتغاليين فأراد أن يهادنهم تجنبا لما قـد يصيب بلاده من كـوارث إذا ماحاول التصـدي لهم فأرسل لهم بعض الهدايا على سبيل الضيـافة، وطلب عقـد هدنـة معهم غير أن البرتغاليين أعـادوا إليه هداياه ورفضوا اقتراحه بعقد الهدنة، بـل هددوا بالاستيلاء على المدينة بالقوة إذا لم يستجب لطلبهم ويسلمهـا لهم دون قتـال، ومُنح مهلـة لتنفيـذ ذلـك حتى اليـوم التالي [6].

---

(١) سعد زغلول عبدربه: مرجع سابق، ص: ٢١١

A. N. N. T. T. C. C. I - II - 478

التقريـر المرسل من قبل اندرو مستشـار رودس للملك البرتغالي عمانويل مـؤرخ في ٩ مارس ١٥١٢م، ملحق (رقم٢٧) ص: ٢٨٩ - ٢٩٩.

(٢) أحمد فضل بن علي العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ص: ٩٢.

(٣) البندر: كلمة فارسية معربة، تعني المرسى والميناء والمكلا والمدن البحرية ومقر التجار.

(٤) عبـدالرحيم عبـدالـرحمن (دكتور): النشـاط التجاري في البحـر الأحمر في العصر العثماني ١٥١٧ - ١٧٩٨، ص: ٢٤٥، وتقع دار البنـدر على جبل صيرة المواجـه لعـدن والمشرف على مينائها. (انظر بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج١ ص: ١٢ - ١٣.

(٥) سعد زغلول عبدربه: مرجع سابق ص: ٢١١ / ٢١٢ و(قلادة النحر جـ ٣، ص: ١١٩٤).

(٦) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن، :ص: ١٦.

وبما أن حاكم عدن قد رفض تسليم عدن لهم، فقد هاجموها، وتمكن بعض أفرادهم تسلق الأسوار والنزول إلى المدينة، وحصل بذلك بعض الضرر.

فكان لهذا الحدث أثره السيء على الأمير مرجان الذي هم بالتسليم، إلا أنه عدل عن ذلك بسرعة لما رآه من استماتة أهل المدينة في الدفاع عنها واستبسالهم في المقاومة رغم قلة مالديهم من إمكانيات غير أن أهم أسلحتهم التي شدت من أزرهم روح الجهاد التي تحلوا بها والذي أصبح في تلك اللحظة فرض عين على كل مسلم للذود والدفاع عن وطنه وكيانه الإسلامي فتجمع عدد كبير من الأهالي وهاجموا البرتغاليين بكل ماوقع تحت أيديهم من حجارة في مواجهة الأسلحة النارية، مما شجع الأمير مرجان على رفض التسليم وقوى عزيمته، وهاجم بمن معه من نزل من البرتغاليين داخل المدينة، وتغلب عليهم وأجبرهم على الفرار حاملين خزي الهزيمة، كما قام بمحاصرة من تبقى منهم وأشعل النيران في الأحواش التي احتموا بها مما اضطرهم إلى إلقاء أنفسهم من الأسوار، في الوقت الذي قام فيه الأسطول البرتغالي بقصف المدينة بوابل من النيران لتغطية انسحابهم[(١)] .

وهكذا فشلت محاولة البرتغاليين للاستيلاء على عدن، فانسحبوا منها بعد أن سقط منهم بعض القتلى، وأسر منهم أربعة آخرون، ولإشباع رغبة الانتقام لدى البرتغاليين على هزيمتهم في عدن قاموا عند انسحابهم بإشغال النار في المراكب الراسية في الميناء[(٢)]* .

اتجه البرتغاليون – بعد فشلهم في احتلال عدن – إلى باب المندب ومنه إلى البحر

---

(١) محمد عبدالعال (دكتور): مرجع سابق، ص: ٥٠٥ – ٥٠٦، و(قلادة النحر جـ ٣، ص: ١١٩٥.

(٢) سعد زغلول عبدربه: مرجع سابق، ص: ٢١٢

*انظر تحصينات عدن (ملحق رقم٢١) ص: ٢٨٣.

الأحمر بحذاء ساحله الشرقي متجهين إلى الشمال حتى وصلوا إلى جزيرة كمران[1]. في إبريل ١٥١٣م، فاستولوا عليها، وعاثوا فيها فساداً، وكما هي عادتهم في إرهاب السكان دمروا مبانيها وقتلوا من وجدوه فيها من السكان اليمنيين بما فيهم حاكمها الشريف محمد بن عبدالعزيز سيفان وعددا من موظفي إداراته دون أن يحرك سلطان اليمن ساكنا لمقاومة البرتغاليين أو نجدة أهالي الجزيرة.

وفي نفس الوقت عانى البحارة البرتغاليون كثيراً في الجزيرة وزادت نسبة الوفيات بينهم بسبب المرض والطقس السيء ونقص الغذاء، مما جعلهم يغادرون كمران في يوليو ١٥١٣ م [2].

ورغم نجاح البوكيرك في الوصول إلى كمران واحتلالها دون مقاومة تذكر إلا أنه لم يستطع الوصول إلى ميناء جدة لتحقيق أهدافه الصليبية وهي الدخول في البحر الأحمر واقتحام المسجد الحرام (الكعبة الشريفة) ثم مواصلة الزحف منها على المدينة المنورة لنبش قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ثم استئناف الزحف على تبوك ومنها إلى بيت المقدس والاستيلاء على المسجد الأقصى، وبذلك تقع المساجد الثلاثة في أيدي البرتغاليين [3].

---

(١) تقع جزيرة كمران على بعد مائتي ميل شمال مضايق باب المندب وعلى بعد يسير لا يتعدى ثلاثة أميال من ساحل اليمن الشمالية وتقع في مواجهتها مدينة الصليف الشهيرة بجبال الملح، وهي أكبر جزيرة في مجموعة الجزر الصغيرة والمرتفعات الضحلة المتناثرة في تلك المساحة وتعرف كلها باسم كمران، وتقع الجزيرة على خط الطول ٤٢ درجة و٣٦ قدما، و٥١ بوصة شرقا، وعلى خط العرض ١٥ درجة و٢٠ قدما و٢٠ بوصة شمال.
وقد جاء هذا الاسم في كتاب الهمداني (صفة جزيرة العرب) ص: ٢٥، بعد حديثه عن بلاد المهدي: «ثم ينعطف البحر على اليمن مغرباً وشمالاً من عدن فيمر في ساحل لحج وابين وكثيب بيرامس وهو رباط وسواح بني مجيد من المندب فساحل العميرة.. كمران»
انظر حمزة على لقمان: تاريخ الجزر اليمنية، بيروت ١٩٧٢م، ص: ٩.
* انظر موقع جزيرة كمران (ملحق رقم٣) ص: ٢٦٤.

(٢) BESCE ANGELO : CIT. P. 79

(٣) ابن الديبع (عبدالرحمن بن علي الديبع) قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الاكوع، ص: ١٤٨.

وقد أفصح البوكيرك عن مخططه هذا في رسائله للملك عمانويل والتي قال في إحداها «كما أعلمكم أننا نستطيع أن نوجه نظرنا إلى مكة والسويس وحيث أن هناك كثيراً من الخيل في مقاطعات برستوجون (يقصد الحبشة) فإنه يكون من السهل تجهيز ٥٠٠ فارس برتغالي بمعداتهم للنزول في جدة، ومن هناك ينتقلون إلى مكة وهي رحلة يوم ليجعلوها رمادا».

وفي رسالة أخرى يقول: «إن رغبتي هي أن أذهب إلى مصوع[١] ميناء البرسترجون لأستولى على دهلك حتى أرى ماأستطيع أن أفعله في جدة، إن الرحلة إلى البحر الأحمر تعتبر ذات قيمة قصوى نتيجة لوجود تجارة البهارات والتي تأتي كل سنة إلى هذه المناطق من الهند وحيث أنني أرغب في تصفية العرب.. وبعد أن أكوّن علاقات مع البرسترجون، فإني سأدمر مكة، لهذه الأسباب فأنا مصمم على الذهاب إلى البحر الأحمر» [٢].

غير أن الله سبحانه وتعالى الذي تعهد بالحفاظ على مقدساته - كما حدث في حملة أبرهة على الكعبة الشريفة بمكة - سخَّر الرياح والعواصف الشديدة لتشتيت الأسطول البرتغالي مما أدى إلى فشل الحملة والقضاء عل أحلام البوكيرك.

ويشيد أحد المؤرخين في معرض دفاعه عن الدولة العثمانية بما قدمته للإسلام حين وقفت في وجه الاستعمار البرتغالي فيقول: «كانت أعظم خدمة أسدتها الدولة

---

(١) مصوع : هو اسم الجزيرة المحددة جغرافيا بخط طول ٣١ - ٢٨ - ٣٩ ، وخط عرض ٤١ - ٣٦ - ١٥، مساحتها ٢,٣٠كم٢، وتقع في أقصى شمال خليج حرقيقو، وتقوم فيها المدينة القديمة التي تحمل الاسم نفسه، واسم مصوع مشتق من فعل صوع، الذي يعني باللغة الحبشية (المناداة) ذلك أنه يكفي إطلاق صيحة واحدة من على اليابسة لكي يسمعها من في الجزيرة، كما يكفي إطلاق صيحة في أول الجزيرة لكي يسمعها من هو في آخرها.
انظر: دانته أو دويتستي: المستعمرة الإرترية - مفوضة مصوع الإقليمية - ترجمة : جبهة التحرير الارتيرية - بيروت ١٩٦٩م، ص: ٢٦

(٢) مصطفى محمد رمضان : انظر موقع مصوع (ملحق رقم٢) ص: ٢٦٣.
العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة سنة ١٩٨٥م، ج١، ص: ٨٤ - ٨٥.

العثمانية للإسلام، أنها وقفت في وجه الزحف الصليبي الاستعماري للبحر الأحمر والأماكن المقدمة الإسلامية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي» [1].

وبعد فشل البوكيرك في الاستيلاء على جده استولى وهو في طريق عودته من البحر الأحمر على جزيرة بريم[2]، وشيد بها بعض التحصينات العسكرية في الرأس الشمالي للميناء، ونصب على أعلى قمة فيها صليبا وسماها «فيراتوز» غيرأنه لم يبق فيها كثيرا رغم موقعها الاستراتيجي الهام، لعدم توفر الماء بها [3]، كما أغار الأسطول البرتغالي وهو في طريق العودة من البحر الأحمر على ميناء زيلع وأطلق نيران مدفعيته على السفن الراسية فيه، وأشعل فيها النيران [4]، بحجة إمداد الأهالي للأسطول المصري بالمياه أثناء حملتهم الفاشلة على عدن [5]، كما قام بنهب ميناء بربرة [6]، كما هاجم ميناء سواكن [7]، وهاجم جزر دهلك، وأخيرا اضطر إلى العودة إلى عدن غير أن محاولته الثانية للاستيلاء عليها قد باءت بالفشل فتركها في ٤ أغسطس ١٥١٣م عائدا إلى الهند بعد أن قصفها بمدفعيته، وأحرق رجاله جميع

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، ص: ٨٦٢.

(٢) بريم : تقع جزيرة بريم في مضيق باب المندب على بعد ميل ونصف من الساحل العربي، وأحد عشر ميلا من الساحل الإفريقي، وتفصل باب المندب إلى قسمين: المضيق الصغير الذي يفصل الجزيرة عن الشاطيء العربي، وعرضه ثلاثة كيلومترات، والمضيق الكبير، وعرضه نحو إحدى وعشرون كيلو مترا وتستعمل السفن المضيق الصغير نظراً لوجود مجموعة من الجزر البركانية الصغيرة المسماة «الأخوات السبع» في المضيق الكبير، وتتكون جزيرة بريم من تشكيلات صخرية بركانية هي عبارة عن مجموعة من التلال التي تنحدر نحو الشاطيء وتحيط بالميناء، طولها حوالي ميل ونصف، وعرضها نصف ميل، ويبلغ أعلى ارتفاع في الجزيرة نحو ٢٤٥ قدما، وتبعد الجزيرة حوالي مائة ميل على ميناء عدن ومائتي ميل عن جزيرة كمران.

انظر : حمزة على لقمان: تاريخ الجزر اليمنية، ص: ١٩.

(٣) حمزة علي لقمان: معارك حاسمة من تاريخ اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٧٨م، ص: ١٤٧. انظر موقع الجزيرة (ملحق رقم٢) ص: ٢٦٣.

(٤) سعد زغلول : مرجع سابق، ص: ٢١٢.

(٥) BESCE ANGELO : CIT. P. 88.

(٦) رجب حراز : ارتريا الحديثة، ص: ٢٨.

(٧) كان يسكن سواكن في القرن السادس عشر حين حاصرها البرتغاليون مائة من الترك : محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الخرطوم ١٩٨١م، ص: ٤٢.

ماكان راسيا في مينائها من سفن [١].

ونرى الملك (D. MANUEL 1) عمانويل في تاريخ ٣ ديسمبر ١٥١٣م، ٩١٩ هـ، يرسل رسالة إلى القائد (ALFONSO DE ALBUCUERGUES) الفونسو دي البوكيرك يطلعه فيها أنه قام بدفع ١٥٠ وحدة نقد سنويا إلى سفير ملك هرمز في أول يوم في السفر لمساعدته، أي لمساعدة الفونسو دي البوكيرك في أي وقت وسمح للسفير نيكولا دي فيريرنا (NICOLAU DE FERREIRA) بهرمز للعودة إلى البرتغال ومعه ثلاثون كونتالاً [٢] أي قنطاراً «من القرنفل والقرفة وستون كونتالاً من أي توابل أخرى» [٣].

ردود الفعل لسياسة الاحتكار البرتغالية :

كانت لسياسة عمانويل التي أعلنها منذ ١٥٠٥م والتي تهدف إلى القضاء على تفوق العرب التجاري في المياه الهندية والاستيلاء على قواعدهم التجارية في شرق أفريقيا واحتكار طرق التجارة عن طريق السيطرة على المنافذ البحرية، وتعيين دالميدا (DALMIDA) ليكون أول نائب له في المستعمرات البرتغالية في الشرق، أثرها السيء على مناطق التصدير والموانىء الواقعة على الطريق التقليدي للتجارة كهرمز وعدن وجدة مما أصابها بأضرار بالغة، كما عرّض كلاً من الاقتصاد المصري والهندي للانهيار التام، خاصة وأن البرتغاليين كانوا في وضع يسمح لهم بتعزيز قواتهم العسكرية باستمرار، ويجعلهم يشنون الهجمات المتتالية على الموانىء العربية وسفن التصدير التي تحمل التوابل، دون أن تجرؤ أي من القوى الموجودة بالمنطقة على التصدي لهم. ويعلق انجلو بيس (ANGELO PESCE) على ذلك

---

(١) محمد عبدالعال (دكتور): مرجع سابق، ص: ٥٠٨، انظر سواكن (ملحق رقم ١٠) ص: ٢٧١.

(٢) الكونتال الواحد : ١٢٠ رطل.

انظر رسالة الملا عمانويل رقم ١٤ – ١٣ بتاريخ ٣/٩/١٥١٣م. ملحق رقم ٣١، ص: ٣٢٦ – ٣٣١

(٣) A. N. T. T. C. C. I - 14 - 138

الأرشيف الوطني البرتغالي، بـ «توري تومبو» لشبونة.

قائلا «إذا كان الغرض الأصلي للبرتغاليين هو للتجارة مع الهند، فقد كانت وسائلهم غريبة تماما عن أسلوب العرب الذين كان لهم نفس الهدف التجاري، ولكن دون المحاولة مرة واحدة للتدخل في شؤون أهالي البلاد أو استبعادهم أو اللجوء للقرصنة للقضاء عل المنافسة[١] .

وسنستعرض ردود الفعل على مختلف البلاد التي تأثرت بهذه السياسة البرتغالية :

أولا : البندقية

في عام ١٥٠١م بعث دوق البندقية بسفيره السنيور (بتروبيالجو) إلى لشبونة لاستطلاع الأمور هناك، وقد استقبله الملك عمانويل بحفاوة بالغة، ولكنه ذكر أنه إذا كانت حكومته ترغب في إرسال سفنها التجارية إلى لشبونة فإنه سيرحب بذلك، وأن تجار البندقية سوف يجدون كل تسهيل وترحيب وحماية من البرتغال، غير أن السنيور بترو الذي أدرك أن عهد احتكار البندقية لتجارة الهند كان يقترب من نهايته، وبأن طريق البحر الأحمر لم يعد يستطيع منافسة رأس الرجاء الصالح، الأمر الذي سيؤدي إلى دمار تلك الدولة، قد قرر العودة إلى بلاده، أما دوق فينيسيا فإنه لم يرحب بدعوة الملك عمانويل لفتح موانىء بلاده للجالية النيتسية، بسبب اشتراكها الفعلي مع سلطان مصر الذي كان في ذلك الوقت في حالة حرب مع البرتغاليين في البحر العربي مما يفرض عليه القيام بدور مزدوج خوفا من أن تتعرض مخازن السلع في كل من الإسكندرية والقاهرة للخطر، الأمر الذي سوف يدفع بحلفائه المصريين إلى أن ينقلبوا عليه ويصبح معزولا تاما بالإضافة لتأثر الدوق بعوامل الهيبة والكرامة إلى جانب العوامل السياسية وذلك رفضة شراء التوابل من حلفائه السابقين.

وإلى جانب الاعتبارات السابقة فقد كان من الطبيعي أن يرفض أهل البندقية

---

(١) BESCE ANGELO : OP. CIT. P. 75

الـذين لم يسبق لهم قط أن اشتركـوا في أي اكتشـافـات على السـاحل الأفـريقي – الاشتراك في التجارة البحرية الجديدة، على أثر أول رحلـة يقوم بها فاسكو دي جاما للهنـد، ربما بـدافع غـرورهم وصلفهم وقـد كرسـوا جهـودهم لإحبـاط محاولات البرتغاليين إيجاد مصدر تجاري جـديد لهم، غير أن أهل البندقية لم يحققـوا نجاحا يذكر في تلك المحاولات (١). كما كلفت حكومـة البندقية فرانسـوا تالدى في ١٥٠٤م بالتـوجه إلى القاهرة في مهمـة سرية إلى سلطان المماليك الغوري، للتفـاوض معه على الوسـائل الممكن اتبـاعها لمنع توسيع البرتغاليين التجـاري في المحيط الهندي، على أن يسافـر السفير المذكور على أول سفينـة متجهة إلى جـزيرة كـريت ومنهـا إلى ميناء دمياط ثم إلى القـاهرة. وفي الوقت الذي حث فيـه مبعوث البندقية السلطـان الغوري على التصدي للبرتغاليين لمنعهـم من الملاحة في المياه الهندية إلا أنـه أشار إلى أن ذلك لايمكن أن يتم بـواسطة بـلاده، وعلل ذلك بقولـه : «إن المسافـة من بلدنـا للبرتغال طويلة لاتقل عن ٤٠٠٠ ميل، فضـلا عن المسافة من البرتغال إلى الهند، ثم إن إسبانيا وملكها القوي المحـالف للبرتغال يقع في الطريق بيننا وبين البرتغـال، علاوة على أنه استولى حـديثا على مملكة نابـولي من لويس الثاني عشر، وله حـدود مع مملكتنا في أماكن عدة من البحر والبر» (٢).

وطلبت حكومـة البندقية من مبعوثهـا أن يذكر للسلطان أن الرحلـة إلى الهند من الآن فصاعـدا ستصبح أكثر سهـولة للبرتغاليين ممـا يترتب عليه نشـوء ضرر بالغ للسلطان فضلا عن مصالح تجارة البندقية التي بدأت تنهار مما ترتب عليه خسائر جمة في الجمارك والضرائب. وضرب فرانسوا تالدي مثلا على أقواله للسلطان بأنه قد وصل إلى البرتغال أربعـة عشر مركبا من الهند محملـة بالتوابل، ومن بين مـاتحمله خمسـون ألف حمل من الفلفل أرسلها ملك البرتغـال إلى إنجلترا وفرنسـا وإيطاليـا

(١) س. ب. مايلز: مرجع سابق، ص: ١٤٣ – ١٤٨.
(٢) انظر : ترجمة الوثيقة في د / نعيم زكي : طرق التجارة الدولية، ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخرالعصور الوسطى) القاهرة ١٩٧٣م، ص: ٢٨٢ – ٢٨٥.

وغيرها من دول العالم، ولما كانت أسعار التوابل مرتفعة أكثر من المعتاد في كل من الإسكندرية ودمشق، في الوقت الذي كانت فيه الأسعار منخفضة في كل من الهند ولشبونة فقد لجأ عملاء نابولي إلى أسواق البرتغال.

ولم ينس مبعوث البندقية أن يلمح للسلطان الغوري بأن ملك البرتغال كان قد دعا بلاده للاشتراك في الرحلات وإرسال تجارها إلى أسواق لشبونة لطلب التوابل، وأن كثيرا من رعايا بلاده ترغب في التوجه إلى لشبونة لأنهم لايدفعون بها ضرائب جمركية، وأخيرا فقد عرضت حكومة البندقية على السلطان خطة عمل للحد من نفوذ البرتغال في الهند وهي من شقين:

الأول: العمل بأية وسيلة على وصول أكبر كمية ممكنة من التوابل إلى بلاد السلطان لتقاوم بها إغراق البرتغاليين أسواق أوروبا بالتوابل لأن هذا سيمنع عن البرتغاليين المكاسب الضخمة، وبالتالي يمنع سفنهم من الوصول إلى الهند لجلب التوابل.

الثاني : يرسل السلطان من طرفه سفراء إلى ملك كوشين بالهند وكانانور والأماكن الأخرى التي يتعامل معها البرتغاليون، وأن يطلب عدم التعاون معهم، وأن يبين لهم السلطان الأضرار التي تترتب على استمرارهم في التعامل مع البرتغاليين التي ربما تصل إلى استيلائهم على بلادهم نفسها ويصبحون أسياد هذه الجزر وبلاد كوشين وكانانور (١) .

ومن الجدير بالذكر أن البندقية في الوقت الذي كانت تلح فيه على سلطان مصر باتخاذ الإجراءات الكفيلة بوقف تدفق البرتغاليين في الشرق رفضت القيام بدور فعال في هذا الصراع الاقتصادي العالمي – وقتئذ – إذ لم تكن ترغب في ضم البرتغال إلى أعدائها (٢) .

---

(١) د. نعيم زكي: مرجع سابق، ص: ٣٨٤ – ٣٨٥.

(٢) عثمان صالح سبي: تاريخ ارتيريا، بيروت ١٩٧٧، ص: ٦٣.

وكــان السلطان المملـوكي قد حــاول أن ينهي النزاع بين بــلاده ودولة البرتغــال بطريقة سلمية فأرسل مبعوثا من طرفـه هو السيد ماور وجواردیان إلى أوروبا على أن تشمل جولته كلاً من إيطاليا وإسبانيا والبرتغال لحث الأخير على عدم الملاحقة في طريق الهند.

ولما كانت جولــة مبعوثه إلى أوروبا لم تحقق أهدافها فقــد أرسل الغوري بإيعاز من البندقية رسالة شديــدة اللهجة إلى كل من البابا والملك عمانويل يطلب منهما منع المسيحيين من الملاحة أو الاتجار في البحــر العربي، ويهدد بقتل جميع المسيحيين في مصر، غير أن ذلك التهديد قوبل بالإهمال من البابا وملك البرتغال[١].

ثانيا: اليـمن:

كانت لوصــول البرتغاليين إلى المياه الهندية، وإغلاق طـريق التجارة أمام السفن العربية، ومحاولة إغــلاق البحر الأحمر أثار سيئة على حركة التجــارة في ميناء عدن، فانخفضت تبعا لذلك حصيلة الرسوم الجمركية بدرجة كبيرة جعلت السلطان عامر ابن عبدالوهاب[٢]. آخر سلاطين آل طاهر مضطرا للاستيلاء على نصف متحصلات الأوقــاف ليستعين بها في مواجهــة النقص في إيرادات بــلاده، ممــا أثار عليــه سـخط الفقهاء[٣].

---

(١) مايلز: مرجع سابق، ص: ١٤٨.

(٢) عامر بن عبـدالوهاب: هو آخر ســلاطين الدولة الطاهــرية في اليمن، (١٤٥٤ – ١٥١٧) تولى الحكم في عام ٨٩٤ هــ (١٤٨٩م) وعمل على توسيع رقعة أملاكــه فقد ورث ثلثي اليمن فقط عند توليــه الحكم أما الثلث الباقي فقد كان مــوزعاً بين عدد الأئمة الزيــديين، وفي عام ٩١٠هــ (١٥٠٤م) تمكن من ضم صنعــاء وظل طـول فترة حكمــه يرسل الحمــلات إلى جهــات اليمن المختلفة للقضــاء على مقاومــة الزيديين وتــدعيم سلطانــه، وكان ينجح في ذلك لــولا الحصار البحري الذي فــرضه البرتغاليون على السواحل الجنوبيــة للبحر الأحمر، ومطاردتهم للسفن اليمنية، مما أدى إلى ضعــف إيرادات الدولة، واستفاد مــن ذلك خصومه الزيــديون في المنطقة الشمالية من اليمن، انظر: د/ محمد عبدالعال، مرجع سابق، ص: ٢٨١.

(٣) د. مصطفى محمد رمضان: العالم الإسلامي، ص: ٧١.

كما اضطر أيضا الأمير مرجان والي عدن إلى الاستيلاء على خراج الحج حتى يتمكن من سد النقص الناجم عن عجز إيراداته بسبب شدة الحصار المفروض على التجارة في سواحل البحر الأحمر الجنوبية، وحتى يتمكن من مواجهة متطلبات الدفاع عن مدينته ضد أية محاولة قد تتعرض لها من قبل البرتغاليين. ويصف ابن الديبع ماآلت إليه اليمن نتيجة للحصار الذي فرض على موانيها فيقول: كاد الدر أن يعدم، وقل وجوده في الدواب، ومات أكثر البهائم جوعا، ولم يحصل في الصيف مطر، وضاقت الأحوال وعدمت المكاسب[1].

وقد اشتدت الأطماع البرتغالية للاستيلاء على عدن وغيرها من المدن اليمنية، في وقت زادت فيه الحركات الداخلية المضادة لحكم الطاهريين، وعجز السلطان عامر ابن عبدالوهاب عن الدفاع عن مصالح بلاده التجارية أمام التهديد البرتغالي الذي واصل عمليات القرصنة والسلب والنهب ضد السفن وتعرض ركابها من بحارة وتجار وحجاج للأسر أو القتل[2] وكان من المفروض أن تتعاون مصر واليمن- وكلتاهما متضررة من الزحف البرتغالي على الشرق - غير أن شيئاً من هذا لم يحدث، فقد كان عامر مشغولا بتوحيد اليمن وإحكام سيطرته عليه، وفي الوقت نفسه لم يكن يملك أسطولا مزودا بالأسلحة النارية ليتمكن به من مجابهة أعدائه البرتغاليين.

وعلى الرغم من الأوضاع السيئة لليمن وضعف قدرته الحربية، فقد أمر السلطان عامر بن عبدالوهاب بتجهيز حملة بحرية في سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٦م) لقتال البرتغاليين في الهند، تتكون من أربعة عشر مركبا اشترك فيها ستمائة مقاتل بالإضافة إلى بعض العلماء والفقهاء وطلبة العلم الذين تطوعوا للجهاد ضد البرتغاليين، وقد أبحرت هذه الحملة من ميناء عدن في ٢٧ من شوال ٩١٢ هـ (١١ من مارس عام ١٥٠٦م) [3]. ويغلب على الظن أن هذه الحملة كانت فريسة سهلة

---

(١) ابن الديبع عبدالرحمن الديبع: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق الدكتور / يوسف شاكر، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ١٩٨٣م، ص: ٣٠٨.
(٢) محمد عبدالعال (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٩١.
(٣) ابن الديبع : مصدر سابق، ص: ٣٠٠ - ٣٠١.

للبرتغاليين وأنها عجزت عن مواجهة البرتغاليين الذين تغلبوا عليها، خاصة وأن المصادر اليمنية قد صمتت عن ذكر أخبار تلك الحملة التي كانت أضعف بكثير من أن توكل إليها هذه المهمة الصعبة ولم تجد اليمن أمامها - بعد عجزها أمام البرتغاليين - سوى طلب المساعدة من سلطان مصر الغوري [١] .

ثالثا : مصر :

كان النشاط البرتغالي في المحيط الهندي سبباً في استفحال خطر السياسة البرتغالية ضد المسلمين في هذه المنطقة ودفع سلطان مصر قانصوه الغوري[٢] لأن يضع سياسة جديدة وتخطيطا واضحا للدفاع عن تجارة الشرق وكيان المسلمين الديني والسياسي.

ولذلك كرس الغوري جهوده لإعداد أسطول بحري كبير للقيام بعمل جاد ضد البرتغاليين في المياه الهندية للتخلص من أخطارهم في المنطقة فقام الغوري بالاتصال بالعثمانيين لإمداده بالمعدات والأخشاب اللازمة لبناء هذا الأسطول.

واستجاب السلطان العثماني بايزيد الثاني لذلك وقدمها هدية للسلطان الغوري ورفض قبض الثمن من رسوله يونس العادلي - وفي ذلك يقول ابن إياس في أحداث ٩١٦ هـ (١٥١٠م) «فيه حضر يونس العادلي وكان السلطان قد أرسله إلى بلاد بن عثمان ليشتري له أخشابا وحديدا وبارودا، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد المال الذي

---

(١) لم يشر إلى هذه الحملة سوى ابن الديبع في كتابه الفصل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ص: ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) قانصوه الغوري : هو قانصوه بن عبدالله الجركسي المشهور بالغوري نسبة إلى طبقة الغور التي كانت بمصر، كان مولده في عام ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦م ترقى في المناصب وتولى نيابة طرسوس بالشام ثلاث مرات ثم توجه إلى الديار المصرية واستطاع تولي السلطنة في مستهل شوال ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠م، واستمرت مدة حكمه نحو خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما، وتوفي في ٢٥ رجب ٩٢٢هـ - ١٥١٦م وكان عمره عندما تولى السلطنة نحوا من ستين سنة.

الشيخ نجم الدين محمد الغزي - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ج١، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت ١٩٤٥م، ص: ٢٩٤، ٢٩٥.

كان مع يونس العادلي وقال أنا أجهز من عندي زرد خانه للسلطان وأرسلها فيما بعد» [1].

ويتضح من قول ابن إياس مقدار اهتمام السلطان العثماني وإحساسه بالخطر الداهم على البلاد الإسلامية، مما جعله يقدم المساعدة لمصر المملوكية من آلات وأسلحة نارية حتى الحبال والعجل وكل مايلزم المراكب أرسله هدية لمصر.

ويدل هذا على ماكانت عليه الدولتان من علاقات طيبة وحسن جوار [2]، في ذلك الوقت. ويدل ذلك على خلاف ماتوصلت إليه الدولتان في عهد سليم الأول الذي تولى بعد بايزيد الثاني في ٩١٨ هـ ١٥١٢م من حروب أدت في النهاية إلى انتهاء دولة المماليك الجراكسة.

وطلب الغوري من حليفته البندقية إمداده بالأخشاب والمعدات والأسلحة اللازمة للإنشاء وإعداد القطع البحرية المطلوبة لمواجهة البرتغاليين، حيث أن الغوري كان يدرك مدى اهتمام البنادقة بأمر التخلص من النشاط البرتغالي وخطره على تجارة الشرق. والذي سوف يكون له أثره السيء على البندقية عاجلاً أو آجلاً من الناحية الاقتصادية، ويبدو أن البندقية أمدت الغوري بالمعونة وإن كان ذلك سرا [3]، خوفا من اتهام البابوية لها بالتعاون مع الدولة المملوكية المسلمة البرتغال المسيحية [4] كما أن ذلك سوف يحرك ضدها الرأى العام الأوربي.

وأرسلت البندقية مبعوثها – سانو توني ٩٠٨هـ (١٥٠٢م) للغوري ينذره من الخطر البرتغالي، وقدمت له النصائح من أجل التحرك بإرسال النجدات الحربية

(١) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع ازهور في ودائع الدهور جـ٤، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٤م، ص: ١٩٦، ٢٠١، الزردخانة: هي البارود والنفط.
(٢) ابن إياس : مصدر سابق، ص: ٢٠٢
(٣) عبدالعظيم حامد خطاب: قانصوة الغوري ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشام – دكتوراه غير منشورة بآداب عين شمس ١٩٧٣م، القاهرة، ص: ٢٧٣.
(٤) محمد عبدالعال أحمد (دكتور) البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية، ص: ٨٨

لأهل اليمن والهند والتعاون معهم ضد البرتغاليين لوقف نشاطهم هناك واهتم سلطان مصر بإحضار الأخشاب اللازمة لهذا الأسطول من بلاد الجون وغيرها، حتى يساعد ذلك على بناء هذا الأسطول بالإمكانيات التي تجعله يواجه أسطول البرتغال القوى – وتمكن الغوري من إقامة ترسانة بحرية في السويس [١]، ودور للصناعة في كل من الروضة وبولاق بمصر [٢]، وبذل هذا السلطان كل مايمكنه ولم يبخل بمال ولارجال في سبيل ذلك، وجعل كل إمكانات الدولة للدفاع عن هيبتها لتظل في المركز المرموق الذي وضع كل العالم الإسلامي آنذاك أمله فيه، كما قام الغوري بتوزيع الأعطيات والمرتبات على جنود هذه الحملة لدرجة أنه صرّف للمماليك نحو أربعة أشهر مقدما، مما يعطينا دليلا على مدى اهتمامه بهذا الأمر، ومدى جهده المبذول في إعداده. [٣].

ولم يهمل الغوري نظام التسليح، فأدخل فيه تعديلات هامة واستبدل الأسلحة النارية بالسيوف والرماح التي كان المماليك يعتمدون عليها في حروبهم. وكان نظام الفروسية بحاجة إلى تغيير، لأن العدو يعتمد على الأسلحة النارية الفتاكة، والتي لايستطيع نظام الفروسية أن يصمد أمامها، وحث السلطان المماليك على استعمال البارود، وكان بعض المماليك في النيابات الشامية على خبرة كافية بكيفية استخدام البارود، لذلك استعان بهم السلطان في حملته على الهند [٤]، ومع أن دولته لم تكن

---

(١) خُربت مدينة القلزم منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بعد أن كانت تلك المدينة ميناء للملاحة البحرية إلى الحجاز والهند في القرون الإسلامية الأولى وأنشأ التجار قاعدة جديدة لهم بجوار مدينة القلزم وهي السويس، تعرف اليوم باسم قلعة القلزم.

انظر : أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، جامعة بيروت ١٩٧٢م، القاهرة، ص: ٢٦٣.

(٢) العبادي (دكتور): مرجع سابق، ص: ٢١٧، ٢٢٣.

(٣) ابن إياس: مصدر سابق، جـ٤، ص: ٨٤.

(٤) نفس المصدر جـ٣، ص: ٢٦٨.

بحرية، إلا أن الغوري تمكن من اجتياز هـذه العقبة وقام بجلب الصناع والمهندسين من الخارج، وجلب الأخشاب والمعدات لصنع السفن القوية لمواجهة الخطر البرتغالي، وقد اختلفت المصادر في تحديد عدد قطع الأسطول المملوكي، فقد ذكر ابن الديبع أنها كانت ثلاث برشات وثلاثة أغربة [١]، وذكر الملباري: أنها ثلاثة عشر غـرابا يقودها الأمير حسين الكردي، وقد أطلق على الحملة المملوكية للهند اسم «التجريدة المعينة إلى الهند» وأطلق على قائدها «باشي تجريدة الهند»[٢].

ويذكـر ابن إياس: أن جنود حملة حسين الكـردي كانوا في مجمـوعهم من جنود الطبقة الخامسة أي من العساكر التي جـددها الغوري في أيامه[٣]، وكانوا يتكونون من المغاربة الذين يرأسهم أميرهم على المسلاتي الذي أطلق عليه اسم باشي المغاربة، أي رئيسهم، ومعهم بعض أولاد النـاس[٤]، وبعض مماليك سلطانيـة، وعبيد سود رماة وتراكمة (تركمان) وكان المغاربة يؤلفون أغلب أفراد الحملة لأنهم من البحارة، ومعهم فـريق من البنائين والنجـارين، وضم إليهم عـددا من العمال الفنيين لإقامـة التحصينات اللازمة حول جدة.

---

(١) برشات : مفردها برشة، وترجع إلى الأصل الإيطالي "BARCA" وهي نوع من القوارب أو الزوارق الشراعية الصغيرة وهي ذات شكل انسيابي طويل ومغطى وتعمل بالمجاديف، والأغربة مفردها غراب وهي من أقدم السفن الحربية وعرفت بهذا الاسم لطولها وسوادها نتيجة لطلائها بأنواع الطلاء المانعة للماء مثل القار فصارت بلونها الأسود أشبه بالغراب.

انظر : وجيه الدين الشيباني عبدالرحمن بن علي الديبع : قرة العيون في أخبار اليمن الميمون – مخطوط بدار الكتب المصريـة، صورة بـالميكروفيلم رقم ١٨٤٧٤ – ١٣١١هـ، ورقـة ١٤٩، محمد عبـدالعال: مرجع سابق، ص: ١٠٣.

(٢) فائق بكـر الصواف، مصطفى رمضـان: البحر الأحمر في التـاريخ والسياسـة الدوليـة مستخرج من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، ١٠ – ١٥ مارس ١٩٧٩م، ص: ٢٦٤ بكلية آداب عين شمس.

(٣) ابن إياس: مصدر سابق، ص: ٢٤، ٨٥.

(٤) أولاد الناس: فرقة خاصة من أبناء الأمـراء المماليك المتفوقين حيث جرت العادة أن يعطي للواحد منهم إقطـاع يتناسب مع رتبـة أمير خمسة في النظـام الحربي المملـوكي رعايـة لسلفه، بشرط أن ينـدرج في الرديف السلطاني ويكون صالحا للخدمة في الوظائف المدنية الصغرى زمن السلم.

انظر : القلقشندي: (أبي العباس أحمد القلقشندي) صبح الأعشى القاهرة ١٩١٥م، ج٤، ص: ٥١٠

وأراد الغوري أن يجعل لهذه الحملة دعاية في الداخل لأهميتها في مصر، ومستقبل الاقتصاد المصري والتجارة الإسلامية في البحار الشرقيـة، وشهد في القاهرة احتفالاً لتوديع الحملة، ويقـول ابن إياس مايلي: «في يوم الإثنين ســادسه (أي سادس جماد الآخر عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م) خرجت تلك التجريدة المعينة إلى بلاد الهند، وكان لها يوم مشهود، فكان باشي المماليك الذين توجهوا في المراكب إلى جدة والتركمان والعبيد الذين بها حسين المشرق وباشي المغاربة الـذين بها الخواجا نور الدين على المسلاتي المغربي، فلما خرجوا توجهوا نحو الســويس ونزلوا من هناك في مراكب إلى جدة، وقد جهز لهم السلطان عدة مراكب مشحونة بالزاد والسلاح وغير ذلك.

ومهمة هذه الحملة كما ذكرها ابن إياس في يومياته تتلخص فيما يلي :

أولاً : تأديب أعراب بني إبراهيم[١] المتضــامنين مع أمير ينبع يحيى بن سبع وأمير خليص مالك بن روس الـذين قامـوا بكثير من أعمال السلب والنهب لحجاج بيت الله الحرام، وهددوا ثغر جدة ومكة المكرمة بكثرة غاراتهم المتكررة عليهما.

ثانيا: تحصين جدة ببناء سور ضخم ذي أبـراج عالية لتكون على استعداد لصد أي عدوان مفاجىء تتعرض له من قبل البرتغاليين أو الأعراب[٢].

ثـالثـا: الاطمئنان على أهـم ثغور البحـر الأحمر وعلى الأخص سـواكن في الســاحل الأفريقي تجاه جدة، وعـدن قرب مدخل البحر الأحمر، وذلك لتأمين خـط الدفاع عن هذه المنطقة.

---

(١) بنو إبراهيم : أشهر القبائل التي كانت تسكن يومئذ بين ينبع ومكة، وكانت السلطات المصرية توكل إليهم حراسة قافلة الحج المصرية في بعض مراحل الطريق بين ينبع ومكة، وفيما بين عام ٩٠٧ هـــ / ١٥٠١م، وعـام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، قـام أعـراب بني إبـراهيم بكثير من السلب والنهب لحجاج بيـت الله الحرام، وبعد أن قوي أمـر بني إبراهيم عـام ٩١١هـ أمـر السلطان الغوري بإيقاف التوجه إلى الحج في هذه السنــة من مصر والشام وسائر الأمصار، حتى يقوم بتأمين طرق قوافل الحج من هؤلاء المفسدين، انظر : ابن إياس: مصدر سابق، ج ٤،، ص: ٨٩، وما بعدها.

(٢) انظر سورة السجدة (ملحق رقم ١٤) ص: ٢٧٥.

رابعاً : التـوجه إلى الهند لمحاربـة البرتغاليين وإجلائهم عن المراكز التي نـزلوا بها في الشواطىء الهندية والسبب الرئيسي في القيـام بهذه الحملة هو بناء السور وتحصين ميناء جدة من هجمات الأعراب والخطر البرتغالي المرتقب.

ولما وصل الأمير حسين الكردي إلى جدة بنى عليهـا سورا، وذلك في عهد الشريف بركات شريف مكة الذي ساعده في عملية البناء للسور وملحقاته. كما ساعد الشريف في نزع ملكية بعض البيوت التي كانت قريبة من السور، وحضر بنفسه عملية الميناء.

وكان ارتفاع السور من الأساس حتى قمتـه ١٢ ذراعاً، وطول الحائط من ناحية مكة واليمن والشـام ٣,٠٠٠ ذراع، وعرض جداره أربعة أذرع، أما الأبراج فكانت ستة أبـراج ومحيط كل برج سـتـة عشر ذراعا وارتفـاعه فـوق وجه الأرض خمســة عشر ذراعا. والأبراج هي : برج شـامـي تجاه الشمال، وآخر يماني تجاه الجنوب، وبرجان قبليان تجاه مكه ملاصقان لبـابين يسمى أحدهما: باب الفتوح وهو الأيمن ويسمى الآخر بـاب النصر وهو الأيسر، أما البرجان البحـريان فقد نزل بهما الغـواصون في البحر اثني عشر ذراعا[1] وقد تم بنـاء السور في تسعـة أشهر من عـام ٩١٢ هـ/ ١٥٠٦م.

وبعد انتهاء تحصين ميـنـاء جدة تحرك حسين الكردي إلى سواكـن عام ٩١٢هـ ١٥٠٦ [2] فاستولى عليها دون مقاومة، وأقـام الاستحكامات اللازمة ثم تابع سيره

---

(١) نص الشيخ عبدالقادر بن فـرج علي بن فـرج علي أن هذا الـذراع هو ذراع العمل وهي نحـو ٧٧,٥سم × ١,٥ = ١١٦,٢٥ سنتيمتراً، انظـر: فـائق بكـر الصـواف، مصطفى رمضـان، (دكتور): مرجع سابق ص: ٢٦٩.

(٢) يذكر دي كاسترو (DECASTRO) في وصفه لسواكن أنها أصبحت أغنى مدن التجارة في الشرق الأوسط ولا يضـارعها في نظـره إلا ميناء لشبـونـة البرتغالي، وكـان مروره بها سنـة ١٥٤١م، انظر: صـلاح الدين الشامي (دكتـور) : الموانى السودانية، القـاهرة ١٩٦١م، ص: ١٢٢.

وانظر

DAVIDLOPES: TEXTOS ALGAMIA PORTUGUEAS(LISBOA 1897) P. 71

إلى الموانىء اليمنية فمر بجيزان وبجزيرة كمران [1] ومنها إلى مخا ثم عدن.

واستقرت حملة الكردي قليلاً بعدن حيث طلب الكردي أمير الحملة من والي عدن تزويدها بما تحتاجه من المؤن لمواصلة سير الحملة إلى الهند، فتجاوب معه الوالي وقدم له كل ماطلبه.

وواصل سيره إلى الهند، وعند وصوله إليها دخل كجرات واجتمع بسلطانها خليل شاه مظفر بن السلطان محمود شاه الكجراتي، فأكرمه وعظمه، وأنعم عليه بنعمة طائلة، ولما سمع البرتغاليون به تركوا بندر كجرات واتجهوا إلى بندر الدكن وتحصنوا بقلعة متقنة تابعة لهم وتسمى «كوة» [2]* وتوجه حسين الكر دي مع حاكم ديو مالك إياس، على أسطوليهما إلى كاليكوت للاشتراك مع أسطول السامى في القضاء على البرتغاليين في ساحل ملبار [3]، وطردهم نهائيا من الهند، وفي أثناء الطريق قابل القائدان بالقرب من ميناء شول الصغير أسطولا برتغاليا مكوناً من ثماني سفن، فنشبت بين الطرفين معركة بحرية انتصر الأسطول المملوكي وحليفه الكجراتي بفضل تعاونهما في موقعة شول عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م.

---

(١) جزيرة كمران: تقع جزيرة كمران على بعد مائتي ميل شمالي مضيق باب المندب وعلى بعد يسير لا يتعدى ثلاثة أميال من ساحل اليمن الشمالية، وتقع في مواجهتها مدينة الصليب الشهيرة بجبال الملح، وهي أكبر جزيرة في مجموعة من الجزر الصغيرة والمرتفعات الضحلة المتناثرة في تلك المسافة المعروفة كلها باسم «كمران».

انظر: حمزة علي لقمان: تاريخ الجزر اليمنية، ص٧

وانظر: الخريطة وموقع الجزيرة، (ملحق رقم ٣) ص: ٢٦٤

(٢) DAVED LOPS: OP. CIT. P. 71.

* انظر موقع كوة في الهند (ملحق رقم٧) ص: ٢٦٨.

(٣) يحتل إقليم مليبار الجزء الجنوبي من ساحل الهند الغربي، وهو أقليم خصب تكثر به التوابل، وبه كثير من المواني الهامة مثل كاليكوت وكوشن وكنا نور، وكولم، وينقسم الساحل إلى عدد من الوحدات السياسية الصغيرة، وتعد مملكة كاليكوت أهم هذه الوحدات السياسية وأغلب سكان هذه السواحل كانوا وثنيين.

انظر : السيد مصطفى سالم (دكتور): الفتح العثماني الأول لليمن، (١٥٣٨ – ١٦٣٥)، القاهرة ١٩٧٤م، ص: ٤٩.

ويذكر ابن إيـاس عن هذه الحملة: «جاءت الأخبار بأن العسكر الـذي توجه نحو بلاد الهند صحبة الأمير حسين قد انتصر على الفرنج الـذين كانوا يعبثون في البحر، وغنم منهم العسكـر غنائم كثيرة، فسر السلطـان لهذا الخبر، وأمر بـدق الكوسـات، فدقت ثلاثـة أيام متوالية، ثم إن حسينا أرسل يطلب عسكرا ثـانيا حتى يتقوى بهم على من بقى من الفرنج [١] وهذه المعركة سقط فيها قـائد الأسطول البرتغالي لورنز دالميدا (LORENS DE ALMEDA) قتيلا.

ثم عاد الأسطول إلى ديـو لإصلاح بعض سفنه وانتظارا لانتهـاء موسم الأمطار، وقد أثـار هذا الانتصـار البرتغاليين، فقد كـان وصول الأسطـول المصري إلى هناك مفاجأة لهم وزاد من إحساس البرتغاليين بالخطـر، ماشهدوه من قيام حلف بحري من المصريين وبعض الـولايات على سـاحل الهنـد الغربي مثل كجـرات وبيجامـور وأحمد ناجايال وكاليكوت، مما جعل نـائب الملك البرتغالي في الهند فرنسسكو داالميدا (FRANSESCO DE ALMEDA) يحشـد قواتـه البحريـة لمواجهة هـذا الحلف الهنـدي المملوكي، فأعـد تسع عشرة سفينة واتجه بها إلى ديـو، واشتبك مع الأسطول المملـوكي، في معركـة فاصلة وتمكن مـن إنزال هزيمـة ساحقـة بالمماليك وحلفـائهم عام ٩١٥هـ الموافق الثـامن من فبراير ١٥٠٩م واضطـر الأمير حسين للانسحاب بما سلم من سفنه إلى جدة [٢].

ويشير ابن إياس إلى هذه الحادثة بقوله: «جاءت بأن العسكر الذي توجه إلى الهند صحبة حسين المشرف قد كسرهـم الفرنج كسرة فاحشة، وقتلوا العسكـر عن آخره، ونهبوا مافي مراكبهم أجمعين، فتكدر السلطان الغوري لهذا الخبر [٣].

وتأخـر السلطان المملـوكي عن المبادرة لمواجهـة الخطر البرتغـالي في حينه بعـد

---

(١) ابن إيـاس: مصدر سابـق. ج ٤، ص: ١٤٢، وانظر: فـائق بكر الصواف، مصطفـى رمضان (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٢١٠

(٢) محمد عبدالعال أحمد (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٩٨.

(٣) ابن إياس: مصدر سـابق، ج ٤، ص: ١٥٦، وانظر: مصطفى سالم، (دكتور): مـرجع سابق، ص: ٦٢، ٦٣.

تهديده للمياه الهنديــة وتمكنه منها، وساعد هذا التأخير الغـزاة على بناء قوتهم التي مكنتهم من هزيمة الأسطول المملوكي الذي وصل بعد فوات الأوان.

أما الفظائع التي ارتكبها دالميدا كأخذ الأسرى لإعدامهم بعد ذلك في تلذذ وبشاعة فهـذه وتلك تعد وصمــة سوداء لطخت جبينــه استحق عليهــا اللوم حتى من أكثــر المؤرخين البرتغــاليين تعاطفــاً معه مثل أوزوريــو (OZORIO) الذي قــال: «إن الأسرى الذين أصبحوا عبيده بحكم غنيمــة الحرب كان عليه أن يحميهم» أما بيا دي جواس PAIA DE GOIS فقد كــان أشد عنفا في نقده لــدالميدا إذ قال: «إنــه بعد الاشتباك رحل دالميدا إلى كانانوري.

وعندما كــان على مدى البصر من قلعتها أمر بشنق الــوزيرين اللذين تم أسرهما. ومع الآخــرين استعمل وسائل أشــد قســوة فقد ربطهم على فــوهات مــدافع كبيرة وبقذف هذه المدافع تتناثر أشلاء هؤلاء المساكين لإرهاب المدينة[1].

ويبدو من هــذه الأعمال الوحشية أن الله [2] في سبيل عقابــه على هذا العمل غير الإنساني، تركــه يموت على أيدي أكثر النــاس همجية في العالم: «وكان البرتغــاليون يدركون مدى خطورة الأسطول المملــوكي الذي يحمل المدافع النارية وقد ركزوا كل قوتهم ليشلوا حركته، رغم كثرة عــدد السفن المتحالفة، إلا أن سبب الهزيمة يعود إلى الغرور الذي انتاب الأمير حسين الكردي، من الانتصار الذي أحرزه في موقعة شول، مما جعله يستهين بقوة العــدو، ورفضه لنصيحة حاكم ديو بــالانتظار في ميناء ديو لحماية ظهور السفن، وإصراره على مقابلة سفن البرتغاليين في عرض البحر[3].

أما مالك إياس حاكم ديو فلم ير بــدّاً من عقد صلح مع البرتغاليين فأرسل رسله

---

(١) BESCE ANGELO : OP. CIT. P77

(٢) عند سفرد الميدا قاصداً لشبونه، مــات قتيلا بيد زنجي في خليج سودانها وكان قد رسى فيه بسفنه، انظــر: المسيوجيان ربــان سفينة: وثائق تــاريخية وجغــرافية وتجارية عن إفــريقية الشرقية، ص: ٢٥٨.

(٣) شول CHOUL: كانت تتبع مملكة الدكن، وتقع جنوب سلطنة كجرات.

وهداياه إلى دالميدا القائد البرتغالي نائب ملك البرتغال، معبرا عن رغبته في السلام، وقد أخرت هذه الخطوة، وقوع ديو تحت سيطرة البرتغاليين إلى عام ٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م.

ومن الملاحظ أن سياسة القائد البرتغالي كانت الاكتفاء بالسيطرة البحرية دون التوسع في البر، وهذا الانتصار الذي حققه البرتغاليون في معركة ديو البحرية فتح لها آفاقا جديدة ورسخ أقدامهم في السواحل الهندية، وحقق السيطرة البرتغالية على طريق التجارة الشرقية حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وفي ذلك الوقت تم تعيين الفونسو دا البوكيرك ALFONSO DE BUQUERQUE نائبا للملك في كوشين بدلا من دالميدا[١].

رابعاً : عرب الخليج والساحل العماني :

يعد ألبوكيرك أول مؤسس للاستعمار الأوربي في الشرق، فقد عمد إلى احتلال المراكز البحرية الهامة وإقامة الحصون القوية في جميع جهات المحيط الهندي، حتى يحكم السيطرة البرتغالية على مصادر التجارة في الشرق، أما دالميدا الذي سبقه فكانت سياسته أنه لايرى مبررا للاستيلاء على مراكز برية تكلف البرتغاليين الشيء الكثير. والهدف هو السيطرة على الطرق البحرية، لايمكن أن يتم إلا بإيجاد حصون برية تكون ملجأ للسفن الحربية.

ولكن البوكيرك كان يرى أنه من الأفضل إيجاد القلاع الحصينة أينما يقيم المراكز التجارية ويهدف من ذلك إلى حماية التجارة البرتغالية ودعم قوة البرتغاليين وفرض سيطرتهم على الحكام الوطنيين أيضا[٢].

ويتضح من هذه السياسة التي انتهجها البوكيرك أنها سياسة حكمية ومنطقية نظراً لبعد البرتغال عن المناطق التجارية، فكان لابد من إيجاد مستعمرات ومراكز حربية لتأمين سلامة القوة البرتغالية ضد ثورات الحكام الوطنيين.

ويمكن أن نقسم عهد البوكيرك إلى فترتين :

(١ ، ٢) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٦٤

الفترة الأولى تبدأ من عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م عندما وصل إلى رأس الرجاء الصالح ضمن حملة بحرية كبيرة.

وتبدأ الفترة الثانية من عام ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩م عندما عين نائبا للملك في كوشن، حتى توفي في أواخر عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م في الهند.

والسنوات الثلاث الأولى قضاها البوكيرك أمام السواحل العربية الجنوبية وعند مدخل الخليج القريب، فساعده ذلك على تكوين فكرة عامة عن المنافذ العربية لتجارة الشرق.

وكانت الحملة البحرية التي شارك البوكيرك فيها مكلفة بالاستيلاء على جزيرة سوقطرة بالقرب من مدخل البحر الأحمر للسيطرة على مدخله لإغلاقه أمام التجار العرب. ونجحت هده الحملة في احتلال الجزيرة في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م وأقامت بها حصنا للبرتغاليين ومكث البوكيرك في سوقطرة يقود بعض السفن لمهاجمة السفن العربية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي وتوجهت باقي السفن إلى الهند.

ونرى البوكيرك بعد ذلك يقوم بأعمال عداونية تخريبية في المنطقة من ساحل عمان حتى جزيرة هرمز شرقا، فاتجه بأسطوله في عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م حتى وصل قرب رأس الحد [1] بالساحل العماني الذي كان خاضعاً لسيادة هرمز، فهاجمه وأضرم النار فيه، وأغرق سبع عشرة سفينة كانت راسية في الميناء، وواصل البوكيرك جرائمه العدوانية على ساحل عمان، وهاجم مدينة مسقط ذاتها بالرغم من استعداد حاكمها لدفع الجزية التي كان يدفعها ملك «هرمز» إلى البرتغاليين.

كما ضرب المدينة بالمدافع وتسبب في إحراقها وأحرق مسجدها وجميع السفن الراسية بالميناء وقبض على كثيرين من الأسرى وأخذ عدداً منهم للخدمة في سفنه، وترك النساء والأطفال والضعفاء منهم بعد أن شوههم وقطع

---

(١) انظر موقع الأماكن التي مر عليها البوكيرك من رأس الحد حتى هرمز (ملحق رقم٦)، ص: ٢٦٧

(٢) وزارة الإعلام والثقافة في سلطنة عمان، عمان وتاريخها البحري، ص: ٥٨

أنوفهم وقطع آذانهم [٢].

واستمر في فعله هذا على طول السواحل العمانية حتى خورفكان[١] وواصل سيره إلى جزيرة هرمز وقبل وصوله إلى الجزيرة ذاع صيته، ووصلت أخباره إلى أهالي هرمز مما أثار الفزع في نفوسهم على الرغم من الاستعدادات الدفاعية بالجزيرة، واستسلمت هرمز للبرتغاليين بعد معركة قصيرة، وتم الصلح بين الطرفين، وهذ الصلح بداية سيطرة البرتغاليين على تجارة الخليج العربي التي استمرت حتى أوائل القرن السابع عشر رغم الثورات المتتالية من الأهالي وسكان الساحل العربي المواجه للجزيرة.

أما الفترة الثانية من عهد البوكيرك في الشرق عندما كان نائبا في كوشين، فقد اتسمت هذه المرحلة الجديدة بالاهتمام السياسي والعسكري إذ قامت سياسة البرتغاليين على احتلال المراكز التجارية الهامة، وبناء التحصينات القوية لتتيح لهم فرصة البقاء والهيمنة على هذه المراكز البعيدة عن مركز العاصمة لشبونة، بدلا من مطاردة السفن التجارية في عرض البحر [٢]، لذا انحصرت خطة البوكيرك – في هذه المرحلة – في ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : اختيار مركز في وسط الساحل الهندي، بدلا من كوشين الواقعة أقصى الجنوب.

والثاني احتلال هرمز ليتمكن من السيطرة على مدخل الخليج العربي والمؤدي إلى

---

(١) (خورفكان) عبارة عن خليج صغير تحيط به الجبال على شكل فكين ومن ذلك جاءت تسميتها خورفكان، وخورفكان كانت خاضعة لملكة هرمز، وهي ميناء بحري عظيم يقع على ساحل خليج عمان، وقد وصفها البوكيرك بقوله: «إنها من أجمل المدن فمناخها معتدل وصحي وهي على شكل (قدم الجمل الكبير) يكثر بها التجار، كما أنها غنية بالزراعة فيكثر فيها القمح والذرة والبرتقال، والبلح وغيره من الفواكه، وهي تابعة لإمارة الشارقة، (دولة الإمارات العربية المتحدة) انظر : عائشة السيار : (دكتوره): دولة اليعارية في عمان وشرق أفريقيا، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٧٥م، ص: ٢٣.

وانظر : شكل خورفكان وتحصيناتها البرتغالية (ملحق رقم ١٨) ص: ٢٨٠، وملحق رقم (١٩)، ص: ٢٨١.

(٢) السير آنولدت، ويلسون: الخليج العربي، مجمل تاريخ من أقدم الأزمنة، حتى أوائل القرن العشرين، نقله إلى العربية، عبدالقادر يوسف الكويت ١٩٧٩م، ص: ٢١١.

البصرة والثالث الاستيلاء على عدن لإغلاق طريق البحر الأحمر المؤدي إلى مصر المملوكية [١] وقام البوكيرك باستعادة جوا (GOA) من جديد بعد أن كان البرتغاليون قد خسروها، وصمم على أن يفتح الحصون القديمة، وقبل الشروع في ذلك أرسل البوكيرك رسالة إلى الملك البرتغالي دون مانويل (DON MANOEL) مؤرخه في ١٧ أكتوبر ١٥١٠م يخبره فيها بعزمه على احتلال جزيرة جوا (GOA) نظرا لأهميتها بالنسبة للمواقع البرتغالية بالهند، وعزمه على الالتحاق فور ذلك بالبحر الأحمر [٢].

وبعد احتلاله جوا نقل البوكيرك مقر البرتغاليين في الهند إليها نظراً لتوسط موقعها على ساحل الهند الغربي [٣].

وأثر هذا الاحتلال على الممالك الهندية على الساحل الغربي للهند مما جعل سلطان كجرات يوافق للبرتغاليين على إقامة محطة تجارية وحصن لهم في ديو، كما عقدت كاليكوت صلحا مع البرتغاليين وسمحت لهم بإقامة حصن فيها [٤].

وتوج البوكيرك خطته في السيطرة على المراكز التجارية الهامة باحتلال ميناء ملقا عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م، ويعد هذا الميناء من أهم الموانىء التجارية في العالم. وكانت ملقا أهم المراكز لتجمع منتجات الهند الشرقية، وغيرها من مناطق الشرق الأقصى حتى الصين شرقا [٥].

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) مرجع سابق، ص: ٦٦، ٦٧

(٢) ANTONIO RAYMUNDG : OP. CIT. P. P. 21 - 238

(٣) السيد مصطفى سالم (دكتور): مرجع سابق، ص: ٦٧

(٤) زين الدين الملباري : مصدر سابق، ص: ٤٣

(٥) تقع مدينة ملقا عند طرف شبه جزيرة الملايو، وكانت تتبع في البداية مملكة سيام ولكنها تمكنت من تحقيق استقلالها بفضل قوتها الاقتصادية، وقد وصل العرب إليها في وقت مبكر، ونشروا الإسلام بها، وكانت تعد من أهم المراكز التجارية للعرب في هذه الجهات، كما يعد استيلاء البوكيرك عليها ضربة اقتصادية شديدة الأثر للتجارة العربية.
بالإضافة إلى أن استيلاء البرتغاليين على ملقا حينئذ كان بداية لامتداد النشاط البرتغالي التجاري إلى المعاقل الإسلامية الأخرى.
انظر : السيد مصطفى سالم (دكتور): مرجع سابق، ص: ٦٧

وكان البوكيرك يدرك أهميــة هذا الميناء بالنسبة للعرب، وهـذا يتضح من خطابه الذي وجهه للمحاربين البرتغاليين قبيل الهجـوم عليها حيث قال: «إني على يقين أننا لوانتــزعنا تجارة ملقا هذه من أيـديهم لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثـراً بعد عين ولامتنعت عن البندقية كل تجارة التوابل مالم يذهب تجارها إلى البرتغال لشرائها من هناك[١].

وقــد أراد البوكيرك بـذلك بث روح التضحية في جنـوده، لكي يتمكن من تحقيق مطامع مملكتهم وفي عهـد البوكيرك سيطرت البرتغال على أهم المراكـز التجارية على الســاحل الأفـريقي الشرقي، فمنـذ عـام ٩١٥هــ/ ١٥٠٩م كـانت جميع المراكـز التجارية الإسلامية الهامة قـد تمت السيطرة عليها من قبل البرتغاليين، من سوفالا جنوبا إلى براوة شمالا، وجزيرة زنجبـار وموزمبيق وبمبا، ومافيا [٢] كذلك تم أول اتصال مباشر بين الحبشة والبرتغاليين في عهد البوكيرك.

ففي عـام ٩١٥هــ/ ١٥٠٩م أرسلت الإمبراطـورة هيلينا الـوصيـة على عـرش الحبشة ابنها الطفل وأحـد أتباعها ويدعى ماتيوس إلى الهنـد ليعرض على نائب الملك البرتغالي التعاون بين البلدين للقضاء على العرب وتجارتهم الشرقية، خاصة المماليك في مصر، وتمكن مــاثيوس من مقـابلة البـوكيرك في عام ٩١٨هــ/ ١٥١٢م فـأرسل ماثيـوس إلى البرتغال لمقابلة الملك هنــاك، بعد أن زود البوكيرك بمعلومــات قيمة عن زيلع تمكنه من الاستيلاء عليها بسهولة، وعاد ماثيوس إلى الحبشة ومعه أول سفارة دبلوماسية برتغالية إلى أباطرة الحبشـة [٣]، وأرسـل رسـالة للملك «عمانويل» يشكو فيها القبطان لوبو سوارس [٤]* .

---

(١) بانيكار : مرجع سابق، ص: ٤٨

(٢، ٣) السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص: ٦٨

(٤) رسالـة ماتيـوس وربرست جوان للملك البرتغـالي عمانويل مـؤرخ في ٢٧ فبراير ١٥١٧م، ضمن الوثائق البرتغالية التي أعدها مركز الوثائق والدراسات – أبوظبي.
تاريخ الرسالة ٢٧ فبراير ١٥١٧م.

* انظر ملحق رقم (٣٣) ص: ٣٣٨ – ٣٤٠

ولم يتمكن ماثيـوس من العودة إلى الحبشـة إلا عام ٩٢٧ هـــ/ ١٥٢٠م ويعود ذلك إلى صعوبـة المواصلات والأخطار المحيطـة بالسفر حينئـذ وتوفي ماثيـوس بعد قليل من وصوله إلى ساحل الحبشـة وقبل أن يقابل نجاشي الحبشة. ولكن نستطيع القول إن مهمتـه كانت نـاجحة، وكان هـدف هيلينا الحقيقي هـو إنشاء عـلاقة مع البرتغاليين للحصول على المساعدات البحرية لتواجه النشاط الإسلامي وخطره على مملكتها، ونشـاط المماليك في البحر الأحمر، وقـد شجع ذلك الإمارات الإسـلامية في شرق أفريقيا على محاربة أباطرة الحبشة [١].

وكان لهذه الدويلات الإسلامية علاقة وطيدة قديمة مع ملوك وسلاطين المسلمين خاصة مع اليمن ومصر، وأشراف مكة، وجعلت هذه العـلاقة القوية كلا من الطرفين البرتغـالي والحبشي يسعى إلى إيجاد عـلاقـات قويـة ليتمكنـوا من تطـويق العـالم الإسـلامي من الجنوب، وإيجاد مـراكز بحـرية في البحـر الأحمر لمهاجمة الحجـاز ومصر وقد قـام البوكيرك في عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م وبـالتحديد في ٣٠ أكتوبـر عام ١٥١٢م بتحرير رسـالة للملك عمانويل (DON MANOEL) خلال رحلـة إلى جوا يطلعه فيها على أخبار عدن وعلى الشائعات المتعلقة بقرب تحرك أسطول المماليك نحو مدخل البحر الأحمر [٢] وقال فيها: «إن أعظم الشرور كلها بـالنسبة إلى جوا هو أن الرومان قادمون.. إن هذا مصدر عظيم للخطر على الهند ويسبب كثيرا من القلق والاضطراب بين المواطنين والمسيحيين على حد سـواء، وفيما يتعلق بهذه الملاحظات المجربة أعرض لجلالتكم بكل احترام أنه لن تكون هناك ثقة أو سلام لرعايا جلالتكم في هذه الأجـزاء، إلا بأن نذهب إلى البحر الأحمر ونـؤكد لهؤلاء الناس أن مخلـوقات اسمها الرومان ليس لها وجود.» [٣].

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٦٨

(٢ *) وتشير الوثـائق البرتغالية إلى انتشار الجواسيـس البرتغالية ليحملوا أخبـار الاستعدادات المملوكية. انظر A. N. T. T. C. C. I - II - 61.

(٣) RAY MUNDO ANTONIO : CARTAS DE ALFFONSO DE, ALBUQUE RQUE, LISBOA 1884. P. 95 - 98.

وبعد إرسال هذه الرسالة غادر جوا بكامل أسطوله إلى عدن ومكة، ونظراً لسوء الأحوال الجوية لم ينجز البوكيرك سوى تعطيل حصن سوقطرة الذي برهن على كونه لانفع يرجى منه، ثم جمع الجزية المستحقة من هرمز. [١].

وفي عام ٩١٩هـ/١٥١٣م وعلى أثر تسليم البوكيرك الأوامر السريعة من الدون منويل للاستيلاء على عدن واتخاذ طريقه إلى مضايق البحر الأحمر، أقلع بأسطوله المؤلف من عشرين سفينة تحمل قوة من ١٧٠٠ برتغالي و٨٠٠ مالاباري وكانارى، واتجهوا نحو رأس غارد افوى ومن ثم اتجهوا في الوقت المناسب نحو عدن، وهذا أول هجوم للألبوكيرك على عدن والسواحل اليمنية، ويعد أول زحف برتغالي إلى داخل البحر الأحمر[٢]. ويعد تهديدا مباشراً لليمن والحجاز ومصر، وعندها بدأ الصراع العربي البرتغالي يمر بمراحل جديدة من مراحله الخطيرة، وكان الهدف من هذا الزحف هو القضاء على قوة المماليك البحرية، حتى لايتعرض نفوذ البرتغاليين في الهند إلى الخطر الذي تعرض له الوجود البرتغالي عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م على يد الأمير حسين الكردي على الرغم من هزيمة المماليك في معركة ديو البحرية.

فقد ظل المماليك يشكلون خطراً على تواجد البرتغاليين في المحيط الهندي خاصة وفي الشرق عامة. وقد أرسل البوكيرك في عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م إلى ملك البرتغال يستأذنه في مهاجمة عدن والبحر الأحمر [٣].

وأشار في رسالته إلى أن الهنود مازالوا يرددون أن هناك نجدة مملوكية سوف تصل إلى الهند لنجدتهم وتخليصهم من البرتغاليين. ويرى البوكيرك أنه لااستقرار إلا بالقضاء على القوة المملوكية في البحر الأحمر، لأنه قد شاهد فلولهم عند هزيمتهم

(١) السير آرنولدت، ويلسون: مرجع سابق، ص: ٢١٢
(٢) السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص: ٧١
*انظر الوثيقة رقم ٦١ – ١١ – ١ (ملحق رقم ٢٨) ص: ٣٠٠ – ٣٠٤
(٣) ANTONIO RAYMUNDO : CARTAS AFFONSO DE ALBUQUERQUE, GAV 15 MAC. 14, NO. 38. P. 95 - 89.

في ديو البحرية، وكيف ساعدهم شــاه ملك بيجاور الإسلامية - الجنوب من كجرات - للمماليك ودعاهم للإقامة في بلاده، وأمدهم بما يحتاجون إليه من أخشاب وأدوات لازمة لبناء السفن [١].

وكان هدف البوكيرك من الزحف على البحــر الأحمر هو الاستيلاء على ميناء عدن الاستراتيجي ليتمكن من غلق بــاب المنــدب والسيطرة على مــداخل ومخارج البحــر الأحمر، لأنه قــد أدرك من خلال تجاربه - أن الجزء الأكبر من التجــارة الشرقية يتم عن طــريق البحــر الأحمر وليس الخليج العــربي، وتعد عــدن أكبر مستــودع للسلع التجارية والاستيلاء عليها ضرورة ملحة، لتأمين طريق البرتغال الجديد طريق رأس الرجاء الصالح [٢].

وفي ١٦ محرم ٩١٩م/ ٢٤ مارس ١٥١٣م بدأ الهجوم على عدن* فأسرع الأهالي بإبلاغ الأمير مرجــان حاكم عدن الذي انزعج لظهور البرتغــاليين أمام الميناء فأرسل الخبر إلى السلطــان عامــر بن عبدالــوهاب الطــاهري، الــذي كان يــواصل حروبــه الداخلية، فقام السلطان بتجهيز حملة حربية إلى عدن لنجدتها وأصدر أوامره لباقي الموانى اليمنية لتأخــذ حذرها، لأن عــدن تمكنت من صد الهجوم بنفسهــا، وتطورت الأحداث سراعــا قبل وصول الإمــدادات الداخلية. وهــاجم الأسطول البرتغــالي عدن بقيادة البوكيرك وقواته البحرية مقــدارها ١٧٠٠ جندي برتغالي و١٠٠٠ من الهنود محملين على ظهر ٢٤ سفينة، واستولى البرتغاليون على البضائع المحمّلة على السفن الراسية في الميناء، دون إبداء أية مقاومة، وكانت خطة أهالي عدن الدفاعية عن المدينة هي الاعتماد على حصانتها، وعدم منازلة البرتغاليين في معــركة بحرية حاسمة، نظراً لقوة الأسطول البحري البرتغالي، وعدم المقاومة في بداية الأمر شجع البوكيرك على أن يأمر جنوده بالنزول إلى المدينة حيث دارت خلــف الأسوار معركة شرسة مع الأهالي

(١) السيد مصطفى سالم : (دكتور) مرجع سابق، ص: ٧٢

(٢) السير أرنولدت، ويلسون: مرجع سابق، ص: ٢٦٢

* انظر ميناء عدن عند هجوم البوكيرك عام ١٥١٣م (ملحق رقم ١٣) ص: ٢٧٤.

استبسلوا فيها للدفاع عن أنفسهم، مما اضطر البرتغاليين للانسحاب إلى السفن بعد أن فقدوا بعض جنودهم (١).

وبقى البوكيرك في المدينة لمدة أربعة أيام يمارس هوايته في التخريب فأحرق حوالي أربعين سفينة كانت راسية هناك، واتجه البرتغاليون بعد ذلك إلى باب المندب حيث دخلوا البحر الأحمر لأول مرة في تاريخ البرتغال، فمروا بالموانىء اليمنية، حتى وصلوا جزيرة كمران واحتلوها عام ٩١٩ هـ/ إبرايل ١٥١٣م ودمروا كل مافيها من مظاهر الحياة حتى آبار المياه كي لايستفاد بالجزيرة بعد رحيلهم عنها، لأنها تعد محطة هامة بين جدة وعيذاب، وكان حلم البوكيرك الكبير هو الوصول إلى ميناء جدة وتدميره، فغادر جزيرة كمران متجها شمالا، ولكن الرياح لم تمكنه من المضي في اتجاهه، بل اضطر للرجوع إلى الجزيرة قبل أن يصل إلى جدة فمكث هناك شهرين(٢) وخلال هذه المدة أرسل سفينتين إلى زيلع، وضربها بالمدافع وحرق السفن الراسية بالميناء، وعاد إلى عدن لضربها ثانية، واستمر ذلك خمسة عشر يوماً حتى غادرها إلى الهند في أول جمادي الثاني عام ٩١٩هـ (أغسطس ١٥١٣م) وفشل البوكيرك في الاستيلاء على عدن وجدة، ولكن نجح في دخوله البحر الأحمر، ورسم خطة لمن يأتي من بعده لغزو هذا البحر، وأصبح لدى البوكيرك معلومات كافية عن البحر الأحمر، وكيفية التعامل مع المدافعين عنه، ولمس عمليا كيفية التعاون مع الحبشة عند إعلان الحرب الشاملة ضد الإسلام والمسلمين (٣).

وقد قام البوكيرك - نائب الملك البرتغالي - دون منويل الأول ٩٠١ - ٩٢٨هـ / ١٤٩٥-١٥٢١م بإرسال رسالة لملك البرتغالي مؤرخة في عام ٩١٩هـ/ ٢ ديسمبر ١٥١٣م يخبره فيها بالغنائم التي حصل عليها البرتغاليون بعد إغارتهم على السفن بالبحر الأحمر وأرسلت الرسالة من حصن كنتور بالهند (٤).

---

(١) Kammerer : OP. CIT. P. 185.
(٢) السير آرنولدت، ويلسون: مرجع سابق، ص: ٢١٣
(٣) السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص: ٧٣
(٤) ANTONIO RAYMUNOO : OP. CIT. P. P 174 - 175

والمعلومات التي حصل عليها البوكيرك من خلال جولاته في البحر الأحمر أظهرت أهميته بالنسبة للبرتغال لتمكينها من السيطرة الكاملة على مداخله، وظهر ذلك في خطاباته للملك الدون منويل حيث أشار إلى اقتراحاته العملية.

ففي خطابه المؤرخ في ٢٠ أكتوبر عام ١٥١٤م ذكر البوكيرك أنه يجب الاستيلاء على عدن وإقامة حصن قوى بها للبرتغاليين، إذ إن بها ميناء صالحا لرسو السفن البرتغالية، كما أنها تعتبر البوابة الحقيقية للبحر الأحمر، أما جزيرة بريم فهي جزيرة قاحلة وليس فيها ماء عذب للشرب، وذكر كذلك أنه على البرتغاليين تأمين جانبهم في مصوع حتى يضمنوا لأنفسهم المؤن والإمدادات اللازمة [١].

وفي رسالة أخرى أشار إلى أنه يرغب في التقدم إلى ميناء مصوع التابع للقديس يوحنا PRESTER JHON «أي إمبراطور الحبشة ليستولى على جزيرة دهلك، المواجهة لجدة ومنه يرى كيف يهاجم جدة، وذكر في هذه الرسالة للملك منويل: «أن في نيتي أن أسير إلى مصوع ميناء برستر جون لأحتل دالاكا[٢] وأرى ماسأفعله في جدة، ولو أن مسائل أخرى تتعلق بشئون التجارة تدعوني للعودة إلى هرمز حيث أن السفر إلى البحر الأحمر على أية حال سيكون مفيدا على أساس التوابل الثمينة التي

---

(١) السير آرنولد، ولسون: مرجع سابق، ص: ٢١٣، ٢١٤

(٢) دهلك أرخبيل اريتري يضم أكثر من مئة جزيرة أهمها (دهلك كبير) و(نخرة) و(دخل) و(حارات كبير) و(دفنين) و(حرمل) وتقع قبالة مصوع على بعد ٦٠ ميلاً منها شرقا عند تقاطع خط الطول ٤٠,١٠ شرقا مع خط العرض ١٥,٤٥ شمالا، تضاريسها سهلية مع تلال منخفضة، طقسها حار جاف صيفا معتدل قليل الأمطار صالح للسياحة شتاء، وقد أعدت إحدى الشركات الإيطالية مشروعا سياحيًا كلفته ٦٠ مليون دولار إلا أنه لم ينفذ لانعدام الأمن والاستقرار في اريتريا، عدد سكانها مع توابعها من الجزر نحو عشرة آلاف عام ١٨٩٣م، يشتغلون بصيد الأسماك واللآلي، وكلهم مسملون يتحدثون العربية والتيجرية الخليطة بلهجات الدناكل والبجة والتجرينية وغيرها لاختلاط سكانها بمختلف أجناس المنطقة وتعرضها للغزوات، وتعد من أغنى المناطق الاريترية بالآثار التاريخية من فارسية وعربية وتركية، وبرتغالية وغيرها، ويقع عدد من جزرها مثل دفنين وحرمل وسط المجرى الدولي للملاحة في البحر الاحمر وبها منارات لهداية السفن .
انظر : رينية باسيه : النقوش والكتابة في جزيرة دهلك، ترجمة ونشر البعثة الخارجية لجبهة التحرير الاريترية ١٩٧٧م، ص: ٥، وانظر الخريطة رقم: ٢، ص: ٢٦٣.

تأتي سنويا إلى هذه الأجزاء من الهند، ونظراً لأني أرغب في القضاء على الروم، وبعد فتح العلاقات مع برستر جون PRESTAR JHON سأدمر مكة. لهذه الأسباب صممت على الذهاب إلى البحر الأحمر أولا، وتحطيم قوة السلطان في هذه المياه(١).

وعندما اطمأن البوكيرك على الأحوال في الهند أقلع في فبراير ٩٢١هـ/ ١٥١٥م بأسطول يتألف من ٢٦ قطعة بحرية عليها ١٥٠٠ برتغالي و ٧٠٠ هندي، من ساحل الملبار (٢)، وقبل البدء جرى بحث جدي حول ماإذا كان الأسطول ينبغي أن يمضي نحو عدن أو إلى هرمز، وأخيرا استقر الرأى على التخلي عن فكرة الذهاب إلى عدن مؤقتا نظراً لأن الأمور في هرمز كانت تبدو أكثر تأزما، وبنفس القدر كان الملك الذي يحكم الجزيرة وهو سيف الدين مجرد صنيعة للشاه إسماعيل الصفوي الذي كان يخشى من أن يحاول في أي وقت معاودة الحصول على ملكية هرمز مما يترتب عليه طرد البرتغاليين.

وصل الأسطول خارج قريات، ومضى نحو مسقط حيث علم البوكيرك أن هرمز كانت في حالة ثورة، وأن الملك قد وقع أسيراً في قبضة أحد الثوار واسمه الريس حامد، وبناء على ذلك أخذ يعد العدة لمهاجمتها، ومهما يكن من أمر فلم تكن استعادتها تحتاج إلى عملية بحرية وعسكرية، فعند الوصول إلى الميناء أطلق البوكيرك المدافع على المدينة دفعة واحدة وأنزل الذعر في نفس الريس حامد الذي أطلق سراح الملك في الحال(٣).

وبعد مفاوضات مع الريس سلمت القلعة، وأعيد احتلالها ورفع العلم البرتغالي فوق القصر الملكي، وبعد ذلك وصل سفير من الشاه إسماعيل، وتم الدخول في اتفاقية محددة، ما بين البرتغاليين والفرس (٤).

---

(١) ANGELO PESSE : JIDDAH, PORTRAIT OF AN ARABION CITY. ITALY 1977. P. 79.

(٢) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٧٨

(٣، ٤) السير آرنولدت ، ويلسون: مرجع سابق، ص: ٢١٤.

وأهم بنود الاتفاقية :

١ - تساند البحرية البرتغالية القوات الإيرانية في الاستيلاء على البحرين * والقطيف.

٢ - تعهد البرتغاليون بمعاونة الشاه في القضاء على الحركات الانفصالية في إقليم مكران.

٣ - قيام تحالف عسكري بين الطرفين ضد الدولة العثمانية.

٤ - إعادة توران شاه إلى هرمز نائبا عن الملك البرتغالي دون منويل[١]

وبعبارة أخرى سلم الشاه بتبعية هرمز للبرتغاليين، وستتكرر مساعي حكام فارس في عهد الدولة الصفوية للاستفادة بالقوى الأجنبية سواء ضد العثمانيين، أو لتحقيق أهداف خاصة، وعين البوكيرك ابن أخيه بيرو، ليكون قائدا على القلعة ووجه تعليمات شاملة فيما يتعلق بإكمالها وإصلاحها.

وقد وقعت الجزيرة تحت عبء اقتصادي كبير بسبب قبول الوزير نور الدين لدفع ١٥,٠٠٠ كسارفين (XERACIN)[٢] للمحتلين بعد أن اتفق شاتوراك - شاه هرمز - مع الوزير رئيس حامد، وتمكنا من إلقاء القبض على الوزير نور الدين وألقوه في غياهب السجن، وهكذا أصبحت هرمز قلعة من أحصن القلاع البرتغالية في آسيا وظلت خاضعة لهم حتى عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م.[٣].

هذا بالإضافة إلى الموانىء الهامة التي تقع على ساحل الهند، وقد تمكن البوكيرك

---

* انظر جزر البحرين، (ملحق رقم ١١) ص: ٢٧٢

(١) صالح أوزبران : مرجع سابق - ص: ٧٩

(٢) كسارفين : XERACIN - عملة ذهبية، ثم أصبحت فضة متداولة في أوروبا، انظر صالح أوزبران: مرجع سابق، ص: ٧٩

(٣) صالح أوزبران: نفس المرجع والصفحة.

من نقل جنوده، من تلك السواحل الهندية إلى هرمز [١]، حيث أنها باتت تشكل أهمية استراتيجية كبيرة.

وهكذا تمكن البوكيرك بهذه الصورة من أن يضرب نطاقا من حديد على التجارة التي كانت جارية على طول امتداد البحر الأحمر.

وقد أثمرت هذه الجهود البرتغالية التي خطط لها البوكيرك ونفذها عن ازدياد نقل البضائع التجارية من السواحل الهندية إلى لشبونة حيث قدر جود ينهو(GIODINSHO) التوابل التي كانت تصل إلى لشبونة كما يلي[٢]:

السنوات	عدد السفن	أنواع البهارات					
		فلفل	زنجبيل	دارسين	بهار	قرنفل	جوز الهند
١٥١٣	٣	٥٧٠	١٦٨٠	٧٢٠	٣٣٣٠	٢١	٣٣٣٠
١٥١٧	٦	٤٤٠٣٢	٤٢٧٠	٣١٥,٥	١٨,٥	٨٦	---
١٥١٩	٨	٣٥٠٠٠	٣٠٠	٨٠٠	٤٠	٦٦٠	١٢٠

وهذه الأرقام بالقنطار وهو يساوي في ذلك الوقت ٥٠ كم[٣] وبعدها أقفل البوكيرك عائدا إلى الهند على السفينة فلوردا روسا FLORDA ROSA بحالة صحية سيئة، وقد ازداد مرضه يوما بعد يوم، وبعد وصوله إلى جوا مات بعد أن ألقت سفينته مراسيها في الميناء في عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م وكانت آخر رسالة موجهة

---

(١) انظر تحصينات هرمز (ملحق رقم ١٦) ص: ٢٧٨

(٢) يتضح من خلال الجدول المبين مدى ارتفاع الكميات التي كانت تصل ميناء لشبونه في السنوات المذكورة، فنجد مثلاً أن الفلفل قد وصل في سنة ١٥١٣م، إلى ٩٥٧٠ قنطاراً وتضاعف عدة مرات بعد ذلك ووصل في ١٥١٧م إلى ٤٤٠٣٢ قنطاراً، ونفس الشيء يذكر عن القرنفل مثلا، وهذا التذبذب في الأرقام خلال السنوات المذكورة يدل على أن التجارة بين الهند والمواني الإسلامية كمصر والشام لم تنقطع بل كانت مستمرة ولو أنها لم تكن كما كانت عليه قبل وصول البرتغاليين.

(٣) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٧٩

منه إلى ملكه كتبها وهو في عرض البحر، ونصها كما يلي:

«هذه الرسالة إلى جلالتكم ليست مكتوبة بيدي لأنني إذا كتبت ينتابني الفواق وهو دليل على دنو الموت، إن لي هنا ابناً أمنحه القليل مما أملك، إن الأمور في الهند ستتحدث عن نفسها كما ستتحدث عني، إن لي المكان الأسمى في الهند بقوة جلالتكم والشيء الذي تُرك بحاجة إلى عمل هو إغلاق أبواب المضايق إنني أتوسل إلى جلالتكم أن تذكروا كل ماصنعته للهند وأن تجعلوا ابني عظيماً إكراماً لي [1].

وهكذا قبل التحقق الكامل لمشروعاته الكبيرة توفي الإداري القدير الذي وضع أول أساس لإمبراطورية أوروبية (برتغالية) تأسست في آسيا، وكان من مظاهر قوة شخصيته، المثابرة والجلد، التي مكنته من التغلب على معارضة خططه في تطوير القوة البرتغالية، والحصول على احتكار التجارة الشرقية، لكن على الرغم من كل هذا تبقى معاملته القاسية الخالية من الرحمة لأعدائه، التي أدت إلى تدمير الإمبراطورية التي أنشأها بعد وفاته سنة ٩٢١ هـ/ ١٦ ديسمبر ١٥١٥ [2].

وتتابع حكم الملوك الوطنيين الذين مالبثت سلطتهم أن أصبحت اسمية فقط، واستمرت خلال الاحتلال البرتغالي للجزيرة [3]، ولكنهم كانوا مضطرين لأن يقسموا يمين الولاء للملك البرتغالي، فما كان بمقدرتهم ترك الجزيرة من غير موافقة الحاكم البرتغالي، وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي حاول الأتراك العثمانيون أن يتحدوا السيادة البرتغالية في الخليج وفي المياه الهندية.

لقد ضعفت دولة المماليك في مصر والشام اقتصاديا وعسكريا نتيجة لوصول البرتغاليين إلى مياه بحر العرب والهند، ودخولها في صراع معهم، مما أثر على قواتها المحاربة، وبعد أن كانت التجارة العالمية - التي يسيطر عليها المماليك - قد انحسرت من منطقة الشرق الأدنى إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وسمح ذلك للدولة العثمانية

---

(١) السير آرنولد، ويلسون: مرجع سابق، ص: ٢١٥

(٢) نفس المرجع، ص: ٢١٥، ٢١٦

(٣) نفس المرجع، ص: ٢١٣

– التي كانت علاقـاتها مع مصر قد ساءت – بالزحف بجيـوشها على الشام ومصر، وسقـوطها في يـدهـا، مما غـيّر من خـريطة الشرق الأدنـى، وقلب موازين القـوى الموجـودة فيها، وسمح للدولـة العثمانية * بإمكانـات عمل جديدة في هـذه المناطق الحيوية من العالم [١].

* انظر : موقع الدولة العثمانية والمواقع التي تتطلع إليها (ملحق رقم ٥) ص: ٢٦٦.
(١) جلال يحيى (دكتور) : التاريخ الأوروبي، مرجع سابق، ص: ٤٣١.

الفصل الثاني
دور العثمانيين
في الشرق العربي والأفريقي

الفصــل الثــانــي

دور العثمانيين
في الشرق العربي والأفريقي

* المدن والإمارات العربية في شرق أفريقية
* رد الفعل المملوكي عند وصول البرتغاليين إلى الشرق
* التوجه العثماني إلى الشرق
* الغزو العثماني للشام ومصر

الفصل الثاني

دور العثمانيين في الشرق العربي والأفريقي

المدن والإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا :

تمدنا المراجع العربية بمعلومات وافية عن هذه الممالك الإسلامية، عن نشأتها ونهضتها في شرق أفريقيا خلال العصور الوسطى، وهذه الممالك منها ما اتصل بدولة الحبشة والبحر الأحمر، وبحر العرب إلى الجنوب، وفي ذلك الوقت كانت الحبشة هي المنطقة التي يحدها البحرالأحمر من الشرق والنيل غربا والنوبة شمالا وخط الاستواء جنوبا، وتشمل ما يعرف اليوم باسم السودان (الحبشة) وارتيريا والصومال.

وخلال التوسع المنظم للإسلام في أفريقيا الشرقية بين القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين قامت مدن* متناثرة على ساحل أفريقيا الشرقي ابتداء من مقديشيو شمالا إلى جنوب سفالة في (موزمبيق اليوم)[1] ونعتها المؤرخون بالطراز الإسلامي، لأنها على جانب البحر كالطراز له [2]، ولم يكن يجمع هذه الدويلات علاقات سوى الصلة الروحية والمنافسات بين كل منها والأخرى، ولذلك كانت ضعيفة تخضع لملك الحبشة، إلا في فترات محدودة، وكان الأمراء لا يتولون العرش إلا بأمر من بيت الأحباش وموافقته، وكانت سلطنة «أوفات» أقوى سلطنة قامت في الحبشة أسسها قوم من بني عبد الدار أو من بني هاشم ولد عقيل بن أبي طالب[3]. ومدينة أوفات هي جبره أو جبرت، من أكبر مدن الحبشة، وتقع غربي زيلع وهي تتحكم في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع على البحر الأحمر، ولعل تأسيس هذه

---

(١) عبدالرحمن زكي (دكتور): الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية، ص: ٣٩.

(٢، ٣) القلقشندي : مصدر سابق، جـ٥، ص: ٣٢٤

* انظر مواقع هذه المدن (ملحق رقم ٤) ص: ٢٦٥.

المدن الإسلامية التي شكلت حزاما يحيط بمملكة الحبشة من الجنوب والشرق، وإحاطة الإسلام بها من ناحية السودان، من الشمال والغرب، أدى ذلك إلى عزلة مملكة الحبشة عن العالم الخارجي، ولاسيما بعد استيلاء المسلمين على ميناء «عدن» قرب مصوع، مما جعل الحبشة تتطلع إلى إيجاد منافذ لها وتوسيع ملكها على حساب جيرانها المسلمين الذين كانوا يسيطرون على التجارة، كما كانت الموانى في أيديهم، لذلك دارت بينهم صراعات محلية، وكانت سمة من السمات التي ميزت تاريخ المنطقة، وترجع في أصولها إلي أسباب دينية واقتصادية[١]

وأصبحت هذه الإمارات والدويلات الإسلامية مزيجاًتجمع في أنظمتها بين أشياء أفريقية أصلية وبين أشياء عربية إسلامية،، وحتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحلية) ولكن مما لا شك فيه أن العرب المهاجرين إلى هذه الجهات قد حملوا معهم حضارتهم الزاهرة[٢]*

وهناك إمارات عربية في شرق أفريقيا تحدث عنها الرحالة العرب والأجانب على السواء وعما رأوه بهذه الإمارات من مظاهر الحضارة والرقي، فيذكر ابن بطوطة أن في مقديشيو (موجاديشو MOGADISHU) نوعـًا من صناعة الأقمشة التي تصدر لمصر كما ذكر الإدريسي أنه سمع أن في ما لندي وسفالة مناجم للحديد مشتغلة، كما أن العرب المهاجرين أدخلوا في هذه الجهات زراعة البرتقال والفواكه الأخرى بالإضافة إلي البلح والبقول والأرز، وكانوا يزرعون هذه الفواكه والخضراوات بجوار مجرى المياه، وزار ابن بطوطة (كلوة) و (ممبسة) و(مقديشيو) عام ١٣٣٣م، ودهش لما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة في هذه المناطق، ووصف الشوارع المنظمة التي رآها، ومنازل العرب المبنية هناك من

(١) عبدالرحمن زكي (دكتور) مرجع سابق، ص: ٤٠، ٤١

(٢) جمال زكريا قاسم (دكتور): الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر، من مجموعة أعمال العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٧م، ص: ٢٢.

* انظر الحبشة والدويلات الإسلامية (ملحق رقم٢) ص: ٢٦٣

الحجارة الملونة ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش، المحفورة، كما كانت للمنازل حدائق غناء وشاهد في كل مدينة زارها مسجدا مزينا بنقوش يبدو فيها تأثير الفن الفارسي[١]

كما شاهد فاسكودا جاما (VASCO DA GAMA) الذي اشتهر برحلته حول أفريقيا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي في موزمبيق مثلا الناس يرتدون الملابس الحريرية الموشاة بالذهب، وكانت سيوفهم وخناجرهم مرصعة بالفضة، كما شاهد وهومار (بمقديشيو) المنازل العالية من عدة طوابق والقصور في وسط المدينة، وفي ماليندي استُقبِلت بعثة (داجاما) في قصر مفروش بالسجاد ومؤثث بأثاث فاخر، وقدمت له عدة هدايا فاخرة، كما شهد نفس هذه المشاهد (دوار بربروسا DUARTE BARBOSA) وهو رحالة زار كلوة وممبسة وماليندي وبمبا وزنجبار.

رد الفعل المملوكي عند وصول البرتغاليين إلى الشرق :

تعد مصر – في هذا الوقت –هي القوة الرئيسية في المنطقة، وحاملة لواء الجهاد ضد الصليبيين وغيرهم من الغزاة، فكانت محط اهتمام القوى الصليبية للسيطرة عليها وإضعاف قدراتها تمهيداً لتوجيه ضربة قاصمة لباقي القوى الإسلامية في الشرق الأفريقي والسيطرة عليها[٢].

وضمانا لنجاح السيطرة العسكرية البرتغالية على مصر والشرق الأفريقي، كان لابد من إيجاد حليف لهم في هذه المنطقة على أن تتوافر فيه الشروط اللازمة، وأهمها الولاء الديني،وهذا في علمهم أنه متوافر في الحبشة حيث يوجد الملك الكاهن برسترجون أو القديس يوحنا[٣].

---

(١) شوقي الجمل (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٥٣
انظر : إبراهيم علي طرخان (دكتور): الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثامن القاهرة ١٩٥٩م، ص: ٤٥

(٢) محمد عبدالعال (دكتور) البحر الأحمر: مرجع سابق، ص: ٦٨

(٣) أحمد دراج (دكتور) المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري، القاهرة ١٩٦١م، ص: ٧

والهدف من هـذا الاتصال البرتغـالي – الحبشي، ضمان نجاح مهمـة القضاء على المسلمين عامـة بنفس الطريقـة التي مارسوهـا في الأندلس وطـردهم المسلمين فيها وتتبعهم إلى الشمال الأفريقي، ممـا جعل هذه التطورات الدوليـة، تنعكس سلباً على القوى الإسلامية في الشرق الأفريقي[١] من أقطار مسيحيـة أخرى، وتحقيق الهدف المنشود وعلى رأسه تدمير المقدسات الإسـلامية في الحجاز، وتكتيل الجهود للقضاء على المسلمين عـامة، بنفس الأسلـوب الذي تم استخـدامه مع مسلمي الأنـدلس من قـبـل[٢]

إن فشل الحروب الصليبية في الشمال ضد الشام ومصر، واستيلاء المسلمين على شبه الجزيـرة الأيبيرية بما فيهـا الجنوب الغربي لإسبـانيا، الـذي يشكل جزءًا من البرتغال الحالية، جعل الـروح الصليبية قد تجسدت في البرتغاليين إلى هـذه الدرجة البغيضـة من التعصب، وإذا كـانت جهودهـم قد أدت بعـد زمن طـويل إلى تحقيق الدوران حـول أفريقيا، ووصلت طلائعهم عـام ١٤٩٨م إلى الهند[٣]، فقد كان ذلك بمثابـة البداية لتحقيق كـافة الأهداف الأخـرى، فإذا كانت مخاطرهم قـد بلغت هذا الحد فلماذا لم يُبادر المسلمون عـامة والمصريون خاصة إلى تعبئـة الجهود وإعلان الجهـاد لحماية المسلمين ومقـدساتهم الإسـلامية ومقـوماتهم الاقتصـادية وهـذا التساؤل يقود متتبع الأحـداث إلى سؤال هام حول أسباب تأخر المواجهـة المملوكية للبرتغاليين إلى حين موقعة شول (CHUL) البحرية، على الساحل الغربي للهند عام ١٥٠٨م، وذلك بعـد عشر سنوات من وصـول البرتغـاليين إلى المياه الهنـدية لـو أن المواجهـة تمت من اللحظـة الأولى لوصـول البرتغـاليين وقبل أن يستفحل خطـرهم

(١) محمود متولي (دكتور)، رأفت الشيخ (دكتور): أفـريقيا في العلاقات الدولية، ص: ٤٤، ٤٥، وانظر: حسين مؤنس، (دكتور): الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة ١٩٣٨م، ص: ٤٠، ٤١.

(٢) محمد عبدالعـال أحمد (دكتور): البحر الأحمر والمحاولات البرتغاليـة الأولى للسيطرة عليه، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني «بامخرمة» كما سجلها في مخطوط قلادة النحر دراسة وتحقيق القاهرة ١٩٨٠م، ص: ٦٩.

(٣) حسين مؤنس (دكتور) : مرجع سابق. ص: ٤٠

ويستكملوا استعداداتهم الحربية لتغير الموقف، ولتمكن العرب والمسلمون من وضع حدٍّ لمخاطرهم وتحطيم أحلامهم ولكن بعد أن استفحل خطرهم نرى الحوليات تشير إلى وصولهم إلى المحيط الهندي وجنوب شرق أفريقيا، ويتضح من ذلك فيما أورده المؤرخ المملوكي ابن إياس متناثراً في ثنايا حوادث شهر ربيع الآخر سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م تتعلق باستعراض العسكر وتعيين التجاريد، منها تجريدة واحدة إلى الهند بسبب عبث الفرنج بسواحل الهند»[١]

وهذه الإشارة لا تفيد تأخر علم المماليك بوصول البرتغاليين إلى شرق أفريقيا والهند لأنه أشار إلى الاستعدادات، مع أن اليمن أقرب من مصر للأحداث، إلا أن النصوص المعاصرة لم تشر إلى الوجود البرتغالي إلا ابتداء من حوادث سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ — ١٥٠٣م،[٢] أي بعد نحو خمس سنوات من وصول البرتغاليين، والإشارة خالية من التفصيلات، وهذا يدل على عدم توفر المعلومات بل وانقطاعها أربع سنوات أخرى، وفي حوادث سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦ — ١٥٠٧م ذكر ابن الديبع: «وفي هذه السنة قويت شوكة الإفرنج، وحصل على المسلمين منهم ضرر عظيم في ناحية الهند وهرموز[٣]

ومن خلال هذه المصادر نستنتج أن بداية علم السلطات اليمنية بالوجود البرتغالي في المياه الهندية، كان في سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٣م، وفي ذلك دليل أيضا على أن تأخر ابن إياس في ذكر أخبار البرتغاليين، كان بسبب عدم توفر المعلومات لديه عنهم إلى حين إشارته المفاجئة لهم.

ويشير النهروالي إلى هذه الأحداث ويعد من المصادر المتأخرة زمنيا عن ذلك(٩٩٠هـ / ٥٨٢) فالنهروالي قال إنه «وقع أول القرن العاشر من الحوادث

(١) ابن إياس : مصدر سابق، جـ٤، ص: ٨٢، جـ ص: ٨٢
(٢) عبدالرحمن بن علي الديبع، مصدر سابق، ص: ٢٠٦.
(٣) عبدالرحمن بن علي الديبع، مصدر سابق، ص: ٢١١

الفوادح النوادر دخول البرتغال» اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند»(١)

وذكر الشبلي اليمني في حوادث ٩٠١ هـ / ١٤٩٥م قوله، ومنها: «ظهر الإفرنج البرتغال خذلهم الله تعالى في ديار الهندية»(٢)

إلا أنه من الواضح أن كلاً من هذين المؤرخين غير معاصر للأحداث، وإذا كانا أرادا تلافي التأخر في الإشارة إلى البرتغاليين، وحددا السنة الأولى من القرن العاشر الهجري تاريخا لوصولهم إلى الهند فإنهما قد وقعا في خطأ تاريخي، لأنهما بهذا التحديد قد جعلا وصولهم إلى الهند عام ١٤٩٥م أو التي تليها، وهذا غير صحيح لأن الثابت تاريخيا أن ذلك تم عام ١٤٩٨م.

هذا فيما يتعلق بالمصادر المعاصرة، منها والمتأخرة، أما معرفة أو التعرف على التاريخ الصحيح لعلم السلطات المملوكية بأمر وصول البرتغال إلى شرق أفريقيا والمياه الهندية — فينبغي استعراض القوى المؤثرة والمتأثرة بهذه الحوادث بالنسبة للبندقية، فمما لاشك فيه أن البنادقة كانوا على علم منذ البداية بالتحركات البرتغالية وبنواياها ومخططاتها للالتفاف حول أفريقيا والوصول إلى المياه الهندية وقطع الطريق على التجارة المملوكية، ولكن طول أمد تلك الجهود التي استغرقت حوالي ثمانين عاماً ١٤١٨ — ١٤٩٨م جعل البنادقة يطمئنون من عدم فعالية هذه الجهود، لهذا اكتفى البنادقة بمراقبة الموقف مع العمل على تخويف البرتغاليين من مغبة هذه المغامرة التي لن تجدي نفعاً، لما لهذا الطريق من مشاق بسبب العواصف الشديدة التي كانت كافية لتحطيم السفن البرتغالية وعدم إمكانية البرتغال من بناء سفن أخرى، وهناك عوائق أخرى مثل طول الطريق وإحجام البحارة والجند عن المشاركة في هذا العمل المؤكدة مخاطره، وفي حالة النجاح في الدوران حول أفريقيا لن يسلموا من مقاومة أهالي المناطق التي يصلون إليها، وأهم هذه المخاطر، خطر

(١) قطب الدين النهراولي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ١٩٦٧م، ص: ١٨
(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٠٣٣ تاريخ تيمور، ص: ٧

السلطان المملوكي الـذي سيواجه القوة البرتغالية وصدهـا عن الوصول إلى الموانيء الهنديـة وأشاع البنادقـة بأن السلطان اتصل بسـلاطين الهند للاستعـداد لمواجهة الخطر البرتغالي[١] لحين الاستعداد لهم، وإرسال أساطيلـه إلى الهند للقضاء عليهم، وكل هذه المخاوف كان لها الأثر بـالنسبة إلى البرتغاليين حيث أدركوا خطورة الموقف لهذا نجدهم تجنبوا — في المراحل الأولى الدخول في صدام مسلح مع سلطات المناطق التي يصلون إليها.

وهناك تعليمات صـادرة للملاحين تقضي بحسن المعـاملة مع أهـالي تلك المناطق وعدم الظهـور بالأسلحة، وذلك تحسبا لمودة الأهـالي وصداقتهم[٢] حيث نهج «دي جاما» هـذه السياسة ولم يستخدم العنف مع حاكم «كاليكـوت» ولم يعارضه وقبل منه شراء أنواع رديئة من التوابل، وبأسعار بـاهظة حتى ينفي عنه ما أشيع أنه عدو أو جاسوس[٣]

وبجنب هـذا الحذر ابتعد البرتغـاليـون في هذه المرحلـة المبكـرة عن الاقتراب من السواحل الغربية أو مـداخل البحر الأحمر والخليج، واقتصرت رحلاتهم على المنطقة الواقعة فيما بين جنوبي القرن الأفريقي والسـاحل الغربي للهند، كما كان حرصهم شديـدا على مغادرة السواحل الهنديـة قبيل وصول سفن المسلمين التجاريـة إليها، وخلال هذه الفترة البسيطة من تاريخ وصولهم إلى الهند نهجوا أسلوب المسالمة، ولم يتعرضـوا لسفن المسلمين بسوء، تفاديـاً للمخاطر، والذي يـؤيد ذلك ما حـدث عند عودة "فـاسكو دي جـاما" من رحلته الأولى مـن الهند، فقد شـاهد وهـو في طريق عـودته إلى السـاحل الأفريقي الشرقي كثيرا مـن السفن التجاريـة المحملة بـالسلع الثمينة حيث ألح رجال دي جاما عليـه كثيرا للتعرض للسفن في عرض البحر، ولكنه

---

(١) نعيم زكي فهمي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٧٤، ٧٥.

(٢) سونيـا هاو : في طلـب التوابل، تـرجمة محمد عـزيز رفعت، ومـراجعة، د. محمـود النحاس، القاهرة ١٩٥٧م، ص: ١٠٢، ١٠٣.

(٣) ك. م. بانيكار : مرجع سابق، ص: ٢٧

لم يسمح بذلك[١]، وهكذا حرص البرتغاليون في تلك المرحلة على التعامل بالحسنى مع مواني السواحل الشرقية الأفريقية والساحل الغربي للهند مع تجنب الوصول إلى شواطىء جنوبي الجزيرة العربية والبحر الأحمر والخليج وهذه السياسة ساعدت كثيرا على إخفاء نواياهم الحقيقية من وراء وصولهم إلى شرق أفريقيا والمياه الهندية، وفي هذه الفترة كان اهتمام البرتغاليين منصبا على زيادة عدد السفن الحربية لتثبيت وجودهم البحري للمواجهة الفعلية والخلاص من التواجد البحري للمسلمين والهنود على السواء، فاهتموا بتقوية نفوذهم وتثبيت مركزهم في شرق أفريقيا والهند وإقامة المراكز التجارية والقلاع والحصون، قبل الدخول في عمل مباشر ضد السفن العربية أو القيام بإغلاق البحر الأحمر والخليج، وإحكام الحصار الاقتصادي عليها، والقضاء على أية مقاومة من جانب العرب والمسلمين وعلى رأسهم الدولة المملوكية، كل هذا ومصر كانت تمر منذ نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين)[٢] بحالة من التفكك والضعف وخاصة بعد عهد قايتباي، فهناك عدة عوامل أدت إلى ضعف دولة المماليك وقدرتها، منها : انتشار الأوبئة والقحط، وما ترتب عليها من غلاء فاحش مع المبالغة في فرض الضرائب[٣] وكذلك عدم الاستقرار الناتج عن الخلافات المستمرة بين طوائف المماليك[٤] مما أدى تولي السلطنة خمسة من السلاطين خلال خمس سنوات التي أعقبت وفاة السلطان قايتباي، مما جعل حكم سادسهم وهو السلطان الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦م) فترة تنذر بالخطر، وهذا الخطر ليس من الداخل فقط، بل هناك أخطار خارجية منها إغارة الفرنج على السفن والمواني المملوكية في البحر المتوسط، منهم القراصنة الكتلان، بالتعاون مع القبارصة وفرسان الاسبتارية برودس، الذين أخذوا في ممارسة القرصنة على السواحل

---

(١) DUFFY JAMES : Portugal in Africa, London 1962, p. 75

(٢) سونيا هاو : مرجع سابق، ص: ٢٠٣

(٣) ابن إياس: مرجع سابق، ج٣، ص: ٢٨٧

(٤)سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور) العصر المملوكي في مصر والشام، القاهرة ١٩٦٥م، ص: ١٧٥ - ١٧٩.

والثغور المصرية والتربص لسفن التجار المسلمين، مشارقة ومغاربة في عرض البحر، واشتدت هذه الحملة وبلغت من العنف بحيث أدت إلى إذكاء روح الجهاد من جديد بمصر والشام ضد الفرنج وكذلك خطر إحدى القوتين المتصارعتين الصفوية الشيعية في فارس والعثمانية السنية وأن المنتصر من هاتين القوتين سيعمل على فرض سيطرته على الدولة المملوكية، وعلى رأس هذه الأخطار الخطر البرتغالي الذي لم تكن مصر على استعداد لمواجهته حيث أن المماليك رجال حرب في البروليس في البحر، وكل ذلك جعل من فترة حكم السلطان الغوري فترة مليئة بالمشاكل والمخاطر الداخلية والخارجية على حد سواء[١].

وعند تولية السلطان الغوري السلطة لم يكن على علم بالوجود البرتغالي في شرق أفريقيا والمياه الهندية كذلك فوجىء البنادقة في منتصف عام ١٤٩٩ بنجاح الجهود البرتغالية، وعودة فاسكو دي جاما إلى لشبونة محملاً بالتوابل الهندية.

وعلى الرغم من هذا كله لم يتحفز البنادقة لهذا الحدث ليُبلغوا المماليك بالموقف، لعلمهم بما تكبده البرتغاليون من خسائر جسيمة، فهذا لن يشجعها على الاستمرارية في هذه المغامرة، ولكن كل الحسابات لدى البنادقة كانت خاطئة، وما قامت البرتغال إلا لتستمر في طريقها، وتنفيذ مخططاتها التوسعية وسياسيتها الاقتصادية الاحتكارية، وفي عام ١٥٠١م علم السفير البندقي في البلاط الإسباني بعودة الفاريز كبرال CABRAL بكميات كبيرة من التوابل، وعليه قدم الملك الإسباني النصح للسفير البندقي بالتعامل مع الموانى البرتغالية بدلا من المملوكية، لأن المماليك كثيرا ما تحكموا في مصير تجار الغرب وأساؤا معاملتهم[٢]

ومع أن البنادقة كان لديهم علم بكل المخططات البرتغالية، إلا أنهم أمسكوا عن إبلاغ المماليك، أملاً منهم أن البرتغال سوف تفشل في هذا الطريق، لكنها في عام

(١) أحمد دراج: (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٩

(٢) KAMMERER : LA MER ROUGE L'ABYSSINIE ET L'ARABIE (LE CAIRE - MCMLLL 1952) T. II. P. 139.

١٥٠٢م أوفدت مبعوثها "بنديتو سانوتو" BENDETTA SANUTO إلى البلاط المملوكي لعرض تطورات الموقف في المياه الشرقية على السلطان الغوري وإمداده بما لديها من معلومات خطيرة، وتقديم النصح للسلطان بأن يحذر سلاطين الهند ليكفوا عن معاملة البرتغاليين ومواجهتهم حتى يتمكنوا من إرسال أسطول بحرى لنجدتهم ودرء الخطر عنهم وطلب كذلك تخفيض الأسعار وتحديد الرسوم الجمركية كي تقوى على منافسة البرتغال التي أصبحت لديها القدرة على الحصول على التوابل من منبعها[١].

التوجه العثماني إلى الشرق :

مما لاشك فيه أن الدولة العثمانية كانت أكبر وأبقى دولة أنشأها قوم يتكلمون اللغة التركية في العهود الإسلامية المختلفة، وهي في نفس الوقت أكبر دولة قامت في قرون التاريخ الإسلامي المتأخرة، وقد كان مركزها الأصلي آسيا الصغرى في أقصى الركن الشمالي الغربي من العالم الإسلامي[٢].

فحين نجح السلاجقة الأتراك في القضاء على البويهيين والاستيلاء على بغداد عام ١٠٥٥م، اجتذبوا كثيراً من القبائل التركية من بلاد ما وراء النهر نحو العراق وغيره من البلاد الإسلامية في غرب آسيا.

وفي أثناء الحروب التي وقعت بين السلاجقة والبيزنطيين في آسيا الصغرى قامت مجموعات من قبائل مختلفة بغزوات مستقلة خدمة للدين، وطلبا للاستقرار في أحد أجزاء الدولة البيزنطية، ثم استقلت دولة سلاجقة الروم عن الدولة السلجوقية الكبرى بعد وفاة ملكشاه، إذ تفككت هذه الدولة السلجوقية الكبرى، واستقل بجزء منها أرطغرل والد عثمان مؤسس الدولة العثمانية[٣].

---

(١) محمد عبدالعال أحمد (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٧٨

(٢) السيد محمد الدقن (دكتور) : دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة ١٩٧٩م، ص: ٧

(٣) إبراهيم أحمد العدوي (دكتور) : مصر والشرق العربي، القاهرة ١٩٨٥م، ص: ١٧٠.

وقد كــان من الطبيعي أن تنشأ دولة إســلامية لتملأ الفــراغ الذي نتج في الصف الإســلامي نتيجة لضعف الــدولتين الإســلاميتين الكبيرتين اللتين كانتــا قد أقلقتــا المسيحيين في الماضي، ففي القاهرة كانت دولة المماليك قد أخذت تبدد قواها في ثورات القصر، كما أنها كانت من نــاحية أخرى في حــالة قلق مستمر نتيجة لعــدم خضوع أمراء سوريا الذين أصبحوا مستقلين بالفعل(١).

وكانت هناك عدة إمارات مفتتة بشكل يمنعها من القيام بعمل جاد، ولكن سرعان ما ظهرت الدولة العثمانية بقوتها الفتية(٢)

وكان الشرق الإســلامي في أواخر القــرن الخامس عشر، ومطلع القــرن السادس عشر يتكون من عدة ممالك إسلاميــة بعضها ضعيف في الهند وجنوب شرقي آسيا، وبعضها قــوي في الشرق الأوسط، هي سلطنة العثمانيين السنية في آسيــا الصغرى وشرق أوروبا، ومملكــة الصفويين الشيعــة في فارس، ثم سلطنــة المماليك السنية في مصر والشام وجزيرة العرب(٣).

وعلى الرغم ممــا كانت تخطط لــه الدول الأوروبية المعتــدية من الالتفــاف حول العالم الإسلامي من الشرق، إلا أن القوى الإسلامية لم تتحد للوقوف في وجه أوروبا التي تمكنت من السيطــرة عليها، ويعلل أحــد الباحثين ذلك بأن العــالم الإسلامي في المشرق لم يصل إلى مرحلــة التضامن في الملمات، وإنما حــدث العكس، وهو التنــاحر والتنــافس مما أدى إلى ضعف الجبهــة الإسلاميــة في الشرق ضد الغــزو الأوروبي المتمثل في البرتغال النــاشئة والمدعومــة من قبل الغرب الأوروبي بجميع فئــاته وعلى رأسها الكنيسة. فالهجمة البرتغالية على الشرق، وسد منافذ التجارة أضعف من قوة المماليك، ممــا ترك للعثمانيين الفرصــة لاحتلال كــل ما كان يملكــه المماليك في مصر والشــام والحجاز، مع أنــه كان ينبغي على العثمانيين اتخاذ مــوقف مغايــر لتتمكن

---

(١) جلال يحيى (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٢٤١

(٢) جلال يحيى (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٢٤١، ٢٤٣

(٣) انظر مواقع هذه الممالك الإسلامية (ملحق رقم ٥) ص: ٢٦٦

الجبهة الإسلامية مجتمعه من التصدي للخطر الزاحف من الغرب، والابتعاد عن الدخول في صراعات جانبيه التي من شأنها أن مكنت العدو من السيطرة على الأماكن التي وصل إليها في الشرق الأفريقي والخليج العربي والساحل الهندي(١).

لقد أثار ترك العثمانيين ميدان الفتوحات في أوروبا واتجاههم ناحية الشرق تساؤلات الباحثين عن أسباب ذلك، فمنهم من أرجعه إلى درجة التشبع في الميدان الأوروبي. إلا أن ما يبطل هذا الرأي اتجاه سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) إلى الفتح والتوسع في أوروبا مرة أخرى. ومن الباحثين من عزى اتجاههم ناحية الشرق لرغبتهم في حماية المشرق العربي الإسلامي من الخطر البرتغالي الاستعماري الذي دأب على مدافعة النشاط العربي الإسلامي في البحار الشرقية.

وعلي الرغم مما يلاحظ من أن العثمانيين قد نجحوا في الوصول إلى اليمن وجنوب الجزيرة العربية، واتخذوا منها قواعد للتصدي للبرتغاليين وجعلهم من البحر الأحمر بحيرة إسلامية، فإن هذه الإجراءات من جانب العثمانيين كانت وقائية دفاعية بحتة، هذا بالإضافة إلى أنهم لم يقدموا عليها إلا بعد وصولهم إلى تلك المناطق، وأصبح من الواجب عليهم حمايتها والدفاع عنها، بعد أن أصبحت ممتلكات عثمانية(٢).

وثمة رأي يقول : إن اتجاه العثمانيين إلى الشرق، يرجع لرغبة السلطان سليم الأول في إخضاع العالم العربي والإسلامي والأماكن المقدسة في دولة واحدة تحت سيادته ليعطي دولته الصبغة الإسلامية السنية في مواجهة المسيحية من جهة، والدولة الصفوية الشيعية من جهة أخرى(٣).

وفي الحقيقة يمكن القول إن السلطان سليم - وإن كان قد استطاع فعلا تحقيق هذه النتائج، غير أنه لا يمكن القول بأنه كان في مخططه وهو يتجه ناحية الشرق السيطرة على فارس والشام، ولكن كثيرا ما تتمخض الأحداث عن نتائج لم تكن في

---

(١) مصطفى محمد رمضان (دكتور) : مرجع سابق، جـ١، ص: ٤٥
(٢) السيد محمد الدقن (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٣
(٣) السيد محمد الدقن (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٣

الحسبان قبل وقوعها. وقد تجمعت أسباب جـوهرية أدت في نهايتها إلى ازدياد حدة التوتر بين الـدولتين الكبيرتين - العثمانية والصفوية - مثل اضطهـاد أهل السنة في بـلاد فارس لإرغـامهم على التحـول إلى المذهب الشيعي، ومناصرة الشـاه إسماعيل الصفوي للأمير أحمد (العثماني) ضد أخيه سليم(١).

أضف إلى ذلك ما قيل عن محاولة إسماعيل الصفوى الاتفاق مع دولة المماليك في مصر لوقف التوسع العثماني المرتقب(٢).

ولم يلبث السلطان سليم الأول أن أعلن الحرب على الدولة الصفوية، حيث تحرك من مدينـة أدرنة في ٢٢ من المحرم ٩٢٠هـ / ١٩ مارس ١٥١٤م صوب العـاصمة تبريز، التي سقطت في يـده في ٢ رجب ٩٢٠هـ / ٢٣ أغسطس ١٥١٤م بعد هـزيمة الصفويين في موقعة تشالديران.

الغزو العثماني للشام ومصر :

تأرجحت العلاقـات بين الدولة العثمانية، والـدولة المملوكية الجركسيـة بين الود وحسن الجوار الذي وصل إلى حد تبـادل الهدايا والتهاني بالانتصـارات العسكرية حينا، وبين النفـور والشقاق والتـنازع الذي وصـل إلى حـد الصـدام العسكـري حينا آخر(٣).

فقد بـدأ التوتـر في العلاقات بين الـدولتين منذ عهد السلطـان المملوكي قـايتباي (١٤٦٨ - ١٤٩٢م) عندما لجأ الأمير جم المطالب بالعرش العثماني إلى مصر، وكان هذا الأمير على خلاف مع أخيـه السلطان بايزيد الثاني فاستقبلـه السلطان المملوكي بحفاوة بالغة وسـاعده على الخروج لقتال أخيه السلطان بايـزيد الثاني، غير أن جم هذا قد هزم وفر هاربا، وقد غضب السلطان بايزيد من موقف السلطان قايتباي هذا،

(١) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، ص: ٢٣
(٢) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) مرجع سابق، ص: ١١٢
(٣) السيد محمد الدقن: مرجع سابق، ص: ٤٥.

فهاجم أمراء آسيا الصغرى الموالين لمصر، ولكنه هزم على يد القائد المصري أزبك[١]

كما أن هناك عاملاً آخر ساعد على توتر العلاقات بين العثمانيين والمماليك ذلك أن أحد ملوك الهند كان قد أرسل مع بعض رجاله هدايا قيمة إلى بايزيد العثماني ومن بينها خنجر نفيس فاعترضهم رجال قايتباي، وسلبوا ما معهم من الهدايا، وأرسلوها إلى سلطانهم فاضطربت العلاقات بين الطرفين بسبب هذه التصرفات[٢] وفي سنة ١٤٨٧م كادت الحرب تنشب بين الدولتين بسبب الحدود المشتركة بينهما عند أطنة وطرسوس، وبعد مناوشات خفيفة على الحدود توسط باي تونس لإنهاء حالة الحرب بينهما، فاتفقا على حل مرضٍ للطرفين وساعد على ذلك ميل السلطان بايزيد للسلم[٣].

وقبل أن نستطرد في أحداث الصراع العثماني المملوكي والذي انتهى باستيلاء العثمانيين على دولة المماليك، لنعد إلى الوراء لنرى تطور العلاقات التي سادت بين الدولتين.

يرى أحد الباحثين أن العلاقات الخارجية تميزت بثلاث سمات:

١ — قيام علاقات ود وصداقة بين الدولة المملوكية والدولة العثمانية، وبخاصة خلال حكم بايزيد الثاني، وقد تفاوضت الدولتان لتقفا أمام خطر الدولة الصفوية في إيران – وزادت زيارات الوفود العثمانية إلى القاهرة من هذا الود، وكانت تجرى لهم الاحتفالات العسكرية وتقام الألعاب بغية إظهار قوة الدولة وعظمتها.

واستمرت هذه العلاقات حتى وفاة بايزيد الثاني عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢م وتولى ابنه السلطان سليم، فسار على سياسة التظاهر بالصداقة والود بينما كان يخفي أطماعه في أملاك الدولة المملوكية ويهيىء نفسه لهذا الأمر بعد أن اطلع بشكل جلي

---

(١) نور الدين حاطوم (دكتور) : تاريخ عصر النهضة الأوروبية، الكويت ١٩٦٨م، ص: ٤٣٤، ٤٣٥.
(٢) محمود رزق سليم (دكتور) : الأشرف قانصوه الغوري، سلسلة أعلام العرب، العدد ٥٢، ص: ٣٨
(٣) محمد فريد بك: مرجع سابق، ص: ٧٠

على أحوال البلاد عن طريق الهاربين من الغوري[١].

٢ — ظهور خطر الدولة الصفوية، والتي هاجمت قواتها الأراضي الواقعة على الحدود الشمالية لبلاد الشام، إلا أن نواب السلطان الغوري تمكنوا من رد الصفويين.

٣ — تزايد الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وفقدان الدولة لنفوذها في هذين البحرين[٢].

ومما يجدر ذكره أن السلام وحسن الجوار قد سادا الدولتين العثمانية والمملوكية بين سنتي ٩٠٦ – ٩٢٠هـ / ١٥٠١ – ١٥١٤م.

وخلال هذه الفترة تعرضت حدود الدولة المملوكية لاعتداءات الصفويين، ففي ربيع الآخر عام ٩١٣هـ / الموافق أغسطس عام ١٥٠٧م جاءت الأخبار من عند نائب حلب بأن إسماعيل شاه بن حيدر الصفوي قد تحرك على بلاد السلطان، ووصل أوائل عسكره إلى ملطية، وحكوا عنه أموراً شنيعة في أفعاله، ولكن الحاميات المملوكية تغلبت على الصفويين وأعادوهم منهزمين إلى بلادهم[٣].

وفي خلال هذه المحاولات بين الصفويين في فارس للاستيلاء على الشام كانت أيضاً هناك محاولات عثمانية لنفس الغرض.

ففي عهد السلطان سليم الأول ابن بايزيد الثاني استولى على السلطنة عام

---

(١) ولى الغوري السلطنة يوم الاثنين غرة شهر شوال عام ٩٠٦هـ / الموافق ٢٠ من أبريل عام ١٥٠١م، وهو كاره لها، ممتنع عنها، ولقب بالملك الأشرف، له من العمر نحو ستين سنة، وكان ملكا مهابا جليلا، مبجلا منظره يملأ العيون، وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما، وكانت صفته طويل القامة، غليظ الجسد، ذا كرش كبير، أبيض اللون، مستدير الوجه، جهوري الصوت، مستدير اللحية، ولولا ظلمه وكثرة مصادراته للرعية وحبه لجمع الأموال لكان من خيار ملوك الجراكسة على الإطلاق.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٢١٨

(٣) محمود بن محمد الحلبي : مرجع سابق، ص: ٢٢٠ – ٢٢٣

١٥١٢م تحت ضغط من الانكشارية[1] الذين التفوا حوله، ثم أوعز إلى من دس السم لأبيه بـايزيـد. وباعتلاء سليم عـرش السلطنة، وقع انقـلاب في استراتيجية الـدولة العثمانيـة، إذ تـوقف زحفهـا على الغـرب الأوروبي، واتجهت نحـو المشرق العـربي الإسلامي.

وبعـد معركـة جالـديـران حدثت منـاوشـات بين علي دولات (التابع للسلطـان الغوري) وبعض فـرق الجيش العثماني فأرسل السلطان سليم على أثـر ذلك قوات كبيرة احتلت بـلاد علي دولات الـذي قتل واحتـزت رأسه، وعين علي بيك بـدلا منـه. فأثارت هـذه الحوادث السلطان الغـوري وأمراءه، فأعلن النفير العـام بالجنـد وأنه سيخرج إلى حلب بنفسه على رأس الجيش.

وفي أوائل رمضان ٩٢١هـــ / ١٥١٥م سافر الغـوري إلى الإسكندريـة ودمياط ورشيـد وفي صحبته معظم رجـال الدولـة، فتفقد خـلال رحلته أوضـاع الدفـاع عن السواحل المصرية المطلة على البحر المتوسـط، وزار أبراجها، وأمر ببناء سور يفصل رشيد عن البحر ونبـه المسئولين عن الثغور والقلاع إلى اليقظة التـامة لاحتمال قيام العثمانيين بغزو بحري[2].

أصبحت الحرب بين الطرفين أمـراً لا مفر منه، خاصة بعـد أن استولى سليم على المناطق التي كانت تفصل بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية شرقي الشام وغربي

---

(١) دأبت المراجع على تسميـة الجيش العثماني بـالانكشاريـة، وهي كلمـة تـركية الينى شريـة ومعناها (الجنود الجدد) وكانـوا من أطفال المسيحيين، جمعهم العثمانيون جزية من مختلف البلدان المسيحيـةالتي خضعت لحكمهم، ثم أدخلوهم في الإسلام بعد أن تلقـوا تعليما كفيلا، بنسيانهم المسيحيـة، كما خصص العثمانيون جزءًا من الينى شرية لـوظائف الحكم والإدارة المدنية، أما الجزء الأكبر من الينـى شريه فأضحى فيالق المشاة التي اشتهـرت بالاستماتة في القتال، ويـرجع ذلك إلى صرامة النظام الـذي نشأ فيه الفـرد منهم، ذلك أن الجندي من الينى شريه تعلم أن ينسى أبـاه وأمه وإخوتـه وأقاربه، فـالثكنة العسكريـة مأواه، والحرب مهنته والقرآن عقيدته، وما عليه إلا أن يمضي في قتـال أعداء السلطان بروح ملؤها الحماس المتأجج إبراهيم العدوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٧١

(٢) محمود رزق سليم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٣٩

الفرات، وأصبحت الدولة العثماني بحدودها الجديدة في مواجهة دولة المماليك في تلك المنطقة وبات الخطر وشيكا بعد أن فشلت محاولات الصلح بينهما[١].

فقد كان الغوري قد بعث رسولا إلى سليم الأول يؤكد له رغبته في الصلح وعدم الحرب، فرفض سليم الحديث في أمر الصلح، وقال للرسول: «قل لأستاذك فليلقنا عند مرج دابق» أي داخل الأراضي الشامية، وهي عبارة تدل - إن صحت - على عزم السلطان سليم على تسوية حساب قديم مع السلطنة المملوكية التي هزمت الجيوش العثمانية داخل الأراضي العثمانية زمن السلطان قايتباي[٢]

ولما كان الغوري قد خرج على رأس قواته متوجهاً إلى الشام في صيف ١٥١٦ للدفاع عن حلب - أول معاقله الشمالية أمام العثمانيين - فقد كان وجود هذه القوات المملوكية هناك يدفع العثمانيين إلى الصدام معها ما دامت جبهتهم مع فارس مفتوحة.

وقد كان هناك اختلاف واضح بين قوة كل من المماليك والعثمانيين في نوع العتاد، وفي القوات المسلحة، ومدى تدريبها وقوة تسليحها، وحرية الحركة لكل من الطرفين. فبينما كان السلطان سليم شابا في مقتبل العمر، كان السلطان الغوري شيخا طاعنا في السن بلغ الثامنة والسبعين من عمره، وفي الوقت الذي بلغت فيه قوات المماليك الزاحفة شمالا ما يقرب من خمسة آلاف رجل كانت قوات العثمانيين من الصعب تقدير عددها، وكان المماليك قد فقدوا الكثير من رجالهم في حملاتهم على الحجاز واليمن وفي صراعهم ضد البرتغاليين، وأصبح رجالهم الذاهبون إلى شمال سوريا أقل كفاءة من غيرهم، وذلك في الوقت الذي زاد فيه تدريب العثمانيين على الحرب بمنازلتهم لقوات الشاه إسماعيل الصفوي، علاوة على تميزهم باعتمادهم على سلاح جديد فعال هو المدفعية[٣].

---

(١) السيد محمد الدقن (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٦.
(٢) إبراهيم أحمد العدوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٧٧
(٣) جلال يحيى (دكتور): مرجع سابق، ص: ٤٣٧، ٤٣٨

استعد كل من الطرفين للقتال، وقد أسند الغورى ميمنة الجيش للأمير برسيباي نائب الشام، ومعه جنود الشام بينما أسند ميسرته للأمير خاير بك نائب حلب ومعه جنـود حلب، كما رافق الجيش المملـوكي الخليفة المتـوكل على اللـه والأمير العثماني قاسم بك أخو سليم الذي فر منـه إلى الغوري وقد رأى الغوري أن يبرزه أمام الجند العثماني فلعلهم يلتفون حوله ويخذلون سلطانهم[١]

وكانت الميمنة التي تحت قيادة الأمير بـرسيباي ومعه المماليك القرانصة – دون الجلبان – قد قاتلت قتالا شديدا أدى إلى إحراز نصر مؤقت للمماليك على العثمانيين، وكانت هـذه بدايـة موفقة للجيش المصري، ولـو استمر يقـاتل على قلب رجل واحد، لانهى المعـركـة إلى نصر محقق في صـالحه، وحـاسم في نفس الـوقت، ولتغير وجـه التاريخ، ولكن الدسيسة أطلت بقرونها، فسرعان ما فشت الشائعات بين الجند، وبلغ المماليك القرانصة بأن السلطان الغوري قال لمماليكه الجلبان:

" لا تقاتلـوا، وخلوا المماليك القرانصـة تقاتل وحـدهم" فيتخلص منهم، وصدق القرانصة هذه الشائعة فثنوا العزم عن القتال[٢] وتراخوا عن إتمام المعركة مما أتاح الفرصة للعثمانيين لاسترداد معنـوياتهم، فاستأنفوا القتال بنشاط جـديد وحماسة بالغة، وتمكنوا من إلحاق هزيمة ساحقة بالمماليك[٣].

وبعد موقعـة مرج دابق تمكن السلطان سليم العثماني بكل سهـولة من احتلال مدائن حماة وحمص ودمشق، وعين بها ولاة من طرفه[٤].

أدت هـزيمة المماليك في مـرج دابق ومقتل السلطان الغـوري، إلى وقوع فـوضى شاملة عمت بلاد الشام ومصر، حتى اختلف المماليك فيمن يولونه سلطانا على مصر

---

(١) محمود رزق سليم: مرجع سابق، ص: ١٥٨
(٢) محمد بن محمود الحلبي: مرجع سابق، ص: ٢٤٩، ٢٥٠
(٣) محمـد بن محمود الحلبي، مـرجع سـابق، ص: ٢٤٩، ٢٥٠، ومحمود رزق سليم (دكتـور) مرجع سابق:، ص: ١٥٨، ٢٥٩.
(٤) نور الدين حاطـوم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٣٥

بعد الغـوري، وأخيرا أجمعوا أمـرهم على اختيار طـومانبـاي سلطانـاً للبلاد وتمت البيعة في رمضـان ٩٢٢هـ / أكتوبر ١٥١٦م[١].

ومن الجدير بـالذكر أن السلطان سليم - بعد استيـلائه على الشام - لم يكن في نيته الزحف على مصر، بل كان يريد الاكتفاء بذلك والعودة إلى بلاده بعد أن يتوصل إلى صلح مع المماليك تظل مصر بمقتضاه في حوزتهم في ظل السيادة العثمانية، إلا أن خايربك الـذي خان الغوري أثناء موقعة مـرج دابق ،زيّـن لسليم الزحف على مصر والاستيلاء عليها خوفا على نفسه من المماليك[٢].

ولم يدخر طومـانباي وسعاً في سبيل تجهيز جيشه بأحـدث ما يمكنه الحصول عليه من سـلاح، فلم يكتف بما لديه مـن أسلحة وجنود، بل استعـان بحاكم رودس الذي أمده بألف رام يـرمون بالبندقيـة الرصاص، كما أرسل إليه عـدة مراكب فيها بارود، فوصلت إلى ثغر دمياط ومنه إلى القاهرة[٣]

زحف العثمانيون على مصر، حتى بلغوا الريدانية (من ضواحي القاهرة) ودارت معركة فاصلة بينهم وبين المماليك انتهت بهزيمة المماليك وفرار سلطانهم طومانباي الذي قبض عليه فيما بعد وأعدم على باب زويلة، في ١٣ أبريل سنة ١٥١٧م[٤].

وبذلك أصبحت مصر ولاية عثمانية، وتم الدعاء للسلطان سليم بالمساجد لتنتهي بذلك دولة المماليك من مسرح الأحداث مع نهاية آخر سلاطينها.

وباستتباب الأمر للعثمانيين في مصر بعد موقعه الريدانية، أصبح عليهم - كذلك - أن يتولوا أمـر الأقاليم التي كانت ملحقـة بها، وخاصة في شبه الجزيـرة العربية، وهي أقـاليم الحجاز واليمن، كما كـانت سـوريا الجنـوبية ضروريـة من الناحيـة الاستراتيجيـة، كخط دفاع أول عن مصر، أمـام أية هجمـة قـد تفاجئنـا من المحيط

---

(١) السيد محمد الدقن (دكتور) : السلطان الأشرف، ص: ٣٥

(٢) محمود رزق سليم (دكتور) ، مرجع سابق، ص: ١٦٦

(٣) السيد محمد الدقن، السلطان الأشرف، ص: ٥٠

(٤) ابن إياس : مصدر سابق، جـ٥، ص: ١٤٥، ١٤٦.

الهندي وخليج عدن، وبخاصة في الوقت الذي ظهر فيه البرتغاليون هناك[١]

ولم يكن من الصعب أن ينضم أشراف الحجاز إلى الدولة العثمانية التي سيطرت على مقدرات مصر، فبادر الشريف بركـات شريف مكة بإعلان ولائه للعثمانيين إبقاء على الروابط الاقتصاديـة التي تربط أقاليم الحجاز بمصر، فأرسل ابنـه إلى القاهرة يحمل إلى السلطـان سليم تهنئـة بفتح الشـام ومصر، ويحمل إليـه أيضـا مفـاتيح الحرمين الشريفين، فأكرمه سليم وأعطاهُ تفويضـا بحكم والده، وقرىءالتفويض في مكة المكرمة حيث خطب على منابرهـا باسم سليم، وقد ترتب على سيطرة العثمانيين على أقاليم الحجاز ظهورهـم في البحر الأحمر، ومحاولتهم استكمال سيطرتهم عليه بـاستيلائهم على اليمن، وإنقـاذ هذا البحـر من الخطر البرتغـالي الزاحف عليـه من المحيط الهندي، بعد أن أصبح لهم ممتلكات تقع على شاطئه، وأصبح الدفاع عن هذه الممتلكات واجبا مقدسا تفرضه كرامة الدولة العثمانية ومصلحتها[٢].

كما اتجه العثمانيون – بعد سيطرتهم على الحجاز – إلى اليمن مما أدى إلي زعزعة النفـوذ العثماني، الأمـر الـذي دفع حسين بك (حـاكم جـده) لأن يطلب من الـوالي العثماني على خيربك (١٥١٧ – ١٥٢٢م) السماح له بالاستيلاء على اليمن، وبالرغم من موافقـة خيربك على ذلك، إلا أن الحملة لم يكتب لها النجـاح وربما يرجع ذلك إلى وفاة السلطان سليم الأول[٣] وسوف يـؤدي هذا النـزاع بين الجراكسة – في نهايـة الأمر – إلى محاولة العثمانيين القضاء عليهم عـن طريق تجريد إحدى حملاتهم لهذا الغرض[٤].

وقد أخـذ العثمانيون يتوغلـون بعد ذلك شرقا وغربـا وجنوبا، ويستـولون على البلاد العربيـة الواحدة تلو الأخرى، بحيث لم يمض على مـوقعه مرج دابق ١٥١٦م

---

(١) جلال يحيى (دكتور) : التاريخ الأوروبي، مرجع سابق، ص: ٤٤٠

(٢) السيد محمد الدقن (دكتور)، مرجع سابق، ص: ٤٧

(٣) صالح أوزبران – مرجع سابق – ص: ٨٨

(٤) سوف تجرد الدولـة العثمانية ضد الجراكسة في اليمن حملـة في عام ١٥٣٨م بقيادة سليمان باشا الخادم والي مصر (انظر تفاصيل هذه الحملة في الفصل التالي من الكتاب).

أربعون عاما حتى كان العثمانيون قد استولوا على جميع البلاد العربية، عدا المغرب الأقصى من جهة، وقلب شبه الجزيرة العربية من جهة أخرى[١] على أن التواجد العثماني في البحر الأحمر كان يتطلب بلا شك أسطولا قويا، وأن الأمر الذي سيجعل الدولة العثمانية تنشط بحق في البحر الأحمر والمحيط الهندي هو إعداد أسطول قوي وفعال، وأن أول من آمن بهذه الفكرة هو البحار التركي الأصل سليمان الريس[٢].

* * *

(١) السيد محمد الدقن (دكتور) مرجع سابق، ص: ٤٧

(٢) صالح أوزبران - مرجع سابق، ص: ٨٨

الفصل الثالث

مراحل الصراع البرتغالي العثماني

الفصـــل الثـــالـــث

مــراحـــــل
الصراع البرتغالي العثماني

أولاً : مؤازرة العثمانيين للمماليك في مواجهة الخطر البرتغالي

* المرحلة الأولى : الصراع العثماني البرتغالي

في البحر الأحمر والمحيط الهندي .

*المرحلة الثانية : الصراع البرتغالي العثماني في شرق أفريقيا .

*المرحلة الثالثة : الصراع البرتغالي العثماني في الخليج العربي .

الفصل الثالث

مراحل الصراع البرتغالي العثماني

إن العثمانيين، في واقع الأمر، لعبوا دوراً حاسماً وهاما في كبح جماح المغامرين البرتغاليين الذين دفعتهم دولتهم الناشئة - بتشجيعها لهم وإنفاقها عليهم - إلى العبث بمقدرات السواحل الإسلامية في مناطق شتى، كان من بينها الشرق الأفريقي.

ويخطيء البعض إذ يتصور أن الدور العثماني في صد البرتغاليين لم يبدأ إلا بعد أن ورث العثمانيون ممتلكات ودور المماليك في المنطقة.

فقد بدأ هذا الدورمبكرا وقبل اتجاه العثمانيين بفتوحاتهم إلى الشرق، وهذا ما سنتناوله في بداية حديثنا عن مراحل الصراع العثماني البرتغالي.

أولاً: مؤازرة العثمانيين للمماليك في مواجهة الخطر البرتغالي:

بعد هزيمة المماليك في موقعة ديو البحرية في عام ٩١٥هـ / ١٥٠٩م شعر السلطان العثماني بعظم المسئولية الملقاة على حكام المسلمين، فلم يلبث أن استنجد به السلطان الغوري الذي بات يخشى من تطلعات البرتغاليين لملاحقة القوى المملوكية وشل حركتها في المحيط الهندي والبحر الأحمر، بالإضافة إلي تهديدهم للأماكن المقدسة الإسلامية.

حينئذ أمر السلطان العثماني بإرسال ثلاثين ألف سهم وأربعين قنطاراً من البارود، وألفين من البحارة العثمانيين بالإضافة إلى بعض لوازم الحرب الأخرى دون مقابل للمساعدة في الحملة البحرية المتجهة إلى الهند(١).

(١) فائق بكر الصواف، مصطفى رمضان: مرجع سابق، ص: ٢٧١، ويُذكر في هذا الصدد أن الغوري طلب من بايزيد الثاني السماح له بشراء مواد حربية عثمانية سعياً لتعزيز الجهود، وأوفد الغوري بالفعل مبعوثه يونس العادلي إلى استانبول لشراء أخشاب وذخائر حربية، ومع ذلك فقد رفض السلطان العثماني أن يتقاضى ثمنا لهذه المساعدات الحربية، وقام برد المال الذي كان يحمله يونس العادلي وجعل المساعدات هدية إلى السلطان الغوري ، انظر: عبدالعزيز الشناوي (دكتور) المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق أفريقيا، ص: ٦٥٧، ٦٥٨.

وقد جعل السلطان العثماني على رأس القوة العثمانية قائده سليمان الريس[1] وأسند المماليك إلى سليمان مهمة نيابة حسين الكردي، وعلى الرغم من اختلافهما في الطباع والسلوكيات - مما جعل كلاً منهما يشك في الآخر، والاتفاق بينهما قصير الأمد - فقد غادرا جدة بعد اشتراكهما في تحصينها واتجها نحو اليمن، حيث استعصت عليهما عدن مما كان سبباً في نشوب الخلاف بينهما[2].

وبعد دخول العثمانيين مصر واستيلائهم على الشام وما تلاهما من خضوع الحجاز لهم، أمر السلطان سليم بتولية سليمان الريس القيادة في جدة بعد أن تم التخلص من حسين الكردي بإغراقه في بحر جدة.

وقد خلا الجو للعثمانيين في المنطقة بعد قضائهم على المماليك، وأصبح عليهم وحدهم مواجهة الخطر البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر.

وجرد العثمانيون عدة حملات ضد البرتغاليين، وسنحاول تتبع هذه الحملات ومراحل الصراع فيها ونتائجها فيما يلي:

المرحلة الأولى : الصراع العثماني البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي

الفترة الأولى : وتشمل فترة سليمان الريس ومن تلاه من القادة العثمانيين في خط المواجهة ضد البرتغاليين حتى تولى سليمان الخادم القيادة العثمانية.

---

(١) سليمان الريس عبدمملوكي من أصل تركي وينعته انجلوبيش بأنه كان قرصانا في البحر المتوسط مع أنه كان قائداً لجيش يمد عادية القراصنة البرتغاليين.
انظر : BESCE ANGELO : OP. CIT, P. 84.
وكان أول عمل يقوم به سليمان الريس بعد توليته أن قام بإعداد تقرير مفصل أرسله إلى السلطان العثماني سليمان القانوني تضمن هذا التقرير مقدار حجم وأهداف القوات العثمانية والبرتغالية الموجودة في المحيط الهادي ، دعا سليمان في تقريره إلى: «هجمات أكثر ضد البرتغاليين وتكثيف الجهود العثمانية ».
انظر : عبدالوهاب القيس : موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية - مجلة الخليج العربي - عدد١ - العراق ١٩٨٠م. ص: ٤٧.

(٢) KAMIMERER - OP. CIT. T. 111, P. 66, BESCE ANGELOOP - CIT. P. 84

فقد فكـر نائب الحاكم البرتغالي في مدينـة جوا الهندية أن يحد من سلطـة القوى العثمانية التي أخذت في التوسع وباتت تهدد المصالح البرتغالية في المنطقة.

فأرسل حملة لمواجهة الأتراك كان على رأسها (لوبواسواريز) عام ١٥١٧م[١]، إلا أن هذه الحملة لم تتمكن من تحقيق أهـدافها، فقد كانت حملة لوبـواسواريز تتكون من أربعين سفينـة وألفين من الجنـود البرتغـاليين، وقصـد سـواريـز جـدة إلا أن التحصينات التي سبق أن أقامها المماليك قد ساعدت على صد البرتغاليين.

وقـد تحمل القائد العثماني سليمان الـرومي (سليمان الريس) مسئـولية صـد الهجوم البرتغـالي، وتمكن من إجبارهم على مغـادرة ميناء جـدة إلى كمران، فتبعهم القائد العثماني بفريق من رجاله وطاردهم حتى نجح في الاستيلاء على إحدى السفن البرتغـالية وأسر بحـارتها، ثم أرسلهم إلى استانبـول وبعـدها عـادت بقية الحملـة البرتغالية إلى هرمز[٢].

وفي ذلك يصف المؤرخ اليمني بـامخرمة هـذا الحدث بقولـه ثم ساروا إلى جـدة، فأرســوا ببندرهـا، وبها الأمير سليمان في جمع من الترك وغيرهم، وكانـوا قد علمـوا بمسيرهم إلى جدة، فاستعدوا لقتالهم، فلم ينـزل أحد من الفرنج إلى ساحل جدة، بل قصدهم الأمير سليمان إلى البندر في غراب أو غرابين، فلما قرب منهم رماهم بالمدافع، فأتلف عليهم من مراكبهم مركبين أو ثلاثة، ولكن بامخرمة يعود مرة ثانية ليضيف إلى روايته بقـوله: «واستمـر الفرنج راجعين عن بنـدر جدة إلى اليمن فتتبعهم الأمير سليمان أو بعض أصحابه في غـراب إلى قرب اللحية فاستنفذوا من الفرنج غـرابا به جماعة من الفرنج فعزموا بهم إلى جدة»[٣].

ثم عاد حـاكم جوا الكرة مرة ثـانية، وأرسل حملة أخـرى بقيادة لوبو سكـويرا

---

(١) انظر خط سير حملة لوبو سواريس (ملحق رقم ١٠) ص: ٢٧١

(٢) عبدالعزيز الشناوي (دكتور): المراحل الأولى للوجود البرتغالي، ص: ٦٦٥.

(٣) في مخطـوط قـلادة البحـر نقـلا عن د/ محمد عبـدالعـال أحمد: البحـر الأحمر والمحـاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، ص: ٢٠١، ٢٠٢.

لوبيز دي سيكيرا (DIEGO LOPER DE SEGEUIRA) سنة ١٥٢٠م لكسر شوكة الأتـراك، إلا أنها باءت بالفشل هي الأخرى ولم تحقق أيـا من نتائجها سوى أن هـذا القائد قد حاول إنـزال بعض قواته بـالمواني الإريترية، فلم يتمكن من ذلك، ومّر في طريقه بجزيرة دهلك وأحرقها كما هدد ميناء عدن[١].

ومثل الحملات السابقـة كانت حملة لويز دمينيز إلى مصـوع، ولكنها عادت هي الأخرى دون مهاجمة الشواطىء العربية[٢].

ويغلب على الاعتقاد أن هذه الحملات كانت ضمن أهدافها عملية جس النبض بعد ظهور العثمانيين في البحر الأحمر واستيلائهم على بعض موانيه وسواحله.

وبعـد ذلك نفاجأ بحمـلات أخرى تظهـر بين الحين والآخر، ففي عـام ١٥٢٤م حاول القائد البرتغـالي سيلفيرا الاستيلاء على مدينة دليما (DELIMA) في أثيوبيا دون جدوى، وفي رحلة العـودة عقد اتفاقية مع حـاكم عدن، حيث كانت مـدينة عدن ماتزال مستقلة ولم تدخل في طاعة العثمانيين، ومع ذلك فإن فاسكو دي جاما الثاني (VASCO DE GAMA SECOND) لم يحترم هذه الاتفاقية.

واستمر الحال على ما هوعليه دون صدام بين العثمانيين والبرتغاليين، وكأن كلاً منهما في حالـة ترقب وجس للنبض وانتظار للفـرصـة، وإعداد العدة ليكيل لغـريمه حتى سنة ١٥٢٥م.

أما سليمان الـريس فقد تركناه يتـولى مكان حسين الكردي، ويتم تكليفـه للقيام بحملة بعـد إعدادها لمواجهـة الأسطول البرتغالي، ولم يكن سليمان الـريس هذا على كفاءة ولا استعداد يـؤهله لهذا الأمر الجلل، فقد كان يطمع في الانفصـال عن الدولة العثمانية والحصول على مكاسب شخصية له.[٣]

---

(١) يذكـر د/ عبدالعزيـز الشناوي، ص: ٦٦٥، أن هذه الحملة كـان لها هدفان: احتـلال ميناء وثغر جـدة، وإنزال أول بعثـة دبلومـاسية إلى بـلاد الحبشـة، وتعـرضت هذه الحملة لـريح شديدة قرب جدة فعادت من حيث أتت.

(٢) KAMMERER: OP. CIT. P. 66 - 67.

(٣) BESCE ANGELO : OP, CIT. P. 87

ففكر الريس في الاستيلاء على جنوب اليمن، وبالتحديد على شاطىء تهامة ومكث في مدينة زبيدة مدة معلنا انفصالـه عن الدولة العثمانية، إلا أنه قتل في سنة ١٥٢٦م وخلفه ولاة أتراك.

ومع ذلك فـلا يغفل لـه بعض الجهـود في محاربـة البرتغـاليين، والكيل لهم على الشاطىء اليمني مما يدل على أنه قد كان للريس هو الآخر دور لا ينكر في صد عادية البرتغاليين.

فقد حدث في وقت الفتنـة التي وقعت بين أحمد باشا وإبراهيم بـاشا وتنافسهما على ولاية مصر، وانتهت هـذه الفتنة بمقتل أحمد بـاشا، كان الـريس حينذاك مقيما بمصر فلما شاهد هذه الفتنة خشى على نفسه أن يصيبه مكروه منها، فخرج إلى جدة متخفيا، وهناك قابل حسين الرومي نائب جدة وحبـب إليه الريس العودة مرة ثانية إلى اليمن.

وبالفعل أعد الرومي والريس عدتهما من جنود وعتاد وتوجها إلى اليمن.

في ذلك الـوقت كان البرتغـاليون يقـومـون بعمليات تهديـد للسواحل اليمنيـة، واختطاف بعض أهلها.

وعلى أثر ذلك شمـر الريس عن سـاعد الجد، وواجـه الحملات البرتغـالية ودفع ضررهم عن المنطقة، ويؤخـذ من كلام النهروالي أنه قد حـدثت بينه وبين البرتغاليين مواقع أسـر فيها جماعة من البرتغـاليين وقتل منهم جماعة أخـرى، وفي ذلك يقول النهـروالي: (كان الفـرنج تكمن في جبل كمـران ويتخطفون المسلمين من السـواحل وينهبون ما يقدرون على نهبـه، فلما وصل الريس دفع ضررهم، وقتل منهم جماعة وأسر جماعة، ونظف ساحل اليمن منهم[١]

والغريب في الأمر أن الولاة الذين خلفوا الـريس قد نهجوا نفس منهجه في محاولة

---

(١) قطب الدين محمد بن أحمد: مصدر سابق، ص: ٣٨، ٣٩، والجدير بالذكر أن النهروالي كان معاصراً للاحداث، فقد ولد سنة ٩١٧هـ، وتوفي في سنة ٩٩٠هـ.

الانفصال عن الدولة العثمانية خاصة الإسكندر، الذي بقي من ١٥٢٧م إلى ١٥٣٦م.

ولم يكن هم هؤلاء الولاة إلا حماية أنفسهم دون أية محاولة لمحاربة البرتغاليين.

ويغلب على الظن أن هؤلاء الولاة وأمثالهم قد تأثروا بمناطق اليمن التي كانت تقوم بها الثورات الانفصالية المختلفة في مناطق شتى من ربوعه، على الكيانات اليمنية الكبيرة، بالإضافة إلى أن محاولة هؤلاء الولاة الانفصال أضعف الوجود التركي في مواجهة الخطر البرتغالي مما ترك له الفرصة للتوسع وتثبيت أقدامه في السواحل. وانشغل هؤلاء الولاة بمناهضة الإمارات الساحلية في اليمن، إلا أن عدن الطاهرية حافظت على استقلالها ولم تترك الفرصة لولاة الأتراك في تهامة وغيرها وبقيت بعيداً عن السيطرة العثمانية والبرتغالية في ذلك الوقت.[١]

ومع ذلك فقد كانت هناك جهود أخرى حيث يُذكر أنه بعد مقتل الريس تجمعت وتكاتفت القوى العثمانية واليمنية وتمكنوا من تكوين أسطول بلغ ستا وعشرين قطعة بحرية، واتجهت هذه السفن - بدعوة من حاكم كوجرات (بهادور) - إلى الساحل الهندي محققا نجاحا طيبا في الذود عن ميناء ديو البحري ضد البرتغاليين الذين مُنعوا من الاستيلاء على هذا الميناء فترة من الوقت، على الرغم من أن إعداد هذا الأسطول العثماني في ذلك الوقت وقيامه بحملة إلى المياه الهندية يُعد مغامرة بحرية ولكنها كانت ناجحة[٢].

ويفصل لنا أحد الباحثين هذه المهمة حيث يذكر[٣]: أن هذه الحملة كانت قد أعد لها في ميناء السويس وخرجت منه في عشرين سفينة وأربعة آلاف جندي، وعلى رأسها الأمير خيرالدين حمزة قائدا عاما للحملة لتحقيق هدفين، الأول: الاستيلاء على عدن وقد فشلت في تحقيقه، والثاني: النهوض إلى سواحل الهند لمدافعة الوجود

---

(١) KAMMERER : OP CIT P. 67

(٢) صالح أوزبران (دكتور) : الدولة العثمانية وطريق الهند - مرجع سابق، ص: ٩٤، ٩٥.

(٣) عبدالعزيز الشناوي (دكتور) : المراحل الأولى للوجود البرتغالي، ص: ٦٧٤، ٦٧٥.

البرتغالي فيها، وفي هذا الصدد لم تبحر الحملة كلها، بل أبحر بعض القادة العثمانيين على متن عدد من السفن العثمانيـة وشحنوهـا بالمدافع والبنادق، ومن هـؤلاء القادة مصطفى بيرم والخواجه صفر وغيرهما حتى وصلـوا إلى سلطنة كجرات ودخلوا في خدمة سلطانها، واشتركوا معه بسفنهم ومـدافعهم وبحارتهم في صد هجوم برتغالي على ميناء ديو، وقـد عين مصطفى بيرم حاكما لميناء ديـو، بينما عين الخواجة صفر حاكما لميناء سورات.

الفترة الثانية : وتشتمـل على حملة سليمان باشا الخادم وإعدادهـا في السويس، والاستيلاء على عدن، ثم محاصرة البرتغاليين في الهند :

حملة سليمان باشا[١] الأولى إلى الهند (٩٥٤ هـ / ١٥٣٨م).

بـاتت أحوال المسلمين في الهنـد لا تُطاق من جـراء عبث البرتغـاليين بالسـواحل الهندية دون ردع مؤثر لهم، مما دفع الممالك الإسلامية إلى طلب النجدة من السلطان العثماني سليمان القـانـوني الـذي كان على علم – فيما يبـدو – بما كـان يـدور في السواحل الهندية وغيرها، فتجمعت عنده رغبـة أكيدة لمناصرة تلك الممالك الإسلامية الواقعة على السواحل الهندية تأكيداً للدور العثماني في الذود عن بيضة الإسلام ضد الأخطار الاستعمارية البرتغالية وغيرها.

أضف إلى ذلك العامل الاقتصـادي – وهو على درجـة كبية من الأهمية – فقد كان السلطان يعي تماماً مدى الخسارة التي لحقت بخزينته من جراء الوجود البرتغالي في

---

(١) كـان سليمان الخادم أو سليمان الأرناؤطـي – كما يُنعت – من خواص ممـاليك السلطـان سليم ثم انتقل إلى خـدمة سيـده السلطـان سليمان القانـوني – وكان الخادم رجـلا ضخم الجثة، فتاكا سفاكا للدماء، تجاوز الثمانين من عمره.
وقـد ولي وزارة مصر نحو عشرة أعـوام، ثم عـزل عنها وأعيـد إليهـا ثانيـة، وتعين أمير دار العسكـر الموجهـة إلى الهند، وهـو أول من أرسل الخزينـة وهي عبـارة عن كل مـا تبقى من إيرادات مصر بعد ما ينفق عليها في مصالحها ومصالح أهلها.
انظر : أحمد شلبي الحنفي المصري : أوضح الإشـارات فيمن تولى مصر القاهـرة من الوزراء والبـاشوات، ص: ١٠٦، وانظـر : أحمد بن فضل : هديـة الـزمن – مرجع سـابق، ص: ٩٦، ومحمد عبداللطيف، البحراوي: مرجع سابق، ص: ١٥٢.

المياه الإسلامية، وما كان يمكن أن يعود على سلطنته من رخاء وازدهار للتجارة وعوائدها لو لم يكن هناك سيطرة برتغالية.

ونظرة واحدة إلى الأرقام تبين لنا صدق هذا الحديث حيث يؤكد لنا أحد الباحثين[1] أن واردات الدولة العثمانية وإيرادات الخزينة في سنة ٩٣٣ - ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ - ١٥٢٨ وصلت إلى مايقارب ١٦٨ر٤٣١ر٤٤٧ آقجة[2]

وكانت إيرادات الخزينة هذه عن محصولات مصر وحدها ٩٩٤ر٥٣٨ر١١٦ آقجة منها ٩٦٤ر٧٣١ر١٧ آقجة كانت تأتي من إيرادات أرصفة جدة ومصر، وكانت أغلب هذه الإيرادات الأخيرة من البضائع القادمة من المحيط الهندي، على الرغم من المقاطعة التي فرضها البرتغاليون على هذه البضائع.

ومهما كان الأمر فإن هذه الإيرادات التي كانت تأتي من البضائع القادمة من المحيط الهندي إلى داخل الإمبراطورية العثمانية، كانت بقدر يشجع استانبول على زيادتها والعمل على حمايتها ضد الاحتكار البرتغالي[3].

وإدراكا من السلطان سليمان القانوني لفداحة الأضرار الناجمة عن إبعاد العرب عن أسواق التجارة في الشرق نجد أنه قد فتح باب المفاوضات مع الزاموريين بقاليقوط، ومع ملك كمباى المسلم، وهما العاهلان الهنديان اللذان تأثرت مصالحهما بسبب عدوان البرتغاليين، وتمكن من عقد اتفاق يقضي بالعمل المشترك ضد العدو البرتغالي.

وأصدر السلطان العثماني مرسوماً إلى سليمان باشا الخادم (والي مصر) هذا نصه :

" عليك يا بيك البكوات (بكلربك) بمصر سليمان باشا أن تقوم فور تسلمك

(١) صالح أوزبران : الدولة العثمانية، وطريق الهند، ص: ٩٥
(٢) اسم العملة المتداولة في الدولة العثمانية في ذلك الوقت.
(٣) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٩٥

أوامرنا هذه بتجهيز حقيبتك وحاجاتك وإعداد العدة بالسويس للجهاد في سبيل الله حتى إذا تهيأ لك إعداد أسطول وتزويده بالعتاد والميرة والذخيرة وجمع جيش كاف فعليك أن تخرج إلى الهند وتستولي على تلك الأجزاء فإنك إذا قطعت الطريق وحاصرت السبيل المؤدية إلى مكة والمدينة تجنبت سوء ما فعل البرتغاليون وأزلت رايتهم من البحر "(١)

ومنذ أن تسلم سليمان الخادم هذا الفرمان العثماني أخذ يعد نفسه ويعد العدة، وقام العمل في السويس على قدم وساق لبناء أسطول قوي، حيث أمكن بناء ثمانين سفينة(٢).

وقد زودت السفن بكل ما يلزمها لرحلة طويلة، واستحضرت المواد الخام اللازمة لهذا الأسطول من استانبول -مباشرة- على متن عشرين سفينة حتى الإسكندرية ومنها نقلت إلى السويس.(٣)

أما قوام هذه الحملة فقد كانت تتكون من عشرين ألفاً من عرب مصر والشام بينهم سبعة آلاف من جنود الانكشارية، كما ضمت الحملة عددا من البنادقة كانوا قد وقعوا أسرى في يد العثمانيين في الحرب التي دارت بينهم وبين البنادقة واستغلوا هؤلاء الأسرى في إعداد الأسطول وفي الملاحة كذلك.

---

(١) ك. م. بانيكار : مرجع سابق، ص: ٥٠

(٢) يذكر النهروالي في كتابه البرق اليماني في الفتح العثماني – ص: ٧١ : «أن عدد السفن التي تم بناؤها كان سبعين غراباً – وهي السفن الكبيرة – وثلاثية برشه – وهي السفن الصغيرة – وأعتقد أن هذا العدد هو الأقرب إلى الصواب لسببين هامين : أولهما أن النهروالي كان معاصراً للأحداث، وهذا يرجّح روايته على غيره، والسبب الثاني: هو أن السفن الكبيرة تحتاج إلى بعض السفن الصغيرة السريعة التي تساعدها على عمليات الاستطلاع ونقل بعض المؤن من السواحل القريبة.

(٣) يذكر صالح أوزبران في كتابه الدولة العثمانية وطريق الهند، ص: ٩٦: (أن المواد نقلت إلى السويس بواسطة الجمال عن طريق القوافل البرية، وأعتقد أن الرأيين على صواب فربما قد جاءت المواد بالبحر حتى الإسكندرية ثم تم نقلها عبر الطريق البري إلى السويس بقوافل الجمال.

ويبدو للباحث أن البرتغاليين لم يكونوا في غفلة عما يُحاك ضدهم من قِبل العثمانيين، فقد كانت التقارير تصلهم باستمرار عن كل ما يدور في السويس بصورة أو بأخرى، خاصة إذا نظرنا إلى الرسائل والإيضاحات التي كانت ترسل من البندقية إلى حشبون فإنها تعبّر لنا وتبين مدى استعدادات العثمانيين ووضعهم العسكري.

من ذلك ما أرسله السفير البرتغالي بيرو (PERO) في ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) من سنة ١٥٣١م إلى الملك البرتغالي دي جوو (D. JOAO) الثالث يقول فيها: "الآن هنا وفي البندقية وإن الأخبار التي وصلتنا من شخص كان يعيش في السويس الواقعة على البحر الأحمر، وكان هذا الشخص قد قدم من الإسكندرية وهذه الأخبار مفادها أن ما يقرب من ٨٠ سفينة قد أنشئت و٣٠٠ شخص في عمل متواصل لتهيئة هذه السفن، وقام السلطان بإرسال بعض الأشرعة والحبال الغليظة والمدافع وبعض المهمات والأعتدة واللوازم الضرورية لهذه السفن، ونقل جميع هذه المواد إلى السويس بواسطة الجمال عن طريق القوافل البرية، وإضافة إلى ذلك فقد أرسل السلطان ثلاثة آلاف من الجنود الانكشارية العثمانية والعمال، وكذلك سد حاجاتها من المؤونة والطعام في جميع المناطق التي تصل إليها هذه السفن، وسيقوم والي مصر بقيادة هذه السفن يدعى الخادم سليمان باشا، ويلقبونه بقائد ذي روح شيطانية، وخلف مكانه في الولاية دفترداره من بعده، ويقال أيضا إنه رافق إبراهيم باشا إلى القاهرة ورجوعه إلى إستانبول وفي حالة الانتهاء من العمل وإعداد هذا الأسطول سيبحر حالاً للبحث عن الأسطول الملكي البرتغالي، أينما يكون، ولكن هذا الأسطول سوف لن يتهيأ لغاية شهر نيسان (إبريل) من سنة ١٥٣٢م[١].

انتهى سليمان الخادم من إعداد سفنه ورجاله، وكان أمامه هدفان: فتح بلاد اليمن لاتخاذها كرأس جسر ينفذ منه إلى هدفه الثاني والأهم وهو الهند لضرب المراكز البرتغالية فيها.

(١) صالح اوزبران : الدولة العثمانية وطريق الهند – ص: ٩٦

وسلم سليمان باشـا البلاد المصرية إلى داود باشـا ثم سافر بجنـوده وسفنه إلى بندر جدة الذي وصله بعد سبعة أيام من إقلاعه دون أن ينزل إلى المدينة ولم يسمح كذلك لأحد من جنوده بالنزول ثم قصد عـدن وكان عليها يومئذ عامر بن داود آخر ملوك بني طاهر والذي لم يكن له سوى قلعة عدن.

ويذكر العبدلي(١) : أن سليمان حط بحملته في كمران، وأن الذي دعاه إلى عدن هو عامـر بن داود حاكمها وذلـك طمعا في نصرته على الإمـام شرف الدين، وأن سليمان الخادم بسط لـه الجواب، وأوهمه المساعـدة، ولم نجد هـذه الـرواية عنـد غيره من المعاصرين أمثال النهروالي.

وعلى كل تـوجه سليمان بـاشا الخادم إلى عدن، وقـابل حاكمهـا عامـر بن داود بحفاوة بالغة وقدم ما أراد من مؤن وإمدادات لحاجة جنوده وسفنه، إلا أن سليمان قد غدر بعامر وأمر بشنقـه مع مجموعة من أتباعه(٢) وأمر جنوده باحتلال المدينة والسيطرة عليها، كما أناب عنه فيها بهرام بك سنجقـا كبيراً للمدينة ونائبا عن الأمير فيهـا، كما رتب لـديـه جنـودا ومجمـوعـة من المدافع والمكـاحل(٣)، ووضـع فيهـا نوبتجية(٤) ودوداريا في القلعة(٥)، وضبط البلاد بذلك(٦)

وقد سارع الخادم بالكتابة إلى سيده السلطان سليمان مدعيا بأنه لم يقتل عامرا إلا لعزمه على بيع عدن للبرتغاليين.

وثمة كلمة في ختام حديثنـا عن دخول سليمان الخادم إلى عدن ففي الوقت الذي ذكر فيه النهروالي – وهومعاصر للأحداث كما أسلفنا –(٧) أن العسكر حينما شرعوا

---

(١) أحمد بن فضل : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ص: ٩٦، ٩٧.
(٢) العبدلي: هدية الزمن: مصدر سابق، ص: ٩٦، ٩٧
(٣) المكاحل: البوتقة التي يوضع فيها البارود.
(٤) حـراساً
(٥) أي قائداً عليها، وهو عبـارة عن ضابط كبير له مسئولية قيادة جيش الحاميـة ، انظر: صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ص: ٦٤
(٦) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني – مصدر سابق، ص: ٨٠، ٨١.
(٧) نفس المصدر السابق ص: ٨١

في نهب البلد – عدن – منعهم الأمير سليمان وأمر منـاديا يمنعهم عـن نهب الناس، ونادى بالأمان ! نجد أحـد ا لكتاب يذكر[1] أن سليمان " قد سمح لجنـوده بارتكاب عمليـات السلب والنهب وسـائر أنواع الموبقـات " . ويبـدو أن الأمر التبس على هـذا الكاتب من ذكر النهروالي لنهب الجنود بيت عامر بن داود فجعل ذلك النهب مستمرا حتى في البلد نفسها.

هذا مـا كان بشأن حملـة سليمان باشـا واستعداداته، ثم دخـول اليمن، وقبيل توجهـه إلى الهند يجدر بـالباحث أن يتعـرض بإلمامة سريعة عـن الأحوال في الممالك الهندية وحالتهم مع البرتغاليين.

وكان البرتغاليـون قد اشتد أزرهم بعد تأخـر العثمانيين، وتمكنوا من الاستيلاء على ميناء ديـو بالقوة، كما قتلـوا بها دور حاكم كجـرات بسبب اتصاله بـالسلطان العثماني سليمان القانوني مما حرك الحميـة الإسلامية في نفس السلطان، وأراد أن يعجل بحملته إلى الهنـد، وتعرض كجـرات هذه لهجـوم مغولي عليهـا سنة ١٥٣٥م أضعف من قواها مما اضطرها إلى طلـب مساعدة البرتغاليين، وكان ثمن هذا الطلب باهظا، وأتاح للبرتغاليين إحكام قبضتهم على المنطقة.

وبالنسبـة لكاليكوت فقد وهنت هـي الأخرى من جراء الغزو البرتغـالي لها، مما اضطـر السامـري حاكمهـا إلى مصـالحة البرتغاليين والسماح ببنـاء حصن لها في مدينته كما سمح لهم بالتجارة فيها.[2].

كان هذا هو حال الممالك الهنـدية عشية تقدم سليمان الخادم إليها، ولاشك في أن ضعفها كـان له أثره البالغ في فشـل حملة سليمان عند وصولها إلى الهنـد كما حدث فيما بعد.

وما أن انطلقت الحملة العثمانية – بعد استيـلائها على عدن – إلى الهند ومرت في

---

(١) عبدالعزيز الشناوي (دكتور) : المراحل الأولى للوجود البرتغالي، مرجع سابق، ص: ٦٧٧

(٢) السيد مصطفى سالم (دكتور): الفتح العثماني الأول لليمن، مرجع سابق، ص: ١٤٠، ١٤١

طريقهـا بالمكلا والشحر ورأس الفـرطق، وعند الشحر داهم سليمان باشـا أسطولا برتغـاليا مكـونا من ست سفن، حتى تمكـن من أسرهم جميعا، كما أسر معهـا مائة وستين برتغاليا ضمهم لأسطوله، وربما استخدمهم في الأعمال المعاونة والفنية حتى احتـــز رأسهم - فيما بعـــد حين عـــودتـــه كما سنـــرى - وأرسل رؤوسهم إلى استانبول(١).

ووصلت الحملـة إلى مشارف ديـو في ٤ سبتمبر ١٥٣٨م، ولكنهـا لم تتمكن من الوصول إلى الميناء ذاتـه في البداية نتيجة معاكسة الـرياح لها، فأنزلت إلى الغرب من الميناء أربعمائة جندي وبعض المدافع الكبـار لمعاونة الخواجة صفـر حاكم ديو - في حصار القلعة البرتغـالية من جهة البر(٢) وبعـد قليل تقدم الأسطـول العثماني إلى الميـنـاء ذاتـه، وبدأ في حصـــار القلعـة البرتغـاليـة من نـاحيـة البحر في ٥ أكتـوبـر ١٥٣٨م(٣).

وقد كانت قلعة ديو البرتغالية حصينة جدا، حيث تحيط بهامياه البحر من ثلاثة جوانب، ويحدها من ناحية البر سور عظيم، وأشجار عالية بينها استحكامات قوية.

وقد حاصرهـا سليمان الخادم بمدافعه الثقيلة التي كان يزن الـواحد من رميتها قنطارا.

وقد ظل الحال على ذلك قرابـة العشرين يوما(٤) سقطت بعدها القلعة الخارجية، وباتت القلعة الداخلية على وشك السقـوط هى الأخرى، وتأزم الموقف تماما بالنسبة للحامية البرتغالية(٥).

---

(١) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٥٤

(٢) الخواجة صفر : هو مملوك سليمان الريس، وقد سبق الحديث عن كليهما.

(٣) السيد مصطفى سالم (دكتور): مرجع سابق، ص: ١٤٦، ١٤٧

(٤) يذكـر KAMMERER أن مـدة الحصـــار قـد امتـدت إلى خمســـة أسـابيع دافع فيهـا البرتغاليون بعناد شديد حفاظاً على وجودهم، انظر : K. OP. CIT. P. 77

(٥) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : فتح العثمانيين عدن، مرجع سابق، ص: ١٥

غير أن الحال قد تبدل، وسرعان ما جمع سليمان عساكره وأخذ طريقه إلى العودة. وفي ذلك يصف أحد المعاصرين ما حدث بقوله: "وقد وصل في تلك السنة سليمان باشا وزير السلطان سليمان شاه المذكور في استعداد عظيم تام في نحو مائة من الغربان والبرشان وغيرهما إلى بندر عدن وقتل سلطانها الشيخ عامر بن داود رحمه الله مع بعض كبرائها وجعلها في قبضته ثم وصل إلى جزرات فشرع في حرب ديو وكسر أكثر القلعة بالمدافع العظام السلطانية ثم ألقى الله هيبة الإفرنج في قلب سليمان باشه فرجع من غير فتح إلى مصر ثم إلى الروم "(١).

وهنا يحار الباحث في تفسير ما حدث أمام تلك الروايات المتضاربة والمتناقضة ورغم أنه من السهل الجمع بين بعض المتقارب المتفق مع الأحداث والملابسات إلا أن ذلك يبقى في مجال الترجيح ولا يمكن أن يصل إلى درجة التأكيد.

وتفصيل ذلك أنه : كان على العثمانيين الذين يمتلكون قدرة بشرية هائلة ومدافع قوية من نوع (بابجالوشكا) وقوة هجومية مؤثرة، وأساطيل تتكون من مدمرات وعليها أطقم مدربة من مهندسين وميكانيكيين إضافة إلى أدلاء من أسرى البرتغاليين وعمال مهرة وغيرهم وجنود أشداء(٢)، هذا بالإضافة إلى ما قيل عن تولى بعض أسرى البنادقة الملاحة وصيانة السفن، كل هذا كان من شأنه أن يشجع العثمانيين على الدخول في معركة حاسمة مع البرتغاليين بل والتغلب عليهم واستئصالهم من المنطقة بأسرها، لولا أن هناك أسباباً قوية قد منعت من تحقيق هذه الأهداف.

ويغلب على الاعتقاد أن من أهم تلك الأسباب : سلوك العثمانيين تجاه إخوانهم في اليمن وفي الهند.

ففي اليمن كان لغدر سليمان الخادم بأمير عدن (عامر بن داود) آثار وخيمة على الوجود العثماني في كل مكان وفي كل قطر إسلامي، فقد قتله وشنقه دون جريرة كبيرة يستحق عليها هذا المصير على الرغم من استقباله للحملة العثمانية بحفاوة

---

(١) الفقيه الشيخ زين الدين بن عبدالعزيز: مرجع سابق، ص: ٦١

(٢) صالح أوزبران : الدولة العثمانية وطريق الهند، ص: ١٠٠

وتقديم المؤن لها وقد طيرت الأخبار إلى الهند وبات الجميع يتوجس خيفة من صنع سليمان الخادم، ذلك الرجل الذي قيل عنه تقدمه في السن وحبه لسفك الدماء.

أما في الهند فقد خاف كل أمير على نفسه ومملكته من أن يلقى نفس المصير، وقد أكد ذلك أنه بعد وصول العثمانيين إلى المياه الهندية ظهر استعلاؤهم على سكان السواحل وغلظتهم في التعامل معهم.

ويبدو لنا من خلال روايات المؤرخين أن ممالك الهند الإسلامية كانت تُعد العدة لمؤازرة الأسطول العثماني ضد البرتغاليين من ذلك أن الخواجة صفر (خداوندخان) كان حاكما على ديو وهو أحد مماليك الريس عندما بلغه قرب وصول سليمان الخادم أخذ يجمع القوات الهندية ويكمل استعدادتها لملاقاة حملة الخادم والتعاون معها، لدحر البرتغاليين وإجلائهم، ولكن بعد وصول العثمانيين نصحه واحد من خواص سليمان الخادم وقال له " إن لك عليّ حقا واجبا وإن لي نصيحة أبذلها لك فاختلى معه وقال له: إن سليمان باشا فتاك قتال، لا يبقي على أحد، وأنه قتل عند بروزه من مصر جانم الحمزاوي، وولده سيف، وقتل الأمير داود بن عمر، وعند وصوله عدن برز إلى ملاقاة عامر بن داود صاحبها وفتح له الأبواب وظهر السرور بقدومه فصلبه بمجرد الوصول إليه، وأنا أنصحك فلا تقابله ".[1]

عندئذ خاف خدواند خان على نفسه وعرف أنه متى وقع في يديه لم يسلم منه، ولكنه استمر يخدمه من بعد، ويرسل إليه الهدايا والتحف، وكان كلما طلبه سليمان تعلل بعذر عنده.

أما حاكم كجرات السلطان محمود فقد أرسل إلى سليمان باشا خاناً كبيراً من خوانينه يقال له (شق دار)[2] ليقوم على خدمة سليمان باشا.

إلا أن سليمان باشا قد احتقره وازدراه عندما رآه ولم يحسن كذلك مقابلته.

(١) النهروالي : البرق اليماني، مصدر سابق، ص: ٨٢، ٨٣

(٢) يعني حافظ شق المملكة، وكان له نحو خمسين ألف فارس.

وأمام هذا التشاحن وإضمار السوء - أرسل السلطان محمود سلطان كجرات - إلى خداونــدخان - أمير ديـو - يأمـره بالاحتيـال على سليمان لحثه على تـرك المياه الهندية.

وبالفعل تم تـدبير الحيلة حيث زوروا كتابـا بخط البرتغاليين وأشاعـوا بأنه من أورندور حـاكم جوا البرتغالي إلى قـائد الحامية البرتغاليـة في قلعة ديو وجـاء في هذا الكتاب:

"إنا قد جمعنا الجموع وتهيأنا في ثلاثمائة غراب وخمسين برشة، وقد فرغنا من مصـالحنا ونحن متوجهون إلى دفع عسكر الـروم فإذا ظهرنا من البحر فابرزوا أنتم أيضا من قلعة ديو للقتال".

وأشـاع خداوند أنه أمسك برسـول البرتغاليين وأخذ كتابه، ويضيف النهروالي إلى قوله: "وكان سليمان باشا خوارا خوافـا لم يُعهد منه شجاعة ولا إقدام" وهذه هي الطامة الكبرى فقد ركب سليمان من ذلك خـوف عظيم، وأخذت عساكره تنفض عنه يخدمون عند خوانين الهند[1].

ويعلل أحد الباحثين هروب سليمان الخادم إلى سببين: [2]

أحدهما : وصـول أسطول بـرتغالي لشـد أزر البرتغاليين، وبذلك ينفـي الباحث مسألة الحيلة التي دبرها كل من السلطان محمود وخداوند خان، إلا أنه سواء أكانت حيلـة أم حضر الأسطول بـالفعل فإنـه لا ينفي عن سليمان الجبن وقلة الكفـاءة في الإدارة العثمانية.

وثانيهما : خشيـة كل من السلطان محمـود وخداوند خـان من انتصار سليمان باشا وخشية تمثيله بهما وغدره كما فعل في عدن.

وهذا السبب في اعتقادي سبب واه لا يؤثر مطلقـا في مجريات الأحداث، لو قويت

---

(١) خوانين جمع خان وهم حكام الهند

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) فتح العثمانيين عدن، ص: ١٥٥

عزيمة الخادم على الجهاد.

ويشير باحث آخر[1] إلى أن السبب في نقص كفاءة الأسطـول العثماني عن مثيله البرتغـالي لا يـرجع إلى القدرة البشريـة أو عـدد السفن وإنما هـو راجع إلى أن سفن البرتغاليين كـانت عاليـة عن سفن العثمانيين، ولا أعتقـد أن قتال السفن بـالمدفعية يسمح لها بالتقارب حتى تظهر العالي فيها من المنخفض.

ومن الآراء الغريبة ما ذكره أحد الباحثين الأجانب[2] من أنه عند اقتراب سليمان الخادم من الهنـد أجبر مارتن دي ســوازا - الحاكم البرتغـالي - الـزاموري حـاكم كاليكوت على الاشتباك معه في معركة ومن تشتيت سفنه، ويجعل الباحث ذلك سببا في عودة سليمان الخادم بعد سماعه بهذه الأنباء، ولا يعقل بأن قائدا في مثل أسطول سليمان يثنيه عن عزمه انكسار أحد قادة الهند المسلمين.

وهنـاك آراء أخرى نضرب الصفح عنهـا حيث لا يتسع مجال البحث لها، إلا أنـه يجدر بالباحث أن يذكر خـلاصة أسباب فشل حملة سليمان الخادم على الهند وهي في اعتقادي كما يلي :

١ - ضعف شخصية وإرادة قائد الحملة - سليمان باشا - بالإضافة إلى تقدمه في السن وجهله بالمعارك البحرية.

٢ - نفـور حكام الهنـد من العثمانيين نتيجـة استعلائهم وإسرافهم في عمليـات السلب والنهب.

٣ - تفكك وضعف الجبهة الهندية بعد العبث البرتغالي بها.

٤ - الحرب النفسية التي شنها البرتغاليون بمهارة لإشاعة روح الذعر في نفوس الهنود من تصرفات العثمانيين إن هم مالوا إليهم.

٥ - سمعة سليمان الخادم وبعد صيته في القتل وسفك الدماء بلا جريرة.

---

(١) صالح أوزبران : الدولة العثمانية وطريق الهند، ص: ١٠٠

(٢) كز مز بانيكـار: مرجع سابق، ص: ٥١، وسار على منواله واتفق معه: محمـد عدنان مراد في كتابه: صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، ص: ١٤٠

ولم يلبث القائد العثماني أن أقلع من ميناء ديو وأخذ طريقه إلى اليمن حتى وصل إلى بندر المخا بجميع سفنه بما فيها من المدافع وآلات الحرب[1].

وثمة كلمة كان لابد من التعرض لها في ختام الحديث عن حملة سليمان باشا الخادم إلى الهند، حيث يذكر صاحب أنباء الزمن[2] أن سليمان الخادم عاد من الهند وكفّ عنها بسبب ما بذله أهلها من الأموال والهدايا العظيمة.

كما جاء في كتاب فذلكة تاريخ عثمان[3] إشارة إلى ما كان في حوزته عند عودته من الهند من صناديق ملأى بالذهب[4].

وهذا القول لا يطمئن إليه الباحث، فالمتعارف عليه في ذلك الوقت ما كان عليه التعامل بين القادة من إلباس للخلع وإهداء للهدايا النفيسة الثمينة، وقد اشتهرت الهند حينئذ بكثرة اقتنائها للذهب، ربما لغنى أهلها من التجارة أو لغير ذلك، كما أنه من الممكن أن يكون الهنود قد بذلوا هذه الأموال وتلك الهدايا رهبة وخوفا من بطش سليمان حسبما سمعوا عنه، كسفاك للدماء أو احتراما وتقديرا للدولة الإسلامية التي يعمل تحت رايتها.

أما قضية عودة سليمان باشا الخادم وتركه للساحل الهندي بسبب ما بذله أهلها من أموال الخ، فهذا أمر مستبعد، خاصة وأن سليمان الخادم كان واليا على أغنى ولايات الدولة العثمانية، وهي مصر، ولمدة عشر سنوات ويتبعه كذلك ولاية الحجاز وغيرها، ولا يعتقد بأن قائدا كهذا في مثل حال سليمان يسيل لعابه لذلك ولم

---

(١) لم يترك سليمان باشا وراءه سوى ست مكاحل كباراً تعجل عن تحميلها إلى البرشات فتركها في مظفر آباد بالإضافة إلى من تخلف من رجاله سرا وعمل في خدمة الخوانين الهنديين طمعا في زيادة الأعطيات، انظر: النهروالي: البرق اليماني، ص: ٨٥

(٢) يحيى بن الحسين بن القاسم ت١١٠٥هـ / ١٦٩٣م نقلا عن : محمد عبداللطيف البحراوي، فتح العثمانيين عدن، ص: ١٥٦.

(٣) هو عبارة عن كتاب في بيان إجمال أحوال الدولة العثمانية من ابتداء ظهورها حتى عبدالعزيز خان سنة ١٢٧٧هـ، وهو باللغة التركية.

(٤) نقلا عن د/ محمد عبداللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن، ص: ١٥٦.

يكن مخططا قط – فيما يظن – الحصول على غنائم وهدايا بل كانت مهمته هي فتح الطريق مرة ثانية إلى التجارة الهندية ومدافعة النفوذ الاستعماري البرتغالي في مياه الساحل الهندي.

وعلى كل فقد أبحرت الحملة في ٥ من شهر نوفمبر ١٥٣٨م عائدة إلى اليمن فوصلت بندر المخا، ومن ميناء شحر مضت تستكمل احتلال بقية السواحل اليمنية، لإكمال الخطة العثمانية في هذه السواحل من جهة، ومن جهة أخرى لتعويض فشل سليمان في الهند.(١)

وقد استعمل سليمان في ذلك الطريقة الوحيدة التي يجيدها وهي الخداع ثم الغدر وسفك الدماء، فعمل على الاتصال بالناخوذة أحمد (والي زبيد) وأرسل إليه خلعة ومرسوماً به الأمان، وأن يكون نائبه على اليمن، ثم دعاه للحضور.

وعلى الرغم من رفض الناخوذة على الشخوص بنفسه إلى سليمان خوفا من غدره، إلا أنه حمل الهدايا ورحل إلى سليمان في خمسمائة من عبيده، وعندما وصل الناخوذة إلى سليمان أمر الأخير بقتله في الحال واحتال على قتل عبيده، حتى قتلهم جميعا.

وكان عند سليمان – حينئذ – مصطفى بك حاكم غزة، فكتب له مرسوما بتوليته ولاية زبيد وضواحيها.(٢).

وبعد إقرار سليمان أمر اليمن عاد بما معه إلى بندر جرة، بعد أن فشل في الاستيلاء على تعز التي كانت حينئذ تحت حكم الإمام شرف الدين(٣).

وأرسل الخادم رؤوس بعض القتلى البرتغاليين الذين كانوا في ديو، وفي ميناء شحر اليمني إلى إستانبول ليشيع فيها أنه تمكن من إبادة البرتغاليين في الهند.

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٤٩
(٢) النهروالي، البرق اليماني، ص: ٨٥، ٨٦.
(٣) د / السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص: ١٥٠

وأصدر أوامره إلى بقية الحملة بمواصلة الإبحار إلى السويس بعد استيلائهم على جيزان، وتخلف هو في جدة التي ذهب منها إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، حيث قضى في الحجاز أكثر من شهرين، ثم سافر برا إلى مصر وأمضى بها نحو خمسة أشهر متعمدا تأخير عودته إلى إستانبول، كي يمهد الجو الصالح له في العاصمة مرسلا الهدايا النفيسة إلى كبار رجال الدولة في العاصمة العثمانية، ليغطي على فشله في الهند.

إلا أن السلطان سليمان القانوني ما لبث أن وقف على حقيقة أمر حملته فغضب عليه غضبا شديدا، مما اضطر سليمان الخادم إلى الانسحاب من الحياة العامة منطويا على نفسه حتى طواه الموت سنة ٦٩٠ هـ (١٨ ديسمبر ١٥٥٣م)[١]

ومما هو جدير بالإضافة أنه إزاء هذا الاهتمام العثماني بعدن التي باتت تحرس المنطقة اليمنية، ويُعَدُّ خط دفاع متقدم عن ميناء جدة والحرمين الشريفين فقد رفعت الدولة العثمانية ولاية اليمن إلى درجة ميري ميران، وذلك بوضع ١٥٠٠ من الجنود في زبيد للسيطرة على مداخل البحر الأحمر ومراقبتها[٢].

الصدام البرتغالي العثماني في عدن سنة ١٥٤٨م :

بعد مقتل أويس باشا [٣](والي اليمن) كان على القائد العثماني أزدمر[٤] أن يتولى مكانه في قيادة الجيوش العثمانية حتى يرسل العثمانيون من يخلفه على اليمن، وشغل أزدمر جيوشه باستكمال فتح بلاد اليمن، وتوسيع ممتلكات العثمانيين بها.

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور): المراحل الأولى للوجود البرتغالي، ص: ٦٧٨، ٦٧٩.

(٢) صالح أوزبران: الدولة العثمانية وطرق التجارة - مرجع سابق، ص: ١٠١

(٣) كان من مماليك السلطان سليم الأول المشهورين بالشجاعة

(٤)كان أزدمر أحد المماليك الذين أبقى عليهم السلطان سليم الأول بعد دخوله مصر، وأدخله في خدمة العثمانيين وأخذ يرتقي المناصب العسكرية والإدارية بفضل قوة شخصيته، وسمعته الطيبة حتى أصبح أحد الأمراء المرموقين باليمن، ويُعد أزدمر من أهم الشخصيات العثمانية التي ظهرت في اليمن إذ نجح في فتح أغلب أقاليمه وتوحيدها تحت الحكم العثماني، انظر: السيد سالم (دكتور) مرجع سابق، ص: ١٧٠، ١٧١.

وبينما كان ازدمر يعمل على تثبيت أقدام العثمانيين في المنطقة الشمالية من اليمن كانت هناك قوة عثمانية مرسلة من السويس للحفاظ على عدن ومن جهة البحر، كما بادر فرهاد باشا (الوالي الجديد) فور وصوله إلى زبيد بإرسال قوة برية كبيرة لمحاصرة عدن من جهة البر ولمعاونة الأسطول العثماني المُحاصر من البحر، وأمام ضغط الجيشين البحري والبري سقطت عدن في أيديهم في ٢٤ فبراير ١٥٤٨م.

وكان ضياع عدن قبل ذلك من يد العثمانيين بمساعدة على بن سليمان رئيس قبائل الطوالق بوادي أبين من عدن مستغلا انشغال ازدمر في الجهة الشمالية.

وزاد من خطورة ثورة الطوالق هذه اتصال زعيمهم بالبرتغاليين بعد ثورته طالبا منهم النجدة لتقوية جانبه أمام العثمانيين.

وقد رحب البرتغاليون – من جانبهم – بهذه الفرصة، ولكن خاب أملهم وأمل الطوالق، إذ تأخر الأسطول البرتغالي في الوصول إلى عدن، فلم يصل إليها إلا بعد سقوطها في يد العثمانيين.

وكانت ثلاث سفن برتغالية قد تقدمت إلى ميناء عدن في ٩ صفر ٩٥٥هـ (٢٠ مارس ١٥٤٨م) لاستطلاع الأمر قبل وصول الأسطول البرتغالي إليها – الذي كان يتكون من ثلاثين سفينة – ففوجئت بوجود السفن العثمانية بميناء عدن.

وقد تمكنت السفن العثمانية من أسر سفينتين من هذه السفن الثلاث، بينما تمكنت الثالثة من الفرار لتحذر باقي الأسطول البرتغالي الذي لاذ بالفرار إلى ميناء قشن باليمن.[١]

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١٧٨ وما بعدها، وانظر محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : فتح العثمانيين عدن ص: ١٥٨، ويذكر د/ البحراوي أن الأسطول البرتغالي كان بقيادة دي بايودي نورنها (D. PAYODE NORNHA).

وقشن مدينة ساحلية يتكون خليجها من الرأسين البارزين إلى البحر رأس شروين ورأس الدرجة تفصلهما حوالي ثلاثة عشر ميلا وفي أثناء الرياح الموسمية الشرقية يحدث انتفاخ أرضي وتهب الأمواج على الشاطيء باندفاع قوي مما يجعل الرسو خطرا إلا في الجزء الغربي من رأس الدرجة حيث توجد محطة آمنة.

انظر : حمزة علي لقمان: تاريخ الجزر اليمنية، بيروت، ص: ٥٢

المرحلة الثانية : الصراع البرتغالي العثماني في شرق أفريقية

يستطيع الباحث في أغوار الصراع البرتغالي الإسلامي، أن يقرر حقيقة مؤداها أن تحالف البرتغاليين مع الأحباش في الشرق الأفريقي، كان نتيجة للنفوذ البرتغالي في السواحل الإسلامية، سواء أكانت في البحر أم في الخليج العربي أم المحيط الهندي، فاجتمع البرتغال والأحباش على هدف واحد، مما دعا القوى الإسلامية المتناثرة على مسرح الجهات الثلاث (البحر، والخليج، والمحيط) إلى الاستنجاد بأقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت وهي الدولة العثمانية، مما كان سببا في المواجهة بين العثمانيين والبرتغاليين في شرق أفريقيا.

ومما هو جدير بالتوضيح، الإشارة إلى حالة القوى الإسلامية في شرق أفريقية التي دعتها إلى الاستنجاد بالعثمانيين من جهة، وحالة الحبشة التي دعتها إلى الاستنجاد بالبرتغاليين ومحالفتهم من جهة أخرى.

القوى الحبشية والإسلامية في شرق أفريقيا

كان من أثر التبادل التجاري بين اليمن والحبشة أن ازدهرت العلاقات التجارية بين كل من اليمن والحجاز من طرف، والحبشة من طرف آخر، ونزح جماعة من قريش من سلالة عقيل بن أبي طالب إلى أراضي زيلع*[1] وأنشأوا في جبرت أول مملكة إسلامية في الحبشة[2]، واستمر نفوذهم في نمو، حتى إذا جاء القرن الرابع عشر الميلادي، كان قد تم لهم إنشاء سبع ممالك زاهرة سميت بممالك الطراز

---

(١) كانت بلاد الزيلع تمتد من ميناء مصوع شمالاً إلى إقليم الأوجادين جنوباً، ومن رأس غوردافووي شرقا، حتى أطراف الهضبة الغربية غربا.

* انظر موقع بلاد الزيلع (ملحق رقم٢) ص: ٢٦٣

(٢) كانت تعتبر من أكبر مدن منطقة القرن الأفريقي، وهي على مسافة عشرين مرحلة غرب مدينة الزيلع، لمزيد من التفاصيل انظر: المقريزي: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام – مصدر سابق – ص:٧، وما بعدها ، وانظر: رجب محمد عبدالحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة، ص: ١٧.

الإسلامي على سواحل الحبشة وهي:

أوفات، دوارو، أرابيني، هديا، شرخا، بالى، دارة.[1]

إلا أنه لم يكن يجمع بين هذه الدويلات سوى الصلة الروحية، وما عدا ذلك فقد كان التنافس والشقاق بينها مستمرا، مما أضعف هذه المالك جميعها في مواجهة جيرانها من الأحباش، الذين كان لهم السيطرة على تلك المالك حيث لا يتم تنصيب الأمراء بها إلا بموافقة الأحباش.

هذا على الرغم من أن المالك الإسلامية هذه، كانت تشكّل حزامًا يحيط بمملكة الحبشة من الجنوب والشرق، بينما يحيط بها السودان المسلم من الشمال والغرب، مما جعل الأحباش يتطلعون إلى إيجاد منافذ لهم، وتوسيع ملكهم على حساب جيرانها المسلمين الذين كانوا يسيطرون على التجارة، إضافة إلى سيطرتهم على الموانى مما كان سببا مباشرا للصراعات المحلية، التي دارت واشتد أوارها بين الفريقين.[2]

وقد تعددت الاعتداءات الحبشية على المالك الإسلامية في عهد الإمبراطور الحبشي إسحق الأول وخلفائه، خاصة الإمبراطور زرء يعقوب (١٤٣٤ -١٤٦٨م) الذي كان ينكل بالمسلمين ويشن عليهم حربا دامية.

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً بعد موت زرء يعقوب، حيث أخذ المسلمون في تجميع قواهم مرة أخرى، وبدلا من الدفاع أخذوا يهاجمون بلاد الحبشة ذاتها.

فقد أخذت مملكة عدل الإسلامية دور القيادة عندما ظهر فيها قائد قوي هو الإمام محفوظ، وكان هدفه استعادة المدن التي استولى عليها الأحباش على حدودهم الشرقية.

وقد هاجمها محفوظ وأنزل بها هزائم كبيرة متتالية في عهد ملكي الحبشة

(١) القلقشندي: مصدر سابق، جـ٥، ص: ٣٢٥

(٢) عبدالرحمن زكي (دكتور): الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص: ٤٠، ٤١

إسكندر (١٤٧٨-١٤٩٤م)، وناعود (١٤٩٤ - ١٥٠٨م)، وقتل ناعود وهو يدافع عن مدينة إيفات في مواجهة الإمام محفوظ.[١]

وإزاء هذا البعث الإسلامي في منطقة الشرق الأفريقي في المنعطف الحبشي، اتجهت أنظار الملكة هيلينا الوصية على حفيدها الطفل لبنا دنقل (٩١٤ - ٩٤٧هـ / ١٥٠٨ - ١٥٤٠م) إلى إرسال الوفادات إلى البابوية وملوك أوروبا، وخاصة ملك البرتغال كي تنسق معهم أسلوب القضاء على المسلمين، واحتلال أورشليم وضرب الأماكن المقدسة في بلاد الحجاز[٢].

وبينما كانت هناك محاولات تبذل في الحبشة للاتصال بالخارج، كانت هناك محاولات أخرى خارجية للاتصال بها، بدأت عند سماع هنري الملاح في سبتة بها لإقامة علاقة دينية وتجارية وللقضاء على المسلمين[٣].

كان أول وصول للبرتغاليين إلى ساحل أفريقية الشرقي في أبريل ١٤٩٨م حيث قوبلوا بترحاب سرعان ما انقلب إلى عداوة من مسلمي مدن السواحل، وسرعان ما سقطت الإمارات العربية الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا، تحت وطأة الغزو البرتغالي، وأسس دالميدا مركزين برتغاليين في سفالة، وعمل البرتغاليون على اتخاذ مواني شرق أفريقيا كمحطات تمد سفنهم الذاهبة إلى الهند بالعتاد، وقد كان هذا كله على حساب الإمارات العربية على الساحل، بل تضرر كذلك - كما سبق الحديث - المماليك في مصر ومن تلاهم من العثمانيين[٤].

ولذلك اتفقت المصالح العثمانية مع الإمارات العربية على الشاطىء الأفريقي في مدافعة الخطر البرتغالي عن بلادهم.

كان هذا هو موقف كل من الجبهتين المتصارعتين في الشرق الأفريقي - إلا أن

---

(١) نوال حمزة الصيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، رسالة ماجستير، ص: ١٧٢، ١٧٣.
(٢) رجب محمد عبدالحليم (دكتور): مرجع سابق، ص: ١٦٥
(٣) الحيمي الحسن بن أحمد: سيرة الحبشة تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٧٢م، ص: ٢٢
(٤) د/ جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص: ٩٢، وما بعدها.

الغريب في القضية هو ما ذكره الحيمى الحسن، وهو أحد الذين عاشوا بعد الأحداث بقليل، واطلع على وثائق هامة في بعثته التي سافر بخصوصها إلى الحبشة عندما ادعى أمبراطورها رغبته في اعتناق الإسلام، فيقول هذا المؤلف[1]:

«وأرسلت (هيلينا) في سنة ١٥١٥ بعثة إلى مصر - حليفة الحبشة التقليدية - وذات الصلات الوثيقة منذ أقدم الأزمنة وصاحبة الأسطول الكبير، الذي كان يجوب البحر الأحمر وينشر النفوذ المصري في المحيط الهندي، ويرغم حكام دهلك ومصوع على الخضوع له، وتقديم موانيهم كقواعد له، بينما كانوا خاضعين - من الوجهة النظرية - للحبشة.

ويضيف المؤلف: إن حالة مصر لم تكن حينئذ تسمح بتلبية رغبة الأحباش، فعولت هيلينا على أن تطلب المعونة من البرتغال.

وفي الحقيقة، فإن الباحث يحار بين حقيقتين الأولى: أن المؤلف يعد مصدراً هاما، نظرا لما قيل عن علمه ومهمته إلى الحبشة التي استمرت ثلاث سنوات، وقربه من زمن الأحداث. والحقيقة الثانية : أننا لم نعثر على مؤيد لهذه الرواية بين الكتّاب الأول والمعاصرين، هذا بالإضافة إلى غرابة الموضوع من طلب الأحباش المسيحيين مناصرة مصر المسلمة لهم على إمارات مسلمة مثلها.

وعلى كل فقد أرسلت هيلينا رسولاً لها هو ماثيو (MATHEU) إلى البوكيرك - نائب الملك البرتغالي في الهند - عرض عليه رغبة الملكة في تزويدها بأسطول قوي، يعمل ضد القوى الإسلامية في البحر الأحمر، ثم سافر ماثيو إلى البرتغال، حيث وجد الملك عمانويل الفرصة لتحقيق أهدافه في المنطقة.

وأرسل الملك عمانويل بعثته التي تحمل الرد إلى الملكة، إلا أنها لم تصل إلا في سنة ١٥٢٠م.

في تلك الأثناء أصبح لبنادنقل إمبراطورا على الحبشة، وانتصر على الأمير محفوظ،

(١) الحيمي الحسن بن أحمد: مصدر سابق، ص: ٢٥

حينئذ تنصل من مسئولية البعثة الحبشية، فعادت البعثة البرتغالية دون إبرام معاهدة تحالف بين الطرفين، ويذكر أحد الباحثين(١) أن سبب فشل المعاهدة يرجع إلى قسوة الشروط التي عرضها الوفد البرتغالي، مما دفع الإمبراطور إلى رفضها واقترح هو مشروعا لمعاهدة جديدة حملها هذا الوفد، الذي عاد إلى البرتغال سنة ١٥٢٦م ومعه راهب أثيوبي هو صاجا زاب، بعد أن احتفظ الإمبراطور بأحد أعضاء الوفد وهو جياز برمودز الطبيب رهينة عنده.

وأما في جانب المسلمين فقد قتل الإمام محفوظ سنة ١٥١٦م / ٩٢٢هـ، وبعده قامت منازعات على السلطة في مملكة عدل.(٢)

وأدت المنازعات إلى إضعاف شوكة الإمارات، واستغل الأحباش تلك الفرصة فشنوا هجمات متعددة على الدويلات الإسلامية، وعملوا على تدميرها ونهبها كما أسروا أعدادًا كبيرة من المسلمين(٣)

ولم يضع حداً لهذا العبث الحبشي في الممالك الإسلامية إلا ظهور القائد الإمام أحمد بن إبراهيم جران(٤).

---

(١) زاهر رياض (دكتور) : الإسلام في أثيوبيا، ص: ٢١٧، ٢١٨

(٢) كانت تشمل الأراضي الواقعة بين ميناء زيلع وهور وتمتد جنوبا لتشمل جزءًا مما يعرف الآن بالصومال الشمالي وإقليم الأوجادين، انظر: رجب محمد عبدالحليم (دكتور): العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة، ص: ١٩.

(٣) نوال حمزة الصيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي مرجع سابق، ص: ١٧٤

(٤) هو أحمد بن إبراهيم المجاهد، ويطلق عليه البعض أحمد جان أي الأشول كما يطلق عليه أحمد جراد المجاهد ، ولقب جراد يُطلقه الأحباش على حكام المقاطعات الإسلامية التابعة للأباطرة، ولكن المسلمين هناك يطلقونه على الحكام الإقطاعيين عامة، وقد قتل أحمد جران في سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٤م، بعد أن فتح كثيراً من بلاد الحبشة وقد ذكر البعض بأن فتوحاته تشبه فتوحات الصحابة، انظر: السيد مصطفى سالم (دكتور) مرجع سابق – ص: ٤٠١، ويذكر د/زاهر رياض في كتابه الإسلام في أثيوبيا: أن الإمام أحمد كان ابناً لأحد قساوسة إيجو المسيحيين وترك موطنه إلى عدن حيث دخل في الإسلام وأظهر من فنون الحرب ما دفع الأمير محفوظ إلى تزويجه من ابنته، وأطلقوا عليه لفظ الإمام. انظر، ص: ١٩٥، ١٩٦.

فقد تمكن الإمام أحمد من تكوين جيش قوي ضخم من القبائل الصومالية، بعد أن خلّف حاكم عدل أبا بكر بن محمد، وما أن حلت سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩م حتى استطاع الإمام تكوين دولة قوية ذات نفوذ، وعلى استعداد لخوض غمار الحرب مع الأحباش.

وتمكن من الاستيلاء على عدة مناطق هامة، كان الأحباش قد استولوا عليها مثل فينجارو، ودبارو، وإيفات، وبالى، وشوا، حتى وصل في جهاده إلى نهر أواش AWAH ثم أمهرا ولاستا وأصبح الإمبراطور لبنادنقل فاراً طريدا أمام أحمد جران من موقع إلى آخر حتى وصل الإمام إلى قلب أراضي الإمبراطورية الحبشية المسيحية، فامتدت مملكته من البحر الأحمر شرقا إلى كسلا غربا.(١).

وقد كانت المساعدات التي أرسلها العثمانيون إلى الأمير أحمد جران ذات أثر فعال في مساندته وشد أزره، نظرا لأن العثمانيين كانت سياستهم بالنسبة للحبشة ترمي إلى حصار الأحباش، وتحطيم أي تحالف إيجابي بينهم وبين البرتغاليين لخطورة هذا التحالف، ولذلك كان التقارب بين العثمانيين ومملكة عدل، فزودهم العثمانيون بالمدافع والأسلحة النارية في الوقت الذي كان فيه الأحباش لا يعرفون سوى السهم والقوس، وأخذ العثمانيون في تقوية مراكزهم على الساحل حيث أضحى في كل مركز حاكم عثماني ومعه قوة حربية.

وقد سهّل ذلك على المسلمين تطويق الأحباش وهروب ملكهم وتشريدهم في الجبال، حتى كانت السنوات من ١٥٣٦م إلى ١٥٤٠م مليئة بالنكبات والهزائم الساحقة للأحباش(٢).

وإزاء تلاحق النكبات على الحبشة من التحالف العثماني مع الإمارات الإسلامية،

---

(١) نوال حمزة الصيرفي: مرجع سابق، ص: ١٧٥، ١٧٦
انظر: مواقع جميع هذه المدن (ملحق رقم ٢) ص: ٢٦٣

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : فتح العثمانيين عدن - مرجع سابق، ص: ٩٥.

فقد بادر الملك لبنادنقل بمحاولة إنقاذ بلاده[١]، فأرسل الطبيب البرتغالي برمودز JEAN BERMUDEZ الذي كان عنده في سفارة إلى ملك البرتغال، بعد أن نصّبه لبنادنقل بطريركا كاثوليكيا للحبشة، منصاعا بذلك للبابوية والبرتغال بقبول المذهب الكاثوليكي حتى أنه بالغ في ذلك، واحتفل بعيد الفصح في سنة ١٥٣٨م وفقا للتقويم الجريجوري.

حملة السويس وأثرها على شرق أفريقيا

سافر برمودز إلى لشبونه – بصفته بطريركا للحبشة – وقابل الملك خوان الثالث – ملك البرتغال – ووصف له حرج مركز الإمبراطور والمسيحيين في الحبشة، فزوده الملك بخطاب إلى نائبه في الهند (إستافودى جاما)[٢] يكلفه فيه إرسال أسطول برتغالي، على متنه أربعمائة وخمسون جنديا لمساعدة الإمبراطور الحبشي، ومقاتلة المسلمين هناك.

ورحل برمودز إلى جوا فوصلها في ١٥٣٩م ووجد إستافودي جاما نائب الملك في الهند، مهتما بالبحث عن الأسطول العثماني ليحطمه.[٣]

ويبدو أن إستفاودى جاما قد وصل إلى أبعد مما طلبه الأحباش، حيث فكّر في الاتجاه عبر سواحل شرق أفريقيا ومباغتة الأسطول العثماني في عقر أكبر ولاياته «مصر»، وضربه في ميناء السويس وأرجأ إرسال النجدة للأحباش حتى عودته من مهمته في السويس.*

---

(١) اتفقت المصادر والمراجع على أن الذي أرسل برمودز هو إمبراطور الحبشة لبنى دنقل، انظر: الحيمي الحسن: مصدر سابق، ص٢٥، وانظر محمود خيري (دكتور) العلاقات العربية الأفريقية، ص:٨٧، وانظر نوال الصيرفي: مرجع سابق، ص: ١٧٦.

بينما ذكر د/ محمد عبداللطيف البحراوي – فتح العثمانيين عدن، ص: ٩٥، أن الذي أرسل برمودز هو الملك داود الثاني، ولم تتفق معه أي من المصادر على ذلك.

(٢) هو الابن الأكبر لفاسكو دي جاما، القائد البحري الشهير.

(٣) الحيمي الحسن : مصدر سابق، ص: ٢٥، ٢٦

* انظر موقع السويس (ملحق رقم ٩) ص: ٢٧٠

وبالفعل فقد تحرك دي جاما على رأس أسطول كبير، مكَون من أربعة وثمانين سفينة، وعلى متنها ٢٣٠٠ جندي من خيرة رجاله، وأبحر في البحر الأحمر قاصدا السويس.

وعندما وصل دي جاما إلى مصوع في ١٠ فبراير ١٥٤١م استقبله المسلمون هناك، حيث طلب البرتغاليون إمدادهم بالأموال والأدلاء، ولكنهم لم يصلوا إلى غايتهم، فحركت حملة صغيرة من الأسطول إلى منطقة سواكن، وشاهدت تلك المنطقة الغنية بتجارتها والتي تدفع للسلطان العثماني ما مقداره ٧٠ر٠٠٠ فيزانيون كضريبة، وكعادة البرتغاليين قاموا بضربها، كما قتلوا خمسين مسلما تركيا كانوا يعملون بالتجارة فيها.(١)

واستمر الأسطول في إبحاره قاصداً السويس بسبعين سفينة، حيث فضّل القائد البرتغالي ترك سفن الشحن الثقيلة في مصوع، وترك عليها أحد أقاربه وهو عمانويل دي جاما.

وقامت الحملة – وهي في طريقها من مصوع إلى السويس – بالأعمال التخريبية التي ألفها البرتغاليون فهاجمت جزر دهلك وسواكن وقصفت بمدفعيتها المنشآت الساحلية فيها وأسرت بعض سكانها، كما هاجمت الحملة البرتغالية السفن الشراعية الصغيرة التي كانت راسية في كل من ميناء القصير والطور، وقبيل دخول الأسطول ميناء السويس أرسل قائده بعض السفن الاستطلاعية ليلا إلى السويس لتقصي أخبار العثمانيين فيه(٢)

وقد استُقبلت تلك السفن بالمدافع العثمانية التي كانت منصوبة على الشاطىء، مما أبان أن الأسطول العثماني على يقظة تامة وفي حالة استعداد كامل.

فعادت السفن لتلحق بباقي الأسطول، ولاذ الجميع بالفرار، دون تحقيق هدف

(١) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ١٠٢، ١٠٣
(٢) عبدالعزيز الشناوي (دكتور) : المراحل الأولى للوجود البرتغالي، ص: ٦٨٠، ٦٨١

يـذكر، متجهين مـرة ثـانية إلى السـاحل الشرقي الأفـريقي، حيث سفنهم الراسيـة بمصوع، دون أن يتمكن الأسطول البرتغالي من منازلة العثمانيين.[1]

وما أشبـه هذه الحملة الكبيرة في أسبـابها وضخامتهـا، وكذلك نتائجهـا بحملة سليمان الخادم سنة ١٥٣٨م.

وقد علل الباحثون فشل هذه الحملة بأسباب عدة، نذكر مجملها، فيما يلي:

عـزا أحـد البرتغـاليين فشل خطـة مبـاغتـة الأسطـول البرتغـالي للعثمانيين في السويس، إلى ماقـام به أمير سواكن - التي كانت تـابعة للعثمانيين في ذلك الوقت - من تحذير للعثمانيين بعد أن هاجمه البرتغاليون، وذلك بعد أن علم بحقيقة اتجاههم إلى السويس[2]

ويرجع أحد الباحثين[3] فشل البرتغـاليين إلى الحر الشديد الـذي كانـت تمر به البلاد، بالإضافة إلى المجاعـة التي لحقت بأفراد الحملة والمرض والموت اللذين تفشيا في الجنود.

نتائج حملة السويس :

كانت لحملة السويس البرتغالية سنة ١٥٤١م آثار بعيدة على الجانبين العثماني والبرتغالي، حيث أخذ العثمانيون في تطويـر خططهم الحربية تجاه الوجود البرتغالي على النحو التالي :

١ - أغلق العثمانيون البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية.

٢ - عمل العثمانيـون على قطع الاتصـالات الـدائرة بين البرتغـاليين وحلفـائهم الأحباش.

---

(١) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ١٠٣
(٢) د / السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص: ٢٩٩
(٣) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ١٠٣

٣ – امتد النفوذ العثماني إلى شرقـي الجزيرة العربية لطرد البرتغـاليين من هذه المنطقة من ناحية، ولتوجيه الضربات مـن منطقة الخليج العربي إلى الدولة الصفوية من ناحية أخرى.

ولإنجاح هذه المخططات الحربية المطورة عمد العثمانيون إلى دعم قواتهم البحرية في البحر الأحمر وأخذت، وحدات الأسطول تجوب بصفة معتادة الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، والمنطقـة المتاخمة لبـاب المندب، منعـا لأي اتصال يتـم بين الأحباش والبرتغاليين في الهند. وبتعبير آخـر اتخذ العثمانيون من اليمن عامة، وعـدن خاصة قاعدة عسكـرية لضرب المراكز البرتغالية في شرقي الجزيرة العـربية، وللسيطرة على البحر الأحمر، حيـث أكثرت الترسانـة البحريـة في السويس مـن بناء سفن حـربية عثمانية جديدة، هذا ما كان من أثر الحملة على العثمانيين.

وفي الجانب البرتغـالي كـانت لفشل حملـة السـويس آثـار أخـرى، فقـد خشى البرتغاليـون أن يوجه العثمانيون نشـاطهم البحرى إلى الهند، وهي المركـز الرئيس للبرتغـاليين في البحار الشرقيـة، في الـوقت الـذي كان فيـه العثمانيـون في عصرهم الـذهبي، وبلغت قـوتهم العسكـرية مبلغـا عظيما في البر والبحـر، حينئـذ رأى ملك البرتغال أنه من الأفضل مهادنة العثمانيين بدلا من استفزازهم – كما حدث في حملة السويس – وأخذ يفكر في طلب الصلح، كما سيأتى ذكره[١].

وإذا خلصنا من حملـة السويس، إلى الصراع الناشب أظفـاره في الشرق الأفريقي بين الأحبـاش والممالك الإسلاميـة، نجد أن الحملـة البرتغاليـة في أثناء عـودتها من السويس إلى مصـوع، تلبي نداء الأحباش لهم، ويقـوم القائد البرتغالي إستـافو دي جاما بـإعداد حملة مكونة من ٤٥٠ جنـديا مجهزين بأحـدث التجهيزات والأسلحة والمعدات، تحت قيادة أخيه الأصغر كريستوفر دي جاما، وكان من بين هؤلاء الجنود حوالي سبعين عـاملا فنيا ممن تم إعدادهـم في الهند للإقامـة في الحبشة، كما ضمت

(١) عبدالعزيز الشناوي (دكتور) : المراحل الأولى للـوجود البرتغالي – مرجع سابق، ص: ٦٨١، ٦٨٢

الحملة إليها مائة وثلاثين شخصا من أهالي البلاد لخدمة جنود الحملة ولحمل معداتهم، وتمكن البرتغاليون من إنفاذ هذه الحملة إلى داخل الحبشة في ٩ يوليو ١٥٤١م قبل منع العثمانيين لها، وعادت باقي السفن إلى الهند.

في هذا الوقت كان الموقف في صالح الإمام أحمد جران، الذي استطاع أن يستولي على إقليم هرر ويضمّه إليه.

كما تمكن كذلك من أسر ابن الإمبراطور الحبشي في إحدى المعارك[١]، إلا أنه بعد وصول الحملة البرتغالية وتعاونها مع الأحباش، أصاب بعض الانتصارات على قوات الإمام أحمد جران، وبدأ الحال ينقلب على المسلمين.

ولم تكن هذه إلا انتصارات أولية على الإمام، حتى أجبروه على الهرب إلى جبال زابول، ومن هناك سارع الإمام أحمد جران بطلب المساعدة من العثمانيين الذين كانوا قد استولوا قبل ذلك على سواكن وزيلع، ولهم فيهما قوات عسكرية.

حينئذ لبى العثمانيون دعوة إخوانهم، وقبلوا التحالف مرة ثانية مع تلك الممالك ومد يد العون لهم ضد البرتغاليين وحلفائهم الأحباش. فعندما تلقى مصطفى النشار، الباشا العثماني في زبيد طلب المساعدة، أرسل إلى الإمام ألف جندي عثماني مزود بالبنادق وعددها ٩٠٠ بندقية وعشرة مدافع.[٢]

معركة أوفلو : WOFLA

اتخذ الصدام المحلي بعد هذه التحالفات صفة الصراع الدولي، وذلك لوقوع الصدام بين العثمانيين والبرتغاليين أقوى دولتين في ذلك الوقت، ولهما أساطيل تمخر عباب البحار.*

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) مرجع سابق، ص: ٤٠٢
(٢) صالح أوزبران : مرجع سابق،، ص: ١٠٤
وانظر : نوال حمزة الصيرفي، مرجع سابق، ص: ١٧٦، ١٧٧
* انظر شكل سفينة حربية برتغالية (ملحق رقم ١٢) ص: ٢٧٣

وقد استطاع الإمام أحمد جـران – بفضل مساعدة حلفائه العثمانيين – أن يحقق انتصارا حـاسما على أعدائه الأحباش وحلفـائهم البرتغاليين في معركـة أوفلو، وأدى هذا الانتصـار إلى إبـادة الحملة البرتغالية، و إلى تشتيـت قوات النجاشي الحبشي، كما استطاع الإمام أحمد محاصرة القائد البرتغالي كرستوفر دي جاما وأسره ثم قتله(١).

وبعد انتصـار القوى الإسـلامية في هـذه الموقعة لم يستقـر للعثمانيين المقام في الحبشة بل عادوا بعد وقت قصير إلى زبيد(٢).

وقيل في سبب عودتهم: إن الإمام أحمد هو الذي عمل على التخلص منهم لمضايقة بعض الجنود لـه، طمعا في المزيد من الأمـوال والمكافآت، وقيل: إن ذلك أيضـا يرجع للخلاف الـذي دب بين الإمام والعثمانيين، بسبب تسرع الإمـام في قتل قـائد الحملة البرتغالية كريستوفر دي جاما بعـد أسره، بينما كان العثمانيون يرغبون في إرساله حيا إلى استانبول للتدليل على نجاح جهودهم في الحبشة.

ولكن يبدو أن الـدولة العثمانية كانت تفضِّـل الاكتفاء باستيلائهـا على سواكن فقط، لتكـون موضع قـدم لها على الساحل الأفـريقي، ولم يكـونوا قـد قرروا بعـد التوسع في الأراضي الحبشيـة، ولم يتم ذلك إلا بعد عدة سنـوات على يد أزدمر بـاشا بعد عزله من اليمن(٣).

إلا أن نشاط العثمانيين لم يتوقـف بخروجهم من الحبشة، فقد نجحـوا بحريا في قطع الإمدادات البرتغالية، وحرموا اتصـالها بالأحباش، حيث قامت السفن العثمانية بعدن بمهـاجمة خمس سفن برتغاليـة، وأجبرتها على الفرار قبل وصـولها إلى ميناء مصـوع، لتقديم الإمـدادات اللازمة للحملة البرتغـالية بالحبشة، وكـان إستافو دي

---

(١) محمد محمد أمين (دكتور) : تطـور العلاقات العربية الأفريقيـة في العصـور الوسطى، ص: ٨٧، ٨٨

(٢) تـذكر نـوال الصيرفي – مـرجع سابـق – ص: ١٧٧: أن الإمام أحمد جـران احتفظ بمائتي جندي وعسكر معهم قرب بحيرة تانا.

(٣) السيد مصطفى سالم – دكتور – مرجع سابق، ص: ٤٠٣، ٤٠٤

جاما – حاكم الهند – قد وعد أخاه كريستوفر أن يمده بالجنود والمعدات فور عودته إلى الهند، ولكنه لم يتمكن من ذلك حتى تعرضت الحملة البرتغالية في الحبشة للهلاك[1] – كما أسلفنا.

ويبدو أن خروج العثمانيين من الحبشة ترك فراغا كبيرا، إذ تمكن الإمبراطور الحبشي من تجميع قواته والدخول مع الإمام في معركة فاصلة سنة ١٥٤٣م وهاجمت قواته الأمير أحمد عند بحيرة تانا في موقع يسمى وينا ديجا WOINA DEGA، وتمكنت فصيلة من جيش الأحباش بقيادة «بدرو ليوني» من اختراق صفوف جيش الإمام، وأطلقوا على الإمام الرصاص فجرح جرحا مميتا. ولما أيقن الإمام بالهزيمة انسل إلى الغابة وحيدا يقطر جرحه دماء غزيرة، فتبعه بدرو ليوني حتى رآه يسقط على الأرض عن جواده ميتا، فاقترب منه وقطع أذنه ليذهب بها إلى الإمبراطور جلاديوس (١٥٤٠ – ١٥٥٨م).[2]

كما تحدثنا بعض المراجع عن صدام مباشر وقع بين العثمانيين والبرتغاليين، وكان مسرح عملياته الشرق الأفريقي، وعند المنطقة الواقعة بين مصوع وسواكن على وجه التحديد.

ويُذكر في ذلك أن العثمانيين – الذين فقدوا اليمن في منتصف القرن السادس عشر – قد عادوا – نظرا لاهتمامهم بأمر البحر الأحمر وسواحله – لاسترجاع اليمن مرة أخرى.

فبادروا بإرسال حملة عثمانية سنة ١٥٥٤م بقيادة سنان باشا لإعادة فتح اليمن، وبعد أن تم له ذلك اتجه صوب ميناء مصوع لمنازلة الأسطول البرتغالي بقيادة دون جوان كاسترو حيث اصطدم به أمام ساحل مصوع، وكانت النتيجة في صالح العثمانيين الذين هزموا الأسطول البرتغالي، وصفّوا المواقع البرتغالية الأخرى

---

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٤٠٤

(٢) الحيمي الحسن : مصدر سابق، ص: ٢٦

في البحر الأحمر، وتركوا حاميات عثمانية بها[1]

تدخل البرتغاليين والعثمانيين في الصراع المذهبي بالحبشة :

لم يكن تدخل البرتغاليين ومساعدتهم للأحباش إلا وبالاً ومقدمة لسلسلة من الانقسامات داخل الحبشة كلها.

فقد ساعدت النجدة البرتغالية في نهاية الأمر، على الانتصارات التي حققها الأحباش على المسلمين الثوار، وفي هذا الوقت اكتفى الأتراك بالإشراف على البحر الأحمر، من خلال سلسلة الموانى التي استولوا عليها على الساحل الغربي وهي:

سواكن، ومصوع، وزيلع، وبربرة.

وقد خيّل للبرتغاليين خاصة وللكاثوليك عامة، أن البلاد الحبشية قد خلصت لهم بعد تغلبهم على الخطر التركي الإسلامي، بفضل المساعدات التي قدموها.

فعندما عاد الإمبراطور الحبشي (جلاديوس) إلى قصره سنة ١٥٥٥م بعد انتصاره على القائد الإسلامي (نور)، وجد في انتظاره بعثة من ملك البرتغال برئاسة رود ريجز، تحمل هدايا من الملك، ومع البعثة مبشران من الآباء اليسوعيين يحملان خطابا من حاكم الهند، طالبا من الإمبراطور جلاديوس الانضمام إلى كنيسة روما، بعد أن يقطع علاقته بالكنيسة المصرية، التي لا تستطيع حمايته ولا حماية نفسها من العنت الذي تلاقيه في مصر[2] - كما ادعوا-.

وفي اعتقادي أن هذا الإلحاح من جانب البرتغاليين، وما سبقه من جهود لتحويل الكنيسة الحبشية من التبعية الأرثوذكسية في مصر إلى التبعية الكاثوليكية في روما، بالإضافة إلى كونه صراعاً رهيباً، إلا أنه كان يحمل في طياته صورة الصراع بين البرتغاليين وعدوهم اللدود (العثمانيين)، ومحاولة إبعاد مصر الواقعة تحت السيادة

---

(١) وليد محمد جرادات : الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، الدوحة، ١٩٨٦، ص: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) الحيمي الحسن : مرجع سابق، ص: ٢٦

العثمانية عن الهيمنة الدينية، هذا بالإضـافة إلى أن ربط الكنيسة الحبشية بالكنيسة البرتغالية الكاثوليكية، كان يُعد هدفا رئيسيا لتدعيم نفوذهم في الحبشة، ومع ذلك فقد كان سعيهم هذا سببا في انهيار نفوذهم بها - كما سنرى.

ومع ذلك فقد عادت البعثة البرتغالية بنتيجة، مفادها أن نجاشي الحبشة ليس لديه نية تغيير عقيدة أسلافه، هذا بالإضافة إلى مناوأة الشعب الأثيوبي لتحويل كنيستهم، وحينئذ أخذت الانقسامات المذهبية تطل برأسها، في الوقت الذي أخذت فيه البعثة الثانية التي أرسلها ملك البرتغال تصطدم بأباطرة الحبشة خاصة في عهد الإمبراطور (ميتاس)، الذي اتبع سياسة متشددة تجاه الكاثوليك، وتطور هذا الصدام إلى حرب بعد انضمام المندوب البرتغالي دابارو DABARWA على رأس جماعة من البرتغاليين، إلى جانب بعض المتمردين على الإمبراطور[١] ثم تقرب من العثمانيين بقيادة ازدمر وعقد تحالفا معهم، كما وضع نفسه والجزء الذي يحكمه من الحبشة تحت سيادة العثمانيين.

وفي وسط هذا النزاع تمكن العثمانيون من توسيع الرقعة التي تحت أيديهم، ومن تثبيت أقدامهم فيها.

أما عصر سارسادنجل SARSA DENGEL أو الملك سجد MALAK SAGAD (١٥٦٣ - ١٥٩٧م) فقد كان هو الآخر مليئا بالمنازعات بين الطامعين في العرش، وتمكن العثمانيون من تذكية هذا الخلاف، ومناصرة فريق على آخر منتهزين الفرصة في ذلك لتوسيع مناطق احتلالهم، وكان النصر في جانب الفريق الذي يؤيده العثمانيون لأنهم كانوا يمدونه بالأسلحة النارية والمدافع مما اضطر الإمبراطور إلى الاستنجاد بفيليب الثاني ملك إسبانيا والبرتغال[٢].

---

(١) CASTONHOSO M : THE PORTUGUESE EXPEDITION TO ABYSSINIA IN 1541 - 1543, PP. 110 - 112.

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٩٧.

وقد كان الدور الذي قام به ازدمــر باشا تكملة للجهود العثمانية في منطقة شرق أفريقيــا، لمحاولة شلّ حــركة الأسطول البرتغــالي، ومنعه من العبث بسواحلــه، وقد أظهر العثمانيون اهتمامهــم بهذا الميدان – خاصة في الحبشــة – لمطاردة البرتغاليين من جهة، ومــن جهة أخرى لإحكــام غلق البحر الأحمر، وقــد كان هــذا هو مــا لمسه أزدمــر باشــا أثنــاء ولايته على اليمن، كما لمس أيضــا مــدى ضعف نيــابة ســواكن واضطراب أحوالها، أثنــاء عودته من اليمن بعد عــزله وهو في طريقــه إلى إستانبول، فأعد مشروعا يقضي بتدعيم النفوذ العثماني على ساحل الحبشة وتوسيع مداه، قدّمه إلى السلطان سليمان القانوني الذي اهتم به اهتماما شديدا.

وعلى الفور أرسله السلطان سليمان إلى مصر، لتجهيز جيش بها وللسير على رأس هذا الجيش إلى الحبشة لفتح بعض جهاتها.

وقد سارأزدمر باشا – بعد استكمال استعداداته – برا من القاهرة بجيش قوامه ثلاثة آلاف جندي عن طريق صعيد مصر.

فنجح حينــذاك في السيطــرة على بعض جهــات النــوبــة، كما استــولى على بعض الأقاليم الســاحلية حول ســواكن، وتم عندئذ تكوين ولايــة الحبش، وأصبح أزدمر باشا أول والٍ لها حتى تــوفي بها في سنة ٩٦٧ هــ / ١٥٦٠م، وقد ظلت هــذه الولاية قاصرة على المناطق الساحلية، وأصبح ميناء سواكن ومصوع أهم مراكزها كما ألحق بها ميناء جدة.(١)

وفي هــذه الفترة تمكّن العثمانيون من الاستيــلاء على حرقيقــو HARKUKO إضافــة إلى مصوع لقطع طريــق الإمداد العسكري بين البرتغــاليين والأحباش، ومن مصوع أغار أزدمر باشا القائد العثماني على دبارو DABARO واستولى عليها وبنى بها حصنــا للحاميــة العثمانية، وأصبحــت دبارو مــركزا لشن الحمــلات على

---

(١) صالح أزوبــران : مرجع ســابق، ص: ٥١، وانظر السيــد مصطفى سالم (دكتــور) مرجع سابق، ص: ٤١٣، ٤١٤.

الأحباش، وكانت سواكن ومصوع بمثابة مراكز الإمداد والتراجع عند الهزيمة(١).

وفي عهد الملك سرسا دنجل SARSO DENGEL (١٥٦٣ - ١٥٩٧م) ظهر تغيير في التحالف العثماني مع مسلمي شرق أفريقية، ذلك أن المسلمين هناك قد أصابهم الوهن بعد موت نور الدين مجاهد سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧م، وضعفت خطورتهم على الأحباش، مما أتاح الفرصة لازدياد قوة التحالف الصليبي بين الأحباش والبرتغاليين، لذلك اقتنص العثمانيون الفرصة عندما قامت فتنة في الحبشة بزعامة البحر نجش إسحاق ضد الإمبراطور الحبشي سرسا دنجل، وتم التحالف بين العثمانيين والبحر نجش ضد الإمبراطور، إلا أن الأخير - بمساعدة البرتغاليين - استطاع أن يوقع بالعثمانيين وحليفهم البحر نجش هزيمة كبرى في معركة عدى كورو ADDI QORRO بإقليم تجراى TIGRAI سنة ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨، وقتل فيها إسحاق والباشا التركي.

وفي سنة ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩م اشتعلت الحرب مرة ثانية ضد الإمبراطور الحبشي، وكانت الثورة هذه المرة بزعامة ولد أعزوم WALDA EZUM الذي تحالف مع العثمانيين في مصوع، وأعاد العثمانيون احتلالهم لدبارو مرة أخرى، فسار الإمبراطور سرسا دنجل بجنوده، والتقى بالمتحالفين قرب نهر مرب، وأوقع بهم الهزيمة، انسحب على أثرها باشا مصوع التركي كداور رت إلى حرقيقو.

ولم يستطع الإمبراطور القضاء عليه هناك، فعقد معه صلحا، وظل العثمانيون في مناطقهم بشرق أفريقية على الرغم من محاولات الأحباش طردهم منها.(٢)

---

(١) م/فتحي غيث: مرجع سابق، ص: ١٦٠، ١٦١، وانظر صالح أوزبران: الدولة العثمانية وطريق الهند، مرجع سابق، ص: ١٣٩، ويذكر: د/محمد عبداللطيف البحراوي، خلافا لما ذكر بالمتن، أن أزدمر باشا قد توفى بدوراه سنة ١٥٦٧م، انظر: فتح العثمانيين عدن - مرجع سابق، ص: ١٦٣.

(٢) نوال الصيرفي : مرجع سابق، ص: ١٧٩، ١٨٠.

المرحلة الثالثة :الصراع البرتغالي العثماني في الخليج العربي

يبدأ الصراع البرتغالي العثماني في الخليج العربي من هرمز، عندما استولى البرتغاليون على هذا الثغر الهام، وكان من آثار استيلائهم عليه أن سيطروا على الملاحة في الخليج العربي.

فقد كانت مملكة هرمز تقع عند مدخل الخليج العربي، وتضم جزيرة هرمز وما يحيط بها من جزر صغيرة، بالإضافة إلى الشريط الساحلي العربي المواجه لها.

ووطد البرتغاليون نفوذهم في هذه المملكة، حيث أنشأوا بها الحصون القوية، وكذلك فعلوا في باقي الجزر التابعة لها، بعد تنازل شاه فارس عن سيادته عليها مقابل مساعدة البرتغاليين له ضد العثمانيين(١).

وترجع بداية استيلاء البرتغاليين على هرمز* إلى عهد البوكيرك، وبالتحديد سنة ١٥٠٧م، عندما فشل في الاستيلاء على مسقط، وتقدم نحو هرمز حيث دارت بينه وبين حكامها معارك ضارية انتصر في نهايتها البوكيرك عليهم، وفرض على ملك هرمز إتاوة سنوية تدفع للبرتغاليين، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا لهم مركزا دائما إلا بعد عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م(٢). فقد زار البوكيرك هرمز مرة ثانية في عام ١٥١٤م وقد تم بينه وبين الفرس اتفاق بموجبه يسمح لملك هرمز بالاستمرار في ممارسة سلطاته باسم ملك البرتغال، وعين ابن أخيه بيرو قائدا على قلعة هرمز.

ومع ذلك فقد قامت انتفاضات وثورات ضد الحكم البرتغالي في هرمز، انتهت في صالح البرتغاليين بعد هزيمة مقرن بن زامل وقتله، ثم ثورة عمان والبحرين والقطيف على الرغم من نجاحهم في البداية.

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٠٦
* انظر منظرعام لهرمز وتحصيناتها (ملحق رقم ١٦) ص: ٢٧٨
(٢) عمان وتاريخها البحري، مرجع سابق، ص: ٥٨.

فقد تمكّن عرب الخليج من أن يقضوا على عدد من البحارة والجنود البرتغاليين خاصة في البحرين حيث انتقم سكانها شر انتقام من البرتغاليين لمقتل أميرهم مقرن بن زامل، إلا أن البرتغاليين ما لبثوا - كعادتهم - أن أرسلوا نجدات سريعة ثبّتت أقدامهم بالمنطقة[1]، وبذلك كان من السهل على البرتغاليين فرض السيطرة الكاملة على منطقة ساحل الخليج العربي دون منازع.

وعلى الرغم من تأخر العثمانيين عن الشخوص إلى ميدان الخليج العربي، إلا أننا نلمح بين السطور بعض المساعدات التي قدمها الأتراك العثمانيون لحكام الخليج - ولكنها على ما يبدو لم تتعد بعض المعدات والذخائر - بالإضافة إلى بعض الجنود، حيث ذكر تواجد حوالى خمسين روميا (تركيا) على ظهر ست سفن مسلحة تسليحا جيدا تابعة لراشد بن مغامس حاكم البصرة[2]

ولم يضع حدا لهذا العبث البرتغالي بسواحل الخليج العربي إلا نزول العثمانيين إلى هذا الميدان، ومصارعتهم للبرتغاليين على سواحله.

فقد تمكن العثمانيون في سنة ١٥٣٤م من غزو العراقين: عراق العجم، وعراق العرب، رغبة في الحصول على السيادة الفعلية على طريق التجارة، الذي كان يسير من تبريز إلى أرض روم وطوقان وبورصة، وطريق التوابل الذي كان يمتد من البصرة إلى بغداد وحلب.

هذا بالإضافة إلى أن فتح العثمانيين للعراق، يُعد من جهة أخرى استكمالا منطقيا للفتح العثماني للشام ومصر ١٥١٦، ١٥١٧م.

وقد زحف الصدر الأعظم العثماني إبراهيم باشا، واحتل تبريز سنة ١٥٣٤م وانضم إلي السلطان سليمان القانوني بعد ذلك حيث استوليا على بغداد، وامتد نفوذهم شمال وأواسط العراق، دون امتداده للبصرة والحسا، ومع ذلك فقد تسلم

(١) جمال زكريا قاسم (دكتور): مرجع سابق، ص: ٧٢، وما بعدها
(٢) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٢١، ٢٥

سليمان القانوني فترة وجوده ببغداد – التي امتدت من ديسمبر (كانون الأول) ١٥٣٤ إلى إبريل (نيسان) ١٥٣٥م إذعان وخضوع راشد بن مغامس حاكم البصرة، وبالتالي بعض حكام الخليج الذين كانوا يودون أن ينفضوا عن كاهلهم الاستبداد البرتغالي بهم، كما أنهم جاءوا طالبين حمايتهم من البرتغاليين(١).

وعلى الفور حصلت البصرة بهذا الإذعان على مركز الإيالة التابعة للعثمانيين، كما أُعيد تثبيت راشد بن مغامس حاكما عليها.

إلا أنه بعد راشد هذا، حدث خلاف بين والي بغداد التركي، وحاكم البصرة ويدعى يحيى شيخ بن أمان، مما اضطر العثمانيين إلى السيطرة الفعلية على البصرة وجعلها بيلربيك، وتعيين بلال محمد باشا محافظا عليها تحت السيادة العثمانية، وذلك في سنة ١٥٤٧م.

ودعم العثمانيون مدينة البصرة بعدد كبير من الجنود، بلغ ألفين ومائتي جندي عثماني، وتم توزيعهم بوضع ١٠٠٠ جندي في الحصن الرئيسي، و٧٠٠ آخرين في داخل المدينة، بالإضافة إلى ألف فارس تركي آخر بمدينة البصرة، ويضم المعكسر التركي كذلك عدداً لا بأس به من المتطوعين تحت إمرة أغا، كما تكونت إيالة البصرة من عدة سناجق تحت إشراف سنجق بك، وأنشأ العثمانيون بميناء البصرة ترسانة بحرية لصناعة السفن، تجلب إليها الأخشاب من جبال مرعش، على الحافة الجنوبية لسلسلة جبال طوروس في جنوبي آسيا الصغرى.

كما اهتم العثمانيون كذلك بالقطيف والحسا، نظرا للدور الهام الذي سيلعبانه في الصراع البرتغالي العثماني المرتقب بالخليج العربي(٢)

---

(١) هؤلاء هم رؤساء محليون للأهواز، والجزاير، والعراق ولورستان، والحويزة، كما قدم شيخ القطيف والبحرين حاملين معهم رسائل الترحيب بالسلطان، انظر: صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون، مرجع سابق، ص: ٢٨، وانظر: جمال زكريا قاسم (دكتور)، مرجع سابق، ص: ٨٦.

(٢) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٢٨، وما بعدها.

وقد بات هـذا التغيير الملموس الذي أحدثه العثمانيـون في أوضـاع شرقي الجزيرة العربية كفيـلا بإثارة البرتغاليين، لأن هذه المنطقـة العربية ظلت فترات طـويلة بعيدا عن منـاطـق الصراع البرتغـالي، سـواء أكـان مع المماليـك أم مع العثمانيين، وركـز الأخيران جهودهما نحو الساحل الغربي للهند، نظـرا لأنه موئل السلطة ومقر نائب ملك البرتغال، ومركز التجمعات البحرية البرتغالية.

ومن ناحية أخرى اشتدت رغبة البرتغاليين في القضـاء على النفوذ العثماني الوليد في الجزء الشمالي قبل استفحال أمره، حتى تظل المنطقة كلها خالصة لهم.

ووقف كل فريق متأهباً ومتحفزاً للنيل من خصمه عندما تواتيه الفرصـة.(١)

وقد ظلت هـذه المواجهة بين العثمانيين والبرتغاليين أكثـر من ثلاثين عـاما، وعلى وجه التحديـد بين سنتي ١٥٥٠، و١٥٨٣م وتميزت هذه السنـوات بمجموعة كبيرة من التطـورات السياسيـة والعسكريـة التي عاشتهـا المنطقة، خـاصة بعـد تحويل البصرة إلى قاعدة بحـرية عثمانية، للانطـلاق منها صوب الأسطول البرتغـالي الذي كان قابعا في عدة قواعد بحرية بالمحيط الهندي والخليج العربي.(٢)

وقـد تجمعـت عـدة عـوامـل سريعـة، أدت إلى نشـــوب المعـارك بين العثمانيين والبرتغاليين في منطقة الخليج كان منها:

أولا : أدى تنازل عرب القطيف عن حصنهم للعثمانيين إلى فزع البرتغاليين(٣).

ثانيا : كان هناك عدد من زعماء عرب البصرة يحاولون التقرب إلى البرتغاليين، بل وطالب هؤلاء الزعماء بتدخل البرتغاليين(٤).

---

(١) عبدالعزيز الشناوي (دكتور) المراحل الاولى للوجود البرتغالي، مرجع سابق، ص: ٦٨٣، ٦٨٤.

(٢) HAJI KHALEFAH, THE HISTORY OF MARITIME WARS OF THE TURKS LONDON 1831: PP. 68 - 728

(٣) يذكـر د/ جمال زكريـا قاسم – في كتابـه الخليج العربي، ص: ٨٦، أن حصن القطيف كـان حصنا برتغـاليا وكـان البرتغاليـون يعتمدون عليـه في السيطرة على المنـاطق الساحلية مـن شرق الجزيرة العربية.

(٤) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٤٠

ويذكر أحد الباحثين[١] : أن حاكم البصرة راشد بن مغامس كان قد طرده العثمانيون قبل عدة سنوات لشكوكهم في نواياه، سنة ١٥٤٧م – وقد استنجد هذا الحاكم الطريد بالبرتغاليين يطلب مساعدتهم له على العثمانيين لاستعادة أملاكه عارضًا عليهم أن يسمح لهم بإقامة حصن في ميناء البصرة. ورحب البرتغاليون بهذا العرض المغري، فكان ابن مغامس هو الشرارة التي أشعلت الصراع بين الطرفين.

حينئذ وجّه البرتغاليون حملة كبيرة للزحف على تلك السواحل، التي استولى عليها العثمانيون وعلى وجه الخصوص (القطيف)، وأسند إلى إنطا ودى نورنها DE NORONHA قيادة هذه الحملة التي تكونت من ألف ومائتي مقاتل وسبع سفن كبيرة الحجم[٢] هذا بالإضافة إلى قوات كبيرة العدد من هرمز صاحبت الحملة التي بلغ حجمها ثلاثة آلاف جندي.

وتحركت الحملة صوب القطيف أولاً، وهذه لم يكن بها سوى أربعمائة جندي تركي، إلا أنهم دافعوا عن أنفسهم ببسالة منقطعة النظير، وإن كانوا قد اضطروا – في نهاية الأمر – إلى الاستسلام للبرتغاليين بعد حصارهم الذي استمر ثمانية أيام، تمكن بعدها نورونها من تدمير حصن القطيف. [٣]

وعلى أثر ذلك توجه القائد البرتغالي بحملته إلى البصرة، باعتبارها قاعدة العثمانيين البحرية في الخليج، وحاول اقتحامها إلا أنه أخفق في الاستيلاء عليها، بسبب وصول أخبار الحملة البرتغالية إلى بيلر بك البصرة مبكرا، مما أتاح له الفرصة

---

(١) عبدالعزيز الشناوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٦٨٣، ٦٨٤

(٢) يذكر د/ السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص: ٤٠٧، وكذلك د/ عبدالعزيز الشناوي، مرجع سابق، ص: ٦٨٤، أن عدد السفن كان تسع عشرة سفينة، ويمكن الجمع بين الروايتين حيث أن المرجع الذي اعتمدنا عليه عاد فذكر أنه قد صاحبت الحملة البرتغالية المكونة من ١٢٠٠ جندي مع سبع سفن حوالي ثلاثة آلاف جندي من هرمز، ولابد من أن هؤلاء الأخيرين قد نقلوا على متن سفن أخرى، حتى بلغ عدد الجميع تسع عشرة سفينة.

(٣) يذكر محمد عدنان مراد أن البرتغاليين قد أخرجوا الترك من القطيف ومن البحرين كذلك بإضافة البحرين التي لم أجد لها ذكراً في تلك الحملة فيما تيسر لي من مراجع، انظر : صراع القوى – مرجع سابق، ص: ١٤١

في تنفيذ خطـة ذكية لتفـادي الهجوم المرتقب، بحيث جعل القـائد البرتغالي يظن بأن هناك حشودا ضخمة قد جمعت من القبائل العربية في البصرة.

وقد خشى نورونها من الاصطدام بما اعتقـد أنها حشود كبيرة، وعدل عن خطة الهجوم مفضلا التراجع إلى القطيـف، وهناك اكتشف أنه قد خدع وأنـه لم تكن هناك استعدادات حربية كافية لتلافي الهجوم البرتغالي(١)

وفي نفس عام ١٥٥٠م تمت مواجهات أخرى بين الأسطولين العثماني والبرتغالي، فقد تحرك أسطول بـرتغالي في هذا العام بقيـادة لويس فيكورا، قاصـدا نهب مدينة قلهات التي تقع بالقـرب من رأس الحد، ولكنه تراجع عنها عندمـا شاهد أربع سفن حربيـة عثمانية تجوب المنطقـة، كما حدثت مواجهـة أخرى بين البرتغـاليين بقيادة لويس فيكورا، وأسطول عثماني مكـون من خمس سفن على رأسها القائد العثماني سفر رئيس، وتم هزيمة الأسطول البرتغالي وقتل قائده، فيكورا على أثر معركة دارت رحاها بينهما.(٢)

حملة بيري رئيس على هرمز :

وإزاء استيلاء البرتغـاليين على القطيف – مؤقتـا – وتهديدهم لكل من سـواحل البحرين والبصرة، تأكد للعثمانيين بما لا يدع مجالا للشك أنه لا قبل لهم بالوقوف في مواجهـة البرتغاليين في معـارك نظامية حـاسمة، ولا يمكن مـواجهتهم إلا بعمليات بحرية غير نظامية، وذلك بسبب عدم التكافؤ في القوة البحرية بين الطرفين.

وقد أسندت هذه العمليات الفدائية غير النظـامية إلى مجموعة بارزة من القباطنة العثمانيين، الذين خلّـد التاريخ ذكرهـم، سواء أكان ذلك في الأعمال البحـرية أم في المجال العلمي، فمنهم من اهتم بفنون البحر والملاحة أمثال علي بك جلبي، وبيري بك الذي كان جغرافيا مشهورا في رسم الخرائط.

---

(١) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٤٠، ٤١
وانظر، د/ جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص: ٨٦، ٨٧
(٢) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ١٢٣.

وكان مـن أبرز هؤلاء القـادة الذين تصـدوا للنفوذ البرتغـالي في الخليج بيري بك رئيس PIRRI REIS، الذي أبحر من السويس بعد أن أصبح هذا الميناء من أقوى القواعد البحرية العثمانية، تصحبه خمس وعشرون سفينة كبيرة الحجم(١)

وكـان رأي السلطـان العثماني سليمان المشرع أن يـرد على العـدوان البرتغـالي، بإرسال تلـك الحملة إلى شرقي الجزيرة العـربية، تستهـدف الاستيلاء على جـزيرة هرمز وإلحاق إدارتها بالبصرة.

وبالفعل صدرت الأوامر إلى ترسـانة السويس لإعداد السفن المذكورة، وتحركت الحملة في سنة ٩٥٩هـ / ٢٩ ديسمبر ١٥٥١م من القاعـدة البحرية في السويس إلى شرقي الجزيرة العربية، وقد مرت الحملة في مسيرتها بعدن لأخذ المؤن، ثم استـأنفت رحلتها نحو ميناء مسقط، وتمكنت من الاستيـلاء على القلعة البرتغالية بها، وأسرت قـائد حـاميتها البرتغـالي، وكان هذا القـائـد ويـدعى جوادي ليـزبوا JAODE LISBOA، قد أعلن استسلامه للعثمانيين بشرط أن يسمحوا له ولمن معه من أفراد الحامية البرتغالية بالانتقال إلى هرمـز بسلام، إلا أن بيري بك بادر بعد سيطرته على مسقط بتجريد الحامية من سلاحها، وعامل القـائد البرتغالي وحاميته معاملة سيئة، وتحركت الحملة بعد ذلك إلى هرمز حيث فرضت عليها حصارا محكما كادت تسقط على أثره، لـولا أن القائد العثماني بيري باشـا أمر برفع الحصـار عنها فجأة، واتجه بسفنه إلى البصرة.

ويُذكـر في سبب رفع الحصـار، أن الأسير - قائد مسقط البرتغـالي - احتال على القـائد بيري رئيس، وأدخل في روعه أن أسطـولاً بـرتغاليـاً كبيراً خرج من الهنـد في طريقه إلى هـرمز لتدمير الأسطول العثماني في مياه الخليج، ونصحه بـالمسارعة إلى

---

(١) ذكر صالح أوزبران : الدولـة العثمانية ص: ١٢٥: أنها تسـع وعشرون سفينة، وعليها ٨٥٠ جندياً، وفي كتاب آخر، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون ذكر نفس المؤلف، ص: ٤٣، ٤٤: أن عدد السفن كان خمسا وعشرين سفينة كبيرة من نوع VADIRGA وأربع سفن إسبانية من نـوع غليون GALIEONS (بالتركيـة VALYON) وسفينـة أخـرى تحمل ٨٥٠ جنديا فيكون المجموع ثلاثين سفينة.

مغادرة المنطقة قبل أن يغلق البرتغاليون مضيق هرمز في وجهه.

ونظرا لحاجة الأسطول العثماني إلى الإصلاح والتزود بالوقود، فقد اتجه به نحو البصرة، وتركه عائدا إلى السويس بسفنه الثلاث بعد أن ملأها بالأموال التي جمعها، وما كاد يصل إلى القاهرة حتى قبض عليه والي مصر، الذي أرسل إلى السلطان سليمان تفاصيل ما حدث فأمر بإعدامه ومصادرة أمواله بتهمة الخيانة العظمى[1]

وقد ذكر أيضا في سبب إصدار بيري الأوامر لسفنه بفك الحصار، أنه قد سمع برفاهية وغنى أهالي هرمز القاطنين في قشم، وبها طائفة من التجار الأثرياء يبلغ عددهم ٣٠ تاجرا من أجل ترك حصار هرمز، واتجه نحو قشم التي عاد منها إلى البصرة محملا بالغنائم الثمينة[2]

ومثل ذلك ما قيل عن قبول بيري بيك الرشوة من البرتغاليين، وأن الملاحين المحاصرين أعطوا القبودان بيري مقدارا من المال وأرضوه، فأقلع عن هرمز وقصد البصرة[3]

وهذا كلام قيل من قبل في حملة سليمان باشا الخادم على الهند، وهو محاولة لتشويه صورة هؤلاء القادة. ولا يسلم به الباحث بسهولة، وخاصة أن بيري رئيس هذا كان من علماء عصره، الذين أدّوا للآداب عامة والجغرافيا خاصة خدمات علمية جليلة، وله تآليف في البحرية، وأهدى للسلطان العثماني وصفا لرحلته، بعضه نظم والآخر نثر بعنوان «مرآة البلاد». بالإضافة إلى أن هذا القائد سليل أسرة مجاهدة، فقد كان حفيدا لكمال رئيس الذي كان أيام السلطان باتريد الثاني يلقي الرعب في قلوب الأعداء، وكان ضمن الحملة التي أرسلها داود باشا لاستعادة عدن من حاكمه علي بن سليمان البدوي وحلفائه البرتغاليين سنة ١٥٤٧م[4]

---

(١) د. جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص: ٨٧، وانظر د. عبدالعزيز الشناوي: المراحل الأولى، مرجع سابق، ص: ٦٨٤، ٦٨٥.

(٢) صالح أوزبران : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون - مرجع سابق، ص: ٤٥، ٤٦.

(٣) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٤٠٨

(٤) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) مرجع سابق، ص: ١٦٤.

وفي البصرة سرعان مـا دبّ الخلاف بين بيري رئيس وبيلر بك البصرة، فـاضطر بيري لمغادرة ميناء البصرة حـاملا معه جميع الغنـائم والأسرى البرتغاليين، وقدرت بعض المصادر هذه الغنائم بأكثـر من مليون ريال من الذهب(١). وعندما عاد بيري إلى السويس وجد في استقبـاله نهايته المحتومة، حيث كـان بيلربك البصرة قد أرسل تقريرا إلى السلطان العثماني لم يكن في صالح بيري رئيس.

وقد اختلفت المصادر في تعليل السبب الحقيقي لأوامر السلطان سليمان القانوني بإعـدام بيري رئيس، والأقرب إلى الصـواب - فيما يعتقد البـاحث - أن هذا القـائد العثماني قد تجاوز التعليمات الصـادرة إليه، إذ إن السلطان سليمان قد أمره ألا يبدأ بالسيطرة على هرمز وحصـارها قبل أن يذهب إلى البصرة أولا، لكي يضيف جنودها إلى جنـده فيتقوى بهم، غير أن بيري بك - نتيجـة لما لاقاه من ضـعف البرتغـاليين في مسقط - اعتقد بأن حالة هرمز مشابهة، وقـدّر أن بإمكانه بالأسلحة والذخائر التي استولى عليها من قلعة البرتغاليين في مسقط، أن يخضـع أقرانهم في هرمز ولكنه فشل في تحقيق ذلك.(٢)

إلا أن هناك بعض العـوامل تذكرها كتـابات الباحثين عـرضاً، وكلها تؤكـد أن ما صنعه بيري رئيس كان مجبراً عليه، بسبب الظروف التي قـاساها، من ذلك ما يذكر عن فقدانه بعض سفنه في مستهل رحلته بسبب العوامل الطبيعية في ساحل الشحر.

هذا بالإضافـة إلى ما حدث عند مضيق هرمز من هبوب عـاصفة شديدة حطمت السفن التركية - التي لم يتبق منها سوى ثلاث سفن كبيرة - وجنحت خمس عشرة سفينة إلى ميناء البصرة(٣).

وقد أسند إلى مراد رئيس - بعد ذلك - مهمة إعادة الأسطول العثماني الرابض في

---

(١) ج. ج. لوريمر : دليل الخليج، جـ٣، ص: ١١١

(٢) جمال زكريا قاسم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٨٨

(٣) KAMMERER : OP. CIT. 90

ميناء البصرة حيث اهتم بهذا الأمر السلطان سليمان بنفسه، واتصل بمراد بك - صنجق القطيف سابقا، الذي كان يقيم في البصرة وقتئذ - وأمره بالمحافظة على السفن وإرجاعها إلى قاعدة السويس البحرية، دون أن تتعرض لهجوم الأسطول البرتغالي عليها.

ولم تكلل محاولة مراد رئيس بالنجاح، إذ إن البرتغاليين كانوا قد حصلوا على معلومات كافية عن مهمة مراد رئيس بالبصرة، من سفينة ذات أشرعة كان عليها ملاحون عرب، وبذلك تقابل البرتغاليون بقيادة ديوجودي نرونها مع الأسطول العثماني في مضيق هرمز قرب الساحل الفارسي، وقد تكبد العثمانيون خلال هذه المعركة أضرارا غير قليلة، أدت بالتالي إلى عودة مراد رئيس إلى البصرة[١].

رحلة سيدي علي رئيس لاستعادة السفن من البصرة:

لم تثن هذه الهزيمة السلطان العثماني عن عزمه بجلب الأسطول إلى السويس.

فأصدر السلطان سليمان أمره بتعيين سيدي بري علي رئيس قبودانا لمصر، على أن يتوجه مباشرة من حلب - حيث كان السلطان موجودا حينئذ - إلى البصرة لإعادة الأسطول إلى السويس.

ويبدو أن اختيار السلطان سليمان لسيدي علي هذا كان موفقا، فهو من أشهر أمراء البحر العثمانيين، الذين ظهروا في القرن السادس عشر، حيث اشترك مع السلطان سليمان في الاستيلاء على جزيرة رودس سنة ١٥٢٢م بالإضافة إلى اشتراكه في معارك بحرية كثيرة بالبحر المتوسط، تحت قيادة كبار القادة البحريين العثمانيين أمثال خير الدين بربروس وسنان باشا وغيرهما، وذلك قبل أن يكلّفه السلطان بهذه المهمة.

---

(١) صالح أوزبران : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون، مرجع سابق، ص: ٤٨،
وانظر: HAJI KHALIFEH : OP. P. 72

وعلى الفور اهتم سيدي علي بإعداد السفن وإصلاحها، استعدادا للسفر عند وصوله إلى البصرة سنة ٩٦١ هـ / فبراير ١٥٥٤م.(١)

وانتظر سيدي علي الرياح حتى إذا حلّ موسمها رغب في استطلاع حالة الأسطول البرتغالي عند مضيق هرمز وذلك قبل بداية رحلته إلى مصر، ولذلك فقد أمر والي البصرة أحد بحارته بالتجول على ظهر إحدى السفن الخفيفة في أنحاء الخليج العربي حتى يصل مضيق هرمز للتجسس على أخبار البرتغاليين في هذا الخليج، وقد غادر سيدي علي البصرة في شوال ٩٦١هـ / سبتمبر ١٥٥٤م على رأس الخمس عشرة سفينة، بعد أن طمأنه البحارة بعدم وجود أية أساطيل برتغالية في الخليج(٢).

إلا أن القائد العثماني لم يتمكن من العبور في سلام إلى السويس، على الرغم من مروره من مضيق هرمز، وما أظهره من شجاعة كبيرة ومهارة فائقة في الشئون البحرية، ويعود هذا الفشل حقيقة لما قابله من مشكلات وعقبات غير متوقعة، فقد اضطر إلى خوض غمار معركتين كبيرتين، الأولى: ضد الأسطول البرتغالي، والثانية ضد الظروف الطبيعية السيئة التي قذفت به وبسفنه في النهاية إلى ساحل (كجرات) بالهند.

وقد بدأ الصدام بين البرتغاليين وسيدي علي بعد عبور الأخير مضيق هرمز بقليل حيث واجه أمام ساحل ظفار أسطولا برتغاليا كبيرا يتكون من خمس وعشرين سفينة حيث وقعت بين الطرفين رحى طاحنة، وذلك بعد أربعين يوما من مغادرة السفن العثمانية للبصرة، فاستمر القتال طوال النهار حتى أرخى الليل سدوله (٣)، وانسحب الأسطول البرتغالي إلى الشرق ناحية هرمز، فواصل سيدي علي رحلته تجاه

---

(١) SIDI ALI REIS : THE TRAVELS AND ADVENTURES (TRANSLATED FROM THE TURKISH BY A. VOMBERY) LONDON. P. 7.

(٢) SIDI ALI REIS, OP. CIT. P. 9.

(٣) يذكر د/ جمال زكريا قاسم في كتابه الخليج العربي، ص: ٨٩، أن سيدي علي، قد سجل في هذه المعركة نصرا على البرتغاليين.

الغرب أمــام الساحل العماني حتى وصل إلى مكان قريب من مسقط، وهنــاك تقابل مع أسطـول برتغالي كبير مكـون من اثنتين وثـلاثين سفينة، وبادرت هـذه السفن بمهاجمة أسطول سيـدي علي الصغير، ودارت بين الطرفين معركة حـامية الوطيس تكبد فيها الاثنان خسائر جسيمة في الأرواح، وتعطلت بعض السفن العثمانية، وجنح بعضها الآخر إلى الساحل العماني حيث أحســن الأهالي استقبال جرحى العثمانيين، ومع ذلك فلم يحقق أي من الطرفين نصرا حاسما على خصمه.[١]

أما معـركة سيدي علي مع الطبيعـة فقد بـدأت في مساء يوم المعـركة الأخيرة مع البرتغـاليين، وفي هذا المســاء اشتـدت الريـاح لـدرجـة كبيرة حتى أبعدت أسطـول العثمانيين عن الشاطىء العـربي بعيدا، وقـذفت به إلى ساحل كـرمان، فـاضطر إلى التجول هناك لمدة يومين حتى تمكن من الرسو في أحد المواني المجاورة واسمه ميناء (جوادور) الهندي على ساحل بلوخستان، وأحسن حاكم هذا الميناء المسلم استقبال سيـدي علي ورفاقـه عنـدما عـرف أنهم عثمانيـون، كما زودهم بالطعـام والشراب وأرسل معهم أحد البحارة المهرة ليعود بهم إلى الشاطىء العربي.

ولم تهدأ هذه الدوامة حتى وجد العثمانيون أنفسهم أمام ساحل كجرات بالهند، ثم دوامة أخرى نقلتهم أمام ميناء دامــان بكجرات نفسها. ورست سفن سيدي علي أمام هذا الميناء بعد جهاد عنيف آخر، فنصحـه حاكم داماو بضرورة السير إلى ميناء سورات حتى لا يتعرض لهجوم مباغت من السفن البرتغــالية فالتجأ إليه بعد مرور ثلاثة أشهر كاملة على مغادرته للبصرة.[٢]

وقد رأى معظم جنود الحملة وبحارتها استحــالة عودتهم إلى مصر بحرا، فقرروا الالتحاق بخدمة حاكم كجرات والاستقرار في الهند.

أما سيـدي علي الريس فقد أبى عليـه ولاؤه للسلطان سليمان القانوني، وللـدولة العثمانية إلا أن يصر على العودة إلى إستانبـول، على الرغم من إلحاح سلطان كجرات

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٨٨، ٨٩
(٢) نفس المرجع السابق: ص: ٤١١، ٤١٢

عليه بالدخول في طاعته والخدمة معه مقابل أجر مجز، ولم يكن قد تبقى من سفن الحملة العثمانية إلا ست سفن، قدمها لحاكم سورات، على أن يدفع ثمنها للسلطان سليمان، وعاد سيدي علي مع ٥٠ جنديا إلى إستانبول.(١) فبلغها في ٣٠ أبريل ١٥٥٧م بعد مرور عامين على مغادرة كجرات.(٢)

ويذكر أنه بينما كان سيدي علي رئيس في جهاده هذا ضد البرتغاليين، والطبيعة معا أرسل السلطان سليمان المشرع قائدا أعلى آخر للأسطول - أدميرال يدعى صفر رئيس SAFOR، من أجل البحث عن الأسطول العثماني، ولم يتمكن هذا القائد العثماني إلا من أسر بعض السفن البرتغالية التي كانت تبحر من ميناء ديو الهندي في طريقها إلي هرمز، وكان مع صفر رئيس سفينتان من نوع GALLEY وسفينة أخرى من نوع BRIGANTINE.(٣)

الصراع على جزيرة البحرين :

تعد البحرين التي تقع بين الإحساء وقطر، واحدة من المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية الهامة بموقعها المتوسط بين هرمز وقطر، بالإضافة إلي أنها تعد مركزاً لصيد اللؤلؤ في الخليج العربي، ومن أجل ذلك كانت جزيرة البحرين تحظى باهتمام القوى المختلفة المتصارعة على المنطقة.

ومن المعروف أن البرتغاليين بعد أن دحروا حاكمها مقرن بن زامل سنة ١٥٢١م سعوا إلى مد نفوذهم وإظهار تأثيرهم على الجزيرة، وفي سنة ١٥٣٥م - وبعد أن فتح العثمانيون بغداد - أرسل حاكم البحرين يعلن إذعانه وخضوعه للسلطان سليمان، وظل حاكمها في ذلك الوقت يحول ولاءه تارة إلي هذا وأخرى إلي ذاك بين

---

(١) قام سيدي علي بالمرور، في أثناء عودته عن طريق البر - على عدة بلاد هي: السند والبنجاب وأفغانستان وخورسان وأذربيجان، وقد وصف هذه الرحلة في كتابه الذي يعد من أهم كتب الرحلات في تلك الفترة.

انظر : السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثماني، ص: ٤٣.

(٢) SIDI ALI REIS: OP, PP105-106.

(٣) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٥٠، ٥١

جيرانه الأقوياء، معتمدا في ذلك على ما يقدمه كل منهم من منافع - وربما كذلك تحت عوامل الترغيب والترهيب.

وكان من عادة العثمانيين منح الحكام المحليين - الذين يعلنون ولاءهم للدولة العثمانية وخضوعهم للسلطان العثماني - لقب سنجق SANCAK، فكان حاكم البحرين ممن فاز بهذا اللقب في سنة ١٥٥٩م، ومع هذا فقد ظل نفوذ البرتغاليين غير قليل في الجزيرة.(١)

وقد سبق أن ذكرنا ما قام به بيري في حملته سنة ١٥٥٢، التي كان منوطا بها إخضاع هرمز والسيطرة على البحرين سيطرة كاملة، ولكنه لم يتمكن من إحراز أهدافه كلها.

ولم يتمكن العثمانيون من القيام بعمل جدي لتوطيد مركزهم في البحرين إلا في سنة ١٥٥٩م.

ففي هذه السنة أخذ مصطفى باشا - بيلربي الإحساء - على عاتقه القيام بحملة ضد الجزيرة البحرينية دون الحصول على أمر من السلطان العثماني سليمان القانوني.

وقد سار مصطفى باشا بحملته المكونة من سفينتين كبيرتين من نوع KADIRGS، وسبعين سفينة خفيفة مختلفة الأنواع، وسفينة واحدة من نوع BRIGONTINE .

وضمت الحملة ألفا ومائتين من الجنود، منهم عدد لا بأس به من انكشارية بغداد JANISSARIES، وكميات كبيرة من التجهيزات والمؤن والذخيرة، وهناك وثيقة عثمانية لأحد البكوات العثمانيين كان قد اشترك في الحملة يقول فيها إنه قد أرسل قبل الشروع في الحملة ٢٠٠ فارس و ٤٠٠ جندي، يحمل السلاح الناري من قبل البصرة إلى الإحساء - مما يدلنا على أن هذه الحملة كانت باتفاق حاكمي البصرة

---

(١) د. صالح أوزبران : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون، مرجع سابق، ص: ٥٢.

والإحساء العثمانيين[1].

وفي ٢٦ من رمضـان ٩٦٦ هـ / ٢ من يوليو (تموز) ١٥٥٩م بدأت الحملة العثمانية حصارها للبحرين، والقيام بالغارات عليها وعلى حصنها (المنامة) التي تقع على الساحل الشمالي للجزيرة.

وقد وصلت أخبار هذه الغارة العثمانية على البحرين إلى هرمز، وعلى الفور تحرك أسطول برتغالي مكون من ٢٢ سفينة من نوع GROB لإنقاذ الجزيرة، وعلى رأس هذا الأسطول القائد جوادي نورونها D. JOAO DNOROHHA ابن عم حاكم هرمز البرتغالي.

وكانت النتيجة أن تمكن الأسطول البرتغالي – بمساعدة القبطان جوادي كولدروز JOAODE QUADROS الذي كان قد خبر الملاحة في الخليج العربي بتجربته الطويلة – من حرق بعض سفن الأسطول العثماني الخاصة بالمؤن والتجهيزات، وأسر سفينتين عثمانيتين من نوع GALLY.

ونظرا لنقص المؤن والتجهيزات، بالإضافة إلى موت البيلربي مصطفى باشا أنهى العثمانيون هذا الصراع، وبسبب تدخل بعض العوامل الجوية حيث بدأت الرياح الشرقية موسمها جالبة معها حمى مميتة سببت الموت لكثير من البرتغاليين والعثمانيين على السواء، ولذلك اتفق الطرفان على السلام بتسليم أسلحتهم للبرتغاليين ودفع غرامة قدرها ١٢٫٠٠٠ كروزادوس[2]. وفي مقابل ذلك أخذ البرتغاليون على عاتقهم نقل ما تبقى من جنود عثمانيين إلى البر[3].

وعادت جزيرة البحرين إلى ما كانت عليه قبل توالي هؤلاء وأولئك، إلا أنه على الرغم من توقف الحملات العثمانية على هذه الجزيرة، وانحسار النفوذ العثماني

---

(١) د/ صالح أوزبران – الأتراك العثمانيون، مرجع سابق، ص: ٥٣
(٢) الكروزادوس هي عملة برتغالية تعادل في تلك الفترة : ٤٠ ريال.
(٣) صالح أوزبران : مرجع سابق، ص: ٥٣، ٥٤، وانظر: نفس الباحث: الدولة العثمانية وطريق الهند، مرجع سابق، ص: ١٣٩، ١٤٠.

فيهـا، فقد ظلت تشكل منطقـة عازلـة بين الأتراك العثمانيين في الإحســاء والقطيف والبصرة، وبين البرتغـاليين في هــرمــز والمنــاطق التــابعــة لهم في مسقط والســاحل الجنوبي للخليج.

وعلى الرغم مــن أن عمليات العثمانيين قد تـوقفت في الخليج بسبب انغماسهم في الصراع ضد الفرس، وعلى وجـه الخصوص عندما أقـدم الشاه طهماسب (١٥٢٤ – ١٥٧٦م) على التقدم إلى الأراضي العثمانيـة، إلا أنه بعـد توقـف هذه العمليـات سنة ١٥٧٥م جـدد السلطـان العثماني أوامـره إلى بيلـربي بغـداد بفتح البحـرين، بعـد استطلاع الموقف فيهـا، وكان هذا الأمـر نتيجة لما كتبـه بيلربي الإحساء إلى الـدولة العثمانية، بأن فتح البحرين سيضمن لها ٤٠٠٠٠ر٤ فلـوري سنويا، ولكن لم يلبث هذا المشروع أن تـوقف، بعد أن تبين للدولـة العثمانية بأن هذا الـدخل المزعوم ليس وشيك الظهور، وربما يقل عن النفقات والمصروفات اللازمة للوضـع المحلي[(١)].

دور علي ميرال في الخليج العربي والشرق الأفـريقي[(٢)]:

لم تحاول الدولة العثمانية تجديد نشاطها في الخليج، إلا في بداية العقد الثامن من القرن الســادس عشر، وبالتحـديد سنـة ١٥٨١م حين قدرت أهميـة الاستفادة من فـرصة ضـم البرتغال إلى التـاج الإسبـاني، على عهد فيليـب الثاني سنـة ١٥٨٠م، وعهدت الدولة العثمانية إلى علي بيك (ميرال) مهمة هذا النشـاط الذي بدأ يظهر ثانية في الخليج، وصاحبت علي ميرال في مهمته هذه أربع سفن من نوع GALLEY اتجه بهم نحـو مسقط مغيرا عليهـــا، وتمكن من نهـــبها بعـد انتـــصاره على القـــوات الــبرتغالـية بــها[(٣)].

---

(١) جمال زكريا قاسم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٨٩، ٩٠.

(٢) وصف المسيوجيان علي ميرال هذا بأنه اشتهر بـالجرأة والإقدام والهمة، انظر : جيان وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية، مصدر سابق، ص: ٢٧٨.

(٣) ويذكر د/ السيد مصطفى سالم أن علي ميرال قد تمكن من تحطيم قوة البرتغاليين بمسقط واستولى على إحـدى سفنهم التي كـانت ترسـو في الميناء وهي محملـة بالبضائع وكـانت في طريقها إلى هرمز. – انظر : الفتح العثماني الأول لليمن، مرجع سابق، ص: ٤٢٣.

وقد فشل البرتغاليون بقيادة لويس دي الميدا D. LUIS DE ALMEIDA في ملاحقة العثمانيين، إلا أن هذا القائد البرتغالي قد قام بمهاجمة بعض السواحل الأخرى فيما يسمى ساحل النواخذة.(١)

وفي الحقيقة لم تجن الدولة العثمانية - على ما يبدو - أية فائدة تذكر، بل على العكس من ذلك فقد استفاد البرتغاليون بعد أن نبهتهم هذه الغزوة إلى ضرورة تعزيز قواتهم في مسقط، إذ اعتبر البرتغاليون سيطرة العثمانيين وهجومهم عليها بمثابة عار كبير لحق بسلاحهم البحري، وربما كان ذلك هو الذي دفع الحكومة الإسبانية - صاحبة الهيمنة على المستعمرات البرتغالية في ذلك الحين - إلى إصدار تعليماتها بزيادة التحصينات العسكرية، وبناء قلعتين كبيرتين لا تزالان قائمتين بحالهما حتى الآن تحيطان بخليج مسقط، وتضفي عليه جوا من الغموض والرهبة(٢)

وقد عقد القائد العثماني بعد ذلك العزم على مهاجمة السواحل الشرقية لأفريقيا.

ففي سنة ١٥٨٥م ركب مير علي بك أو علي ميرال - كما يذكر - سفينتين حربيتين من الأسطول العثماني، كانت إحداهما قديمة بالغة في القدم، إلى حد أنه كان يخشى أن تتفكك أخشابها، مما جعله يتركها(٣) ويسير في مهمته بسفينة واحدة(٤).

ويذكر أحد الباحثين(٥) أن مهمة علي بك ميرال، كانت تهدف إلى إحضار بعض

---

(١) STAVEN JOHN: TRANSLATION OF MANUEL DE FARIA SOUSA, THE PORTUGESE QSIA 3VOLS. PP. 370 - 372, (LONDON 1695).

(٢) جمال زكريا قاسم (دكتور) الخليج العربي، مرجع سابق، ص: ٩٠، ٩١.

(٣) يذكر جيان في كتابه وثائق تاريخية، ص: ٢٧٨، ٢٧٩، أن ذلك كان سنة ١٥٨٦م، وأن هذه السفينة القديمة قد غرقت.

(٤) الشاطر بصيلي عبدالجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرق والأوسط، ١٩٧٢م، ص: ٤٦٣.

(٥) السيد مصطفى سالم (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٣٢٤.

الأخشاب اللازمة لأسطول البحر الأحمر، ولم نجد أحدا من الكتاب والباحثين ذكر هذه الرواية، التي أضاف إليها الباحث أن والي اليمن هو الذي أرسله في هذه المهمة.

وعلى كل فقد أبحر القائد العثماني بسفينته من ساحل الحجاز إلى ساحل شرق أفريقيا، ووصل إلى مقديشيو حيث تعرّف على مشايخها، وأخبرهم بأنه بناء على أمر سلطانه، جاء ليوطد حكمه وسلطته على جميع حكام ومشايخ سواحل مالندي، كما أخبرهم بأن أسطولا ضخما سيحضر على أثره، لتنفيذ الغرض والسيطرة على الساحل(١).

ثم رحل علي بيك ميرال – بعد ذلك – قاصدا لوزيفا، وعندما وصلها تمكن من الاستيلاء على إحدى السفن البرتغالية، التي كانت محملة بالبضائع الغالية النفيسة – كما يذكر جيان – بفضل معاونة أحد مشايخ هذا الساحل، وتمكن ربان السفينة روك دي بريتو ورجاله من الفرار قبل استيلاء علي بيك عليها ولجأوا إلى لامو.

ولما كان شيخ لامو من الموالين لعلي ميرال، فقد سلمهم إليه فأسرهم جميعا وأرسل بهم إلى إستانبول حيث لقوا حتفهم هناك.

وفي جهة باتا تمكن علي بيك كذلك من الاستيلاء على سفينة تجارية أخرى، واستحوذ عليها وأصبح لديه حينئذ دوننمة صغيرة مؤلفة من السفن التي سيطر عليها، وقد تفرّغ للتجارة عليها بالمدن الساحلية مستفزا سكانها، وحفزهم للثورة على البرتغال.

فاستطاع بذلك إشعال نار الثورة على المستعمرين بين سكان امبازا، ولامو، وممبسة، وكليفي، وبراوه، ويوجو وغيرها من المدن، كما حملهم في الوقت نفسه على الإقرار بالطاعة لسلطان العثمانيين مثلما فعل بسكان مقديشيو، وقد نجح في ذلك كله بإيهامهم أن من ورائه أسطولا كبيرا من قبل الدولة العثمانية لا يلبث أن يصل.

وقد أفاده هذا الإيهام، لأن القوة التي كانت معه لم تكن كافية لإخافة الناس، على

---

(١) نفس المرجع، ص: ٤٢٤ – ٤٢٥.

الساحل وإرهابهم، إذ كان عدد رجالها لا يتجاوز ثمانين رجلا،. كما أن سفينته الحربية كانت في حالة يرثى لها، لحدوث ثغرات في جوانبها أدت بعد ذلك إلى غرقها في مياه ساحل مصوع(١).

ويذكر أيضا أن علي ميرال قد استقبل بحماسة بالغة من ميناء إلى آخر، حيث أعلنت كل من مقديشيو وبراوة وقسمايو وفازا وبات ولامو تحويل تبعيتها من الملك المسيحي فيليب الثاني إلى السلطان المسلم مراد الثالث(٢).

كما كانت ممبسة أسبق مدن شرق أفريقية إلى ذلك، حيث طلب شيخها من القائد التركي بناء قلعة وتزويده بحاميات عثمانية.

وقد عاد علي بيك إلى الآستانة سنة ١٥٨٦م ومعه خمسون أسيرا برتغاليا ومجموعة كبيرة من الغنائم، وبدا ذلك نصرا كبيرا للعثمانيين(٣).

إلا أن سلطان مالندى أرسل بخبر القائد العثماني علي ميرال إلى القائد البرتغالي دوم دوارتي دي مينزس وتفاصيل جولته، فما كان من هذا القائد إلا أنه قد أعد في ميناء جوا أسطولا مكونا من ثماني عشرة سفينة، وعلى رأسها القائد البرتغالي مرتيم أفونسودي ميلو بومبيرو، فوصل أمام ممبسة وأحرقها، فخضعت له باقي المدن وتنصلت من تبعتيها للدولة العثمانية، بعد تأديب الأسطول البرتغالي لهم وتهديدهم، ما عدا مقديشيو التي صمدت، بفضل قوة أسوارها وبسالة رجالها، ولم تبد ممبسة أية مقاومة، لأن أهلها قد رحلوا عنها، أما شيخا لامو وبات فقد تذرعا بأن الثورة فرضت عليهما من قبل العثمانيين، ولاذ شيخ لامو بالفرار.

---

(١) جيان : وثائق تاريخية، مصدر سابق، ص: ٢٧٩، ٢٨٠

(٢) تولى السلطان مراد سلطنة الدولة العثمانية من ١٥٧٤، إلى ١٥٩٤م.
انظر : القاضي حسين بن أحمد العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وأمام، القاهرة ١٩٣٩م، ص: ٦٢

(٣) جمال زكريا قاسم (دكتور) : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، مرجع سابق، ص: ١٠٠، ١٠١.

أما فازا فقد أعمل البرتغاليون فيها صنوف الدمار، وأحرقوا المدينة بعد أن ذبحوا شيخها مع مئات مــن سكانها، كما أغرقوا جميع السفن التي كــانت راسية هناك في الميناء.

وقد استفــاد علي بيك ميرال من البيانــات التي حصل عليهــا في رحلته الأولى، ولم يمض وقت طويل حتى أعد أسطـولا صغيرا مكونا، من خمس سفن وتحرك بها من ميناء مخا في أوائل ١٥٨٩م، فوصل إلى ماليندى التي قاومته مقاومة عنيفة اضطرته للانسحاب، فاتجه إلى ممبسة ليتجهز فيها لهجوم مباغت على ماليندي.

وفي ذلك الوقــت كان مانــويل دي سوزاكــوتنهو – حــاكم الهند البرتغــالي – يعد أسطولا مكونا من عشرين قطعة حربية، تقل تسعمائة جندي تحت قيادة أخيه تومي دي سوزاكــوتنهو، الــذي أبحر إلى الشرق الأفــريقي ومــرَّ على براوة وأمبــازا ولامو ومــاليندى، حتــى وصل في ٥ مارس ١٥٨٩م إلى ممبســة حيث كــان علي بيك ميرال متحصنا بها(١).

وبينما كــان القــائد البرتغالي (تــومي) يستعــد لمهــاجمة المدينة بحــرا إذ بقبيلــة وازيمبــالا (آكلة لحوم البشر) تصل إلى ممبســة وتجعل أهل المدينة ومعهم الأتــراك العثمانيون، بقيادة علي بيك ميرال بين شقي الرحى، البرتغــاليون من البحر، وآكلوا لحوم البشر من البر (الــداخل)، وهجمت تلك القبيلــة الهمجيــة بوحشيــة على أهــالي ممبســة، ومن بها من العثمانيين بعد الاتفــاق مع البرتغاليين، وأخــذ هؤلاء يقتلــون ويذبحــون، وحاول الكثير منهم أن يرمى نفســه في البحر فكانت سهــام البرتغاليين تحصدهم حصدا.

ولم ينج من الأتراك العثمانيين سوى من وقع أسيرا في يــد البرتغاليين، وكان من

(١) جيان : وثــائق تاريخيــة، مصدر ســابق، ص: ٢٨٠، ٢٨١، وانظر : السيــد مصطفى سالم (دكتور): الفتح العثماني الأول لليمن، ص: ٤٢٤، ٤٢٥، وانظر : الشاطر بصيلي عبدالجليل: تاريخ وحضــارات السودان، ص: ٤٦٣، وانظر: جيمس دفي: الاستعمار البرتغالي في أفــريقيا ترجمة الدسوقي حسنين المراكبي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص: ٨٢.

ضمن الأسرى القائد العثماني علي بيك الذي أرسل إلى لشبونة وفيها توفي[١].

وبتبدد حملة علي ميرال هذه – على النحو السابق – يكون قد انتهى آخر نشاط بحري عثماني كبير في البحار العربية الجنوبية، وقد كان من الممكن أن يقضي العثمانيون على قوة البرتغاليين البحرية في البحار الشرقية في ذلك الوقت، إذ كانت البحرية البرتغالية تعاني ضعفا شديدا من جراء الهزيمة التي لحقت بالأرمادا سنة ١٥٨٨م[٢]، ولكن الفرصة ضاعت من أيدي العثمانيين لضعف قوتهم البحرية في ذلك الوقت أيضا، ربما لهزيمتهم في معركة ليبانتو البحرية في ١٧ أكتوبر ١٥٧١م، أمام الحلف الأوروبي في البحر المتوسط[٣].

ولم يبق أمام العثمانيين بعد ذلك إلا ميدان ضيق أمام السواحل اليمنية، كما أصبح الهدف الوحيد لهذا النشاط هو اتخاذ السواحل اليمنية قاعدة للدفاع عن سواحل البلاد المطلة على البحر الأحمر، فعملوا على منع البرتغاليين وغيرهم من الأوربيين – الذين جاؤا إلى الشرق منذ نهاية القرن السادس عشر الميلادي – من الولوج في هذا البحر، أبعد من المواني اليمنية، وبالتحديد من ميناء مخا، وتمكن العثمانيون بذلك من وضع تقليد جديد، وهو تحديد نطاق توغل السفن الأوروبية بحجة أن الحرمين الشريفين يطلان على هذا البحر.[٤]

***

(١) جيان : مصدر سابق، ص: ٢٨٢.

(٢) كان الأسطول البرتغالي مع الأسطول الإسباني في تلك المعركة التي تمت بتدمير الأسطولين السابقين على يد الأسطول الإنجليزي.

(٣) وقعت هذه المعركة بين الحلف الأوروبي المكون من البندقية وإسبانيا ومالطة وفيها تحطمت القوى البحرية العثمانية فتم غرق أو إحراق ٩٤ سفينة، ووقعت ١٣٠ سفينة أخرى في الأسر، كما خسر العثمانيون فيها أكثر من ثلاثين ألف جندي، انظر : السيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص:٤٣٨.

(٤) السيد مصطفى سالم (دكتور) : نفس المرجع السابق، ص: ٤٣٥.

الفصل الرابع
نتائج الصراع البرتغالي العثماني

الفصل الرابع

نتائج
الصراع البرتغالي العثماني

* النتائج السياسية.
* محاولة الصلح بين البرتغاليين والعثمانيين.
* النتائج الاقتصادية.
* النتائج الحضارية.
* النتائج العسكرية.
* اهتمام العثمانيين بتأمين البحر الأحمر

الفصل الرابع
نتائج الصراع البرتغالي العثماني

كان للصراع البرتغالي عدة نتائج يمكن أن نجملها فيما يلي :

أولاً : النتائج السياسية :

يستلف نظر الباحث عند دراسة النتائج السياسية، التي ترتبت على غزو البرتغال لمنطقة الشرق - بما فيه شرق أفريقيا والمحيط الهندي والخليج العربي - إبان القرن السادس عشر الميلادي، أن الأوضاع السياسية في هذه المناطق قبل وصول البرتغاليين، كانت تعاني من تفكك سياسي في أوصال المناطق العربية بسبب ضعف القوى السياسية المسيطرة عليها، وانشغالها بخلافاتها المذهبية والسياسية، مما كان عاملا رئيسيا ساعد البرتغاليين في فرض سيطرتهم على المناطق العربية والإسلامية، في وقت اشتد فيه ضغط الإسبان على مناطقها الغربية، على أثر حركة الاسترداد الشهيرة، حتى كاد يخيل للبرتغاليين أن بإمكانهم تحطيم القوى السياسية العربية والإسلامية، بسلبها مصادر قوتها الاقتصادية والتحكم في طرق تجارتها والسيطرة على مقدساتها الإسلامية.(١)

ولم يقتصر التفكك السياسي على القوى المحلية، بل تعداه إلى القوى الإسلامية الكبرى، التي انشغلت إما في تدعيم قواعد حكمها أو في صراعات قامت فيما بينها.

وكانت الفترة التي واكبت الغزو البرتغالي لمنطقة الشرق الأفريقي ومابعدها، تعد فترة تحول بالغة الأهمية بالنسبة للقوى الإسلامية، التي تصدرت لزعامة العالم الإسلامي في ذلك الوقت، لقد شهدت تلك الفترة أفول بعض القوى الإسلامية وظهور بعضها الآخر، نلاحظ أنه في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وعلى وجه التحديد في عام ١٤٩٢م سقطت آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس(٢).

---

(١) بدر الدين عباس الخصوصي (دكتور) : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، والمعاصر، الكويت١٩٧٨م، جـ١، ص: ١٤

(٢) جمال زكريا قاسم (دكتور) الاستعمار البرتغالي بين الخليج العربي وشرق أفريقيا (ندوة رأس الخيمة التاريخية ١٩٨٧م)، ص: ٢

ومنذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، أخذ العثمانيون يحـوّلون وجهتهم من الغرب، بعد ان توغلوا حتى أسوار فيينا عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، إلى جهـة الشرق على حسـاب الشعوب الإسـلاميـة، وفي نفس الفترة تأسست الـدولـة الصفوية الشيعية في فارس وأخذت في التوسع، كما بـدأ انهيار الدولة المملوكية التي كانت تسيطر على كل من مصر والشام والحجاز، وظهور الدولة المغولية في الهند[١].

وكل هـذه التحولات السريعـة في العالم الإسـلامي – والتي تزامنت مع وصـول البرتغاليين إلى الشرق – لم تـؤد إلى تكاتف الأيـدي والتكتل والتضامن لتكـوين قوة عربية إسـلامية لمواجهة الخطر الداهم من قبـل الغرب، بل على العكس من ذلك، فقد انشغلت القوى الإسـلامية والعربيـة في صراعات مذهبية فيما بينهـا، أو فيما بينها وبين القوى الأخرى المجاورة لها. فمثلا كان قيام الـدولة الصفوية في فارس على يد الشاه إسماعيل الصفوي (١٤٩٩ – ١٥٢٤م) الذي أخذ يسعى لتوطيد دعائم دولته التي اتخذت من تبريـز عاصمـة لها [٢]، أدى قيـام هذه الـدولة إلى ظهـور الصراع المذهبي بينها – كدولـة تعتبر نفسها حامية المذهب الشيعي، وبين الـدولة العثمانية التي اعتبرت نفسها حـامية المذهب السني، واستمر هذا العـداء المذهبي، حتى تفجر الموقف في معركـة جالد يران في عـام ١٥١٤م، التي أسفرت عن هزيمـة الصفويين، وتـوجـه العثمانيـون بعـدهـا إلى القضـاء على المماليك في مـرج دابق ١٥١٦م، ثم الرايدانية سنة ١٥١٧م.[٣]

كما أن الصراع الدائر بين القوى الإسلامية والهنـدوكية في الهند أنهك تلك القوى. ولقـد ترتب على هـذه الصراعـات الجانبية بين القـوى الإسـلامية، أن شغلتهـا عن مـواجهة البرتغـاليين، الذيـن أصبحوا يجوبـون المياه الهنـديـة وترسـو سفنهم في موانئهـا، فما كان من سلطنة كجرات الإسـلامية إلا أن استنجدت بـدولة المماليك في

(١) مصطفى محمد رمضان (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٦٢.
(٢) محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ١١١.
(٣) محمد فريد بك : مرجع سابق، ص: ٧٤.

مصر – رغم بعد المسافة – وفي تلك السواحل تعرض الأسطوال المصري للهزيمة من البرتغاليين في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩م [١]، وأدى ذلك إلى سيطرة البرتغاليين على تجارة الخليج والمحيط الهندي، وأسسوا مستعمرة في الهند يرأسها نائب الملك[٢].

وبعد أن استولى العثمانيون على الشام ومصر، وأبعدوا المماليك عن دائرة الصراع، وجّهوا أنظارهم إلى البحر الأحمر الذي أصبح مهددا من قبل البرتغاليين، ولكن عبور هذا البحر والوصول إلى الهند يحتاج إلى بناء أسطول بحري قوي، وعلاقات سياسية مع الدويلات التي تقع على ضفتيه، فاليمن لها موقف سابق من المماليك والعثمانيين من بعدهم، خشية تسلط هاتين القوتين والسيطرة على اليمن لإيجاد قواعد بحرية، لتمكن القوة العثمانية من مواجهة البرتغال. وهذا مالا يقبله سلاطين اليمن، فنجد هنا منحى آخر يضعف المواجهة الإسلامية ضد البرتغاليين.

وهكذا كشفت تلك التحولات السريعة التي تعرض لها العالم الإسلامي، عدم تضامن تلك القوى في مواجهة البرتغاليين، مما جعل ذلك العدو يمكّن لنفسه، ويؤسس قوة ضاربة صعب على القوى الإسلامية مواجهتها. [٣]

كما أن الصراع الذي دار بين القوى الإسلامية، كان لها أثر سلبي على الموقف العسكري والسياسي للشرق الإسلامي، حيث أصبحت السياسة التي انتهجتها هذه الدول سياسة لم يراع فيها مدى خطورة القوة القادمة من الغرب، والتي لاقت كل عون ومباركة من جميع القوى الأوروبية، وعلى رأسها الكنيسة التي جعلت جلّ اهتمامها الكشف الجغرافي والوصول إلى بلاد برستر جون الملك المسيحي في الشرق، لوضع حد للقوى الإسلامية المتنامية في الشرق، والتي كان لها دور كبير في طرد

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ٤، ص: ١٨٥.

(٢) مديحة أحمد درويش، (دكتورة) : سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جدة ١٩٨٢، ص: ٢٧.

(٣) شوقي الجمل (دكتور) : ندوة رأس الخيمة التاريخية، مرجع سابق، ص: ٢٨.

الصليبيين من المشرق العـربي، لقـد عقد الغـرب الأوروبي العـزم على التخلص من العرب، وطردهم من شبة الجزيرة الأيبرية وتعقبهم في ديارهم، ومحاولة الوصول إلى بلـد التـوابل، وقفل الطـريـق على التجـارة العـربيـة والإسـلاميـة وجعلهـا تحت سيطرتهم[1].

هذه السيـاسة التي اتبعهـا الغرب ونفذتها البرتغـال بكل دقة، نتج عنهـا انهيار سياسي لكـل القوى المحلية المسيطـرة على سواحـل البحر الأحمر وموانئـه، وبشكل خاص المماليك والطاهريين [2]

ويتضح من السياســة التي انتهجتها البرتغـال في علاقاتها بـالمستعمرات، التي أصبحت تحت سيطـرتها، ومـانتج عن هـذه السيـاسات من تـدهـور في الأحـوال السياسيـة والاقتصاديـة للقوى الإسلاميـة والعربية، في المنـاطق التي وقعت تحت السيطرة البرتغـالية، وكذلك المناطق الأخـرى التي تضررت من جراء هذه السيـاسة التي اتبعتها البرتغـال، بينما نرى – بعـد تولي القائد البرتغـالي ديوجـو لوبيس دي سكويرا (DIOGE LOPES SGUEIRA) الذي حكم الهند بعد وفاة البوكيرك عام ١٥١٥م، عنـد عودته من هـرمز إلى كوة في الهنـد – يذكر أن سكـويرا عمل على تطويـر سياسية البرتغال، وتـوسيعها في المحيط الهندي، وسمح للسفن البرتغـالية التجارية بالمتاجرة مع بلدان شرق أفريقيا والهند، وضمن لها الأمن والحماية مما زاد من عددها في المياه الهنديـة، الأمر الذي جعلها تتمادى في أعمالها التي لم تقتصر على التجارة فحسب، بل تجاوزت حـدها إلى أعمال القرصنة، في عـرض البحر، فمارست النهب للسفن غير البرتغالية، كما أغارت على الشواطىء [3].

---

(١): Germa Beshah and others
The question of the union of the churches in Luso Ethiopian Relations (1500 - 1632) Lispon - 1964, p. 18.

(٢) مديحة أحمد درويش (دكتورة) : مرجع سابق، ص: ٢٤

(٣) بشير أحمد كاظم : التهـديد البرتغـالي لتجارة البحر الأحمر، نـدوة رأس الخيمة التـاريخية ١٩٨٧م، ص: ١١، ١٢.

وقد أثرت هذه السياسة سلبا على سير الحياة السياسية والاجتماعية للدويلات التي كانت سيدة لهذه البحار.

وبعد ازدياد نشاط البرتغاليين البحري، وامتداد سيطرتهم على معظم موانىء البحر الأحمر والخليج العربي وغرب الهند، عمدوا إلى اتباع سياسة استعمارية جديدة تتلاءم وإمكاناتهم البشرية (١)، وعلى هذا النمط بنوا سياستهم الاستعمارية، وجعلوها تعتمد على عدة أسس نذكر منها مايلي :

اولاً : السيطرة على الطريقين الرئيسيين للتجارة الشرقية، بعد غلق منفذيهما المؤديين للبحار العربية والمتصلين بمياه المحيط الهندي، وقطع الطريق على التجار والملاحين العرب والمسلمين، والقضاء على السفن الإسلامية في المحيط الهندي، وطرد هؤلاء التجار من المراكز التجارية الهندية والأفريقية، وحظر مزاولة التجارة في المحيط الهندي لغير البرتغاليين.

ثانيا : وضع أيديهم على المحطات التجارية في الساحل الغربي للهند، مثل مدينة (جوا GOA) ومدينة (ديو DUO) * وكجرات وغيرها من الموانىء الرئيسية الهامة، التي كانت تعج بالتجار والعرب والمسلمين، الذين غدوا لايستطيعون الاقتراب منها إلا بإذن مسبق من الحاكم البرتغالي (٢).

وقاموا ببناء قلاع وحصون في هذه الموانىء، لحماية الأسطوال البرتغالي أثناء تحركاته في المحيط الهندي، لفرض سياسة الاحتكار بالقوة، وعدم السماح للسفن الإسلامية بممارسة أي نشاط ملاحي أو تجاري في هذه المنطقة أو غيرها من المناطق

---

(١) كانت البرتغال لا تمتلك أعداداً بشرية كبيرة تسمح بانتشارها وتمكينها من المناطق التي احتلتها، وتوطينهم على شكل مستوطنات بعيدة عن البلد الأم، حيث أن تعداد سكان البرتغال في القرن السادس عشر الميلادي لم يتجاوز المليون نسمة.

انظر : عبدالعزيز الشناوي (دكتور) معالم الوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية، لجنة تدويل قطر، ١٩٧٦م، جـ٢، ص: ٦٢٥.

(٢) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة ١٩٣٨م، ص: ٤٤.

*انظر منظر عام لديو بالهند، (ملحق رقم ٢٠) ص: ٢٨٢.

التي سيطروا عليها، وأخذت سفنهم تجوب المحيط الهندي والبحار العربية، فما قابلت سفينة عربية وإلا نهبتها وقتلت من فيها، وتغير على الشواطىء العربية حيث تنهبها وتقتل سكانها وتحرقها ثم تولى الأدبار [١].

وغدت الأطماع البرتغالية أشد ضرواة، وقد عبّر البرتغاليون عن وحشيتهم وشراستهم باستخدام أشد أنواع الإرهاب والقسوة في معاملاتهم مع الموانىء والسفن العربية التي كانوان يعثرون عليها.

ومن وحشية البرتغاليين ماأشارت إليه وثائقهم التي أوردها جوادي بروس، والتي عبرّ فيها عن أحقادهم الصليبية، معترفا بأعمالهم الوحشية حيث قال: «عندما غزا الكفار – خاصة العرب منهم – وكانوا قد تركوا بلادهم الواقعة في الشرق، ووفدوا إلى بلادنا في الغرب.. ثم قضت إرادته أن يمارس البرتغاليون حقهم الطبيعي هذا، بعد انقضاء قرون عدة وبالطريقة ذاتها بحد السيف.. ليس في الجزيرة العربية الجدباء، حيث دمروا مدنها وخطفوا نساءها وأطفالها، واستولوا على الثروات والأوطان فيها، فقط، ولكنهم غزوا الفرس، وقد دفع الفرس ثمن إهانتهم لإسبانيا لأنهم اعتنقوا ديانة أولئك العرب المتخلفين» [٢].

وهناك وثائق عديدة مثل الرسائل التي يرسلها سلاطين الدويلات الإسلامية، التي رضخت لحكم البرتغاليين، ويذكرون فيها أفعال قوادهم مع التجار المسلمين، بل ومع نفس السلاطين مثل رسالة السلطان محمد شاه سلطان هرمز الذي أرسلها إلى الملك دون جوان ملك البرتغال (D. Joao 111.)، يشرح فيها معاملة القبطان ديوكو دميلو (CAPITAO MOR DIOGODE MELLO)، عندما أتى إليه وطلب المبالغ المقرر دفعها، وفي ذلك العام قل دخل هرمز وأجبره على دفع المبلغ، وإلا سوف يلقي به في السجن، وفعلا يشير من خلال رسالته للملك إلى أنه وضع في

(١) محمود السمرة : الصراع بين العرب والبرتغاليين في شرق أفريقيا، مجلة العربي الكويت، العدد ٥٩، ١٩٦٣م، ص: ١٣٢.

(٢) جوادي بروس : الوثائق البرتغالية، العشارية الثانية، القسم الأول، ص:١.

السـجن لمـدة عـام [١]

ورسالة أخرى من حاكم كلـوة الحاج حسن بن محمد راكان للملك دون مانويل (D. MANOEL) مؤرخـة في ١٧ يوليـو ١٥١١م يذكـر سوء معـاملة القبطـان برنردو فريري (BERNAR DO FREIRE)، وأنه طلب منـه ألف مثقال من الذهب، رشوة حتى يبقيه في الحكم[٢].

كما أننا نجـد هذه السيـاسة التعسفية التي اتبعهـا القادة البرتغـاليون في إدارة شئون هـذه المناطق، التي تم الاستيلاء عليها بـالقوة، في حين كانت سياسـة القوى الإسلامية والعربية من الضعف، بحيث أنها لم تستطع الوقوف كما يجب لردع هذه القوة البحرية الآخذة في التوسع والانتشار.

ولنعـد إلى شرق أفريقيـا لنرى كيف استطـاعت السياسـة البرتغاليـة أن تحقق أهدافهـا، في إنشاء علاقات واتفـاقيات مع ملوك الحبشة وشيخ مـاليندي [٣]. الذي أفسح لهم الطريق، واستغلـوا العداء المستحكم بين مـاليندي وممبسـة للسيادة على الساحل الأفـريقي، مما ترتب عليـه انهيار قـوة كل من الطرفين، وهذا بـدوره خدم البرتغاليين في فـرض سيطرتهم على السـاحل الشرقي لأفريقيا، فقـد سقطت كل من لامو وبراوة وجزيرة سوقطـرة وموزمبيق في عام ١٥٠٦، و١٥٠٧م على يد القائدين البـرتـغـاليـين البـوكيرك (AL BUQUERQUE) ودوارت داميلـو (DUARTE DE MELLO)[٤].

---

(١) انظـر : رسالـة السلطان محمد شاه سلطـان هرمز للملك دون جوان الثـالث، عام ١٥١٧م، ضمن الوثائق العربية بالأرشيف البرتغالي، لشبونة.

(٢) FR. JOAO DE SOUSA : DOCUMENTOS ARABICOS - LISBOA 1790. P. 44 - 478

(٣) يمكن استنتاج هـذا الولاء لملك البرتغـال من قبل سلطان ماليـندي (ملندة) في رسـالته التي يستعطفه فيها، ويقدم له كل الولاء والطاعة نظير إعطائه مبلغا من المال الذي حصلوا عليه من الـديبة (سرنـديب)، والرسـالة ضمن الـوثائق المحفـوظة في أرشيف (تـوري دي تومبـو - لشبونة): N. T. T. NO 120 (TORRE DI TOMBO ARCHIVE IN LISBON).

(٤) شوقي الجمل (دكتور) : ندوة رأس الخيمة التاريخية، ص: ٢٨.

ونتج عن هذا الغزو المسلح بأسلحة متطورة وسفن كبيرة (*) أعدت إعداداً جيدا لغزو البحار العربية والإسلامية، انهيار كامل لسياسة القوى العربية والإسلامية، مقابل السياسات التي انتهجها المستعمر الذي لم يسبق للمنطقة أن عرفت مثله، في وحشيته وعدائه لأهالي هذه المنطقة من العالم الإسلامي، والدور الذي لعبته البرتغال، من استغلال الظروف السيئة التي كانت تعيشها القوى الإسلامية المتطلعة إلى توسيع رقعتها على حساب جيرانها الضعفاء، مثل الدولة العثمانية، وتوسعها شرقا، والدولة الصفوية وتوسعها شمالا وغربا على حساب العراق والشام.

وقد قام البرتغاليون في عام ١٥٢٢م بوضع سياسة، تتركز على جعل الموظفين البرتغاليين هم المسئولين عن الجمارك، وعلى أثر هذه السياسة، وقع تمرد بالبحرين وقريات وصحار، وهوجمت هذه الأماكن، بناء على أوامر صدرت من ملك هرمز، وكان أمله التخلص من سيطرة البرتغاليين، وكذلك قامت في عام ١٥٢٦م ثورات أخرى في قلهات ومسقط[١]. إلا أن البرتغال تمكنت من إخماد هذه الثورات - ولو مؤقتا - حيث استعادوا سيطرتهم على البحرين عام ١٥٢٩م.[٢]

وكانت هناك محاولات عثمانية بين عامي ١٥٥٠م و ١٥٨٠م للتصدي للنفوذ البرتغالي في الخليج، لكنها لم تتمكن من ذلك، ونتج عنها أن القوى المحلية السياسية أخذت تتعاظم في كل من شرق أفريقيا والخليج، حتى تمكنوا من تغيير الوضع السياسي بالمنطقة إلى صالحهم بعض الشيء، وظهور قوى سياسية جديدة مثل قوة اليعاربة في عمان، بالتعاون مع القوى السياسية والقبائل العربية لتحرير شواطئها من الاستعمار البرتغالي، مستفيدين من الظروف الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها الإمبراطورية البرتغالية، مما جعلهم يقفون منها موقف التحدي، ويشكلون عاملا رئيسياً من عوامل انهيارها سياسيا وتجاريا في الشرق [٣].

* انظر سفينة حربية في أرشيف (توري دي تومبو - لشبونة).

(١) ويلسون : مرجع سابق، ص: ٢١٨

(٢) عائشة السيار (دكتورة) : مرجع سابق، ص: ٢٨

(٣) جمال زكريا (دكتور) : ندوة رأس الخيمة التاريخية، ص: ١٦

وتأتي محاولات الصلح بين البرتغاليين والعثمانيين، نتيجة لفشل الصراع الدائر بينهما في الشرق الأفريقي والمحيط والخليج، لمدافعة كل منهما لـلآخر عن منـاطق النفوذ ذات الأهمية الاستراتيجية في هذه المناطق، وهذه المحاولات هي :

محاولات الصلح بين البرتغاليين والعثمانيين :

كانت مشقة الصراع البرتغالي العثماني، للسيطرة على تجارة الشرق جعلت كلاً من الطرفين، يميل إلى إيجاد مخرج من هذا الصراع الذي تمثل في محاولات لعقد اتفاقية تجارية وسياسية بينهما.

وقد كان لملك البرتغال السبق في ذلك، ووجد بعض الاستجابة من الإدارة العثمانية في استانبول، فقد اقتنع العاهلان البرتغالي والعثماني بعدم جدوى المعارك الحربية، التي كان فيها المنتصر خاسرا، وكذلك المنهزم أشد خسرانا، وقد تشابهت كثيرمن المعارك في نتائجها.

فعلى الرغم من استعدادات العثمانيين الباهظة، وقطعهم المسافات الطويلة من السويس إلى ديو بالهند بأسطول ضخم، إلا أنه لم يحقق النتائج المرجوة سوى تهديد بعض السواحل، وأسر بعض الجنود أو بعض السفن من الجانب المعادي.

وعلى نفس الوتيرة كانت حملة السويس البرتغالية، التي اكتملت فيها الاستعدادات العسكرية ومئات الأميال التي قطعتها من الهند إلى السويس، ثم عادت دون تحقيق نتائج مرجوة اللهم إلا تهديد بعض السواحل.

هذا بالإضافة إلى وقوع بعض الأحداث السياسية والعسكرية الأخرى، التي دفعت الدولتين إلى التفكير في حل مشاكلهما عن طريق الصلح والمصالح المشتركة بينهما.

ويؤكد بعض الباحثين[1] على أن عروض الصلح قد جاءت أولاً من طرف ملك

(١) Stripling, G. W. F.: The Ottoman Turks and the Arabs - 1511 - 1574 U. S. A. Urpana - 1942 - p. 93.

انظر : عبدالعزيز الشناوي (دكتور) المراحل الأولى، مرجع سابق، ص: ٦٨٢

البرتغال، بعد إدراكه جيدا مدى قوة العثمانيين التي أخذت في التزايد، ولأنه فضّل عدم الاستمرار في إثارة الدولة العثمانية، كما حدث عندما هاجم ستافودا جاما السويس.

إلا أن وقائع الأحداث تبين اتجاه البلدين نحو رغبة واحدة، هي معالجة المشكلات عن طريق الصلح.

فقد كانت البداية عندما أمر السلطان العثماني سليمان القانوني شخصاً نصرانيا، كان يقوم بإستانبول منذ فترة طويلة يدعى كوتنهو COTANHO بتقصي الأخبار والمعلومات السرية عن الإدارة البرتغالية في الهند ونشاطاتها هناك.

وكوتنهو هذا كان – على مايبدو – جاسوسا مزدوجا – أي عمل لحساب الطرفين، على الرغم من أنه بندقي وكان يعمل سفيرا غير مكلف بإستانبول، فعندما بعثه السلطان سليمان، توجه أولاً إلى هرمز، وهناك أبت عليه نصرانيته إلا أن يفصح لإخوانه في الدين – البرتغاليين – عن القصد من مهمته، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك فقد أرسل – بمساعدة حاكم هرمز يخبر حاكم جوا (نائب الملك) بمهمته الحقيقية، ويقدم شتى النصائح إلى السلطات البرتغالية، عن مدى استعداد العثمانيين وقوتهم البحرية، وعدد سفنهم في السويس وغير ذلك.

وأرسل حاكم جوا على الفور إلى الملك البرتغالي في لشبونة، يخبره بما سمع من كوتنهو، وقد أقلقت هذه المعلومات التي تخص استعدادات العثمانيين ملك البرتغال فتهيأ على مايبدو للتفاوض صلحا.

وعلى كل فقد دارت المفاوضات بين الطرفين بصورة أو بأخرى، كان رسولها في البداية كوتنهو هذا، وانحصرت مطالب السلطان العثماني فيما يأتي:

١ – طلب كمية من الفلفل تحتاجها الدولة العثمانية تقدر بـ ٢٥٠,٠٠٠ كجم من الفلفل الأسود، مقابل تأمين حصول البرتغاليين على ٣٨٠٠ طن من الحبوب.

٢ – عقد صلح بينهما في المحيط الهندي لمدة مابين ٥ إلى ١٥ سنة[١].

بينما اشتملت مطالب ملك البرتغال على ما يلي :

١ – إن بإمكانه إعطاء العثمانيين ٢٥٠٠ أو ٣٥٠٠ قنطار من الفلفل الأسود على أن يتم تسليمه في ميناء البصرة، في مقابل تسليم ١٠,٠٠٠ قنطار من الحنطة في ميناء السويس أو سلانيك أو بلاد الحبشة.[٢]

٢ – أن يتم إبرام الصلح لمدة خمسة عشر عاما على الأقل.

٣ – عدم تواجد قوات الطرفين بكثرة في عدن.

٤ – حرية الملاحة في البحر الأحمر، وحرية التجارة في جدة.

٥ – عدم إنشاء أساطيل عثمانية في المحيط الهندي مدة استمرار الصلح.

ويذكر أن كوتنهو بقى في إستانبول حتى ٢ من يوليو (تموز) ١٥٤٠م، ثم سافر إلى القاهرة، حيث نقل إلى الملك البرتغالي مابها من استعدادات للعثمانيين، مخبرا إياه بوجود ست وأربعين سفينة في السويس بعضها غير صالح للإبحار.

وفي رسالة من السلطان العثماني سليمان القانوني أرسلت في ٣١ من يناير (كانون الثاني) ١٥٤١م، ظهرت شروط أخرى له حيث طلب فيها ٤٠٠٠ قنطار من الفلفل، تسلم إلى السفن العائدة للدولة العثمانية في كلكتا، على أن لايكون القمح مقايضة بالفلفل، إنما يكون بموجب شروط البيع المعقودة مع فرنسا والبندقية، كما طالب السلطان في رسالته بعدم تجاوز الخطوط التجارية لمدينة شهر وعدن وزيلع من قبل الطرفين، والاعتراف بالحدود الدولية والإقليمية، وتأمين سير السفن التجارية في البحر.

والواقع أن الدولة العثمانية كانت بحاجة ماسة إلى البهارات، كما كان

---

(١) صالح أوزبران : الدولة العثمانية وطريق الهند، مرجع سابق، ص: ١٠٥، ١٠٦

(٢) يذكر المرجع الذي بين أيدينا أن يتم التسليم في NEGRA PONTE، وهي تعني مناطق الزنوج حرفيا، إلا أنه شاع استخدامها على بلاد الحبشة.

البرتغاليون بحاجة كذلك إلى الحبوب، وكلاهما أحوج لتبادل المنافع في جو يسوده الود والتعاون في أية صورة.

ويبدو أن الرسل قد أخذوا يتنقلون بين العاصمتين البرتغالية والعثمانية من أجل هذا الغرض.

فقد ظهر رسول آخر بين الطرفين يدعى ديجو دي ميسكوت DIOGO DE MESQUITE بعد كوتنهو، عندما أرسل الملك البرتغالي بتاريخ ٦ من كانون الأول (ديسمبر) ١٥٤١م مطالبا السلطان بكمية من القمح تبلغ من ٨,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ MOIO [١] في مقابل خمسة آلاف قنطار من الفلفل.

وفي الوقت الذي كان فيه السفير ميسكوت قد وصل إلى إستانبول، كان البرتغاليون في المحيط الهندي يتظاهرون بالالتزام باتفاقيات الصلح المزمع إبرامها مع الدولة العثمانية، وأنهم لن يقوموا في المستقبل بعمل ينافي هذه الاتفاقيات.

وفي رسالة أخرى بعث بها السلطان العثماني في سنة ٩٥١ هـ / ١٥٤٤م أصر فيها على شرطين أساسيين[٢] هما : إرسال كمية الفلفل المطلوبة، والالتزام بعدم تواجد سفن لوزيتانيا LUZITSNYA في سواحل مدينة شحر وعدن وزبيد وجدة وسواكن وسواحل الحبشة كذلك. وكانت هذه الرسالة بيد رسول برتغالي آخر يدعى إدواردو كاتينو[٣] ODOARD CATANEO، مما يدلنا على تعدد السفارات بين البرتغاليين والعثمانيين في سبيل التبادل التجاري، وإبرام معاهدة صلح بين الطرفين.

ومن ذلك ما حدث من تقارب ودي بين الدولتين، بعد أن فتح العثمانيون البصرة منطلقين من أهمية التجارة عبر الخليج العربي.

---

(١) يعتقد أن لفظة MOIO يقصد بها الإردب.

(٢) انظر : رسالة السلطان العثماني سليمان القانوني إلى ملك البرتغال JOAO ملحق رقم (٣٦) ص: ٣٤٦ - ٣٤٧

(٣) صالح أوزبران : الدولة العثمانية وطريق الهند، مرجع سابق، ص: ١٠٧، ١٠٨.

فقد تم إيفاد التاجـر العربي حاج فياض HAJI FAYAT، حاملا رسالة إلى الحاكم البرتغـالي في هـرمــز مــانـوئيل دي ليما MANUEL DE LIME، وأوضحت الرسالة نوايا السلطات العثمانية في العراق.

وعلى الفور كتب دي ليما تقـريرا إلى حـاكم الهند (نـائب الملك) يخبره بأن إياس باشا الموظف التركي الرئيسي [١] في العراق، مصمم على جعل البصرة مرتعا أو مركزا للتجار. [٢]

ولايـدري الباحث أكـان هـذا تحذيراً مـن السلطان العثمانيـة ومهـادنة للقـوى البرتغاليـة في المنطقة، أم هي رغبة جـادة في جعل البصرة ميناء حـرا للتجارة، إلا أن الـواضح أن هـذه الجهـود جميعها، لم تسفـر عن نتـائج حسنـة في سبيل تحسين العلاقات بين البرتغاليين والعثمانيين، بل مالبث الصدام أن وقع بينهما.

ويرى أحد الباحثين [٣] أن المفاوضـــات بين الجانبين قد أخفقت، ويعلل ذلك بأن الـدولة العثمانيـة فضّلت سلامــة ممتلكاتها في منـاطق البحر الأحمر على المكـاسب المادية، ويضيف قـوله: «وكان العثمانيون لايطمئنـون إلى البرتغاليين ويعتقدون أن هؤلاء الغزاة المسيحيين لايؤمن لهم جانب».

والواقع أن هـذا التعليل – كما يبدو – بعيـد تماما عن تلك التكهنـات، فماذا كان يضير هذه الممتلكات عنـد حدوث التبادل التجاري؟ الفلفل بالقمح مثـلا، وماذا كان يضيرها عندما عقدت معاهدة صلح تستمر خمسة عشر عاما أو مايقاربها؟.

إنما الـواضح ومن خـلال الـرسالـة التي رد فيهـا السلطـان العثماني على ملك البرتغال، أن السبب في إخفاق وفشل المفاوضـــات هو عدم اتفاق الطرفين على شروط الصلح، وكثيرا مـاقامت المفـاوضـــات وتمت المعاهـدات بين المسلمين والمسيحيين في مختلف العصور والعهود دون حدوث ماأشار إليه الباحث.

---

(١) يقصد في ذلك بيلر بك البصرة.
(٢) صالح أوزبران : الأتراك العثمانيون والبرتغاليون، مرجع سابق، ص: ٣٢، ٣٣
(٣) عبدالعزيز الشناوي (دكتور): المراحل الأولى، مرجع سابق، ص: ٦٨٢

ومما يؤكد حرص العثمانيين في ذلك الوقت على الصلح وجديتهم فيه تلك الرسالة التي أرسل بها نورونها D. ALVORADE NORONHA، حاكم هرمز إلى سيده ملك البرتغال يحدثه فيها عن خطورة الوضع في منطقة الخليج، وضرورة السعي وراء السلام مع العثمانيين الذين تمكنوا من السيطرة على طرق التجارة على طول خليج البصرة - كما يذكر - وما يهمنا في رسالة نورونها هو ماذكره من أن العثمانيين قد أرسلوا رسائل كثيرة يطلبون فيها فتح الطرق التجارية ويعطون جميع الضمانات لذلك (١).

وإذا كان هذا هو ماحدث في بداية الأربعينات من القرن السادس عشر، فإنه قد حدثت محاولات أخرى في أوائل العقد السادس من القرن نفسه، حيث يذكر كاتنهو(٢): أن السفير العثماني قد ذهب إلى جوا GOA لعقد صلح مع البرتغاليين لمدة ٧ سنوات.

وفي سنة ١٥٦٢م كان هناك سفير برتغالي آخر في إستانبول، مما يشير بدوره إلى أن الدولتين قد سئمتا الحرب وظهرت لديهما نوايا جديدة لرأب الصدع بينهما، وتعويض الخسائر التي منيا بها طوال سنوات عديدة، مما شكّل عبئا على خزانة كل منهما، وأدى في النهاية إلى تكالب الدول الأخرى الفتية عليهما.

ثانيا : النتائج الاقتصادية :

مما لاشك فيه أن شرق أفريقيا والشرق العربي، كان ومازال محط أنظار الغرب، لما له من أهمية استراتيجية واقتصادية وسياسية، فكان العرب والمسلمون يسيطرون على المحيط الهندي ومداخل الخليج العربي والشرق الأفريقي، وهذه السيطرة تعني السيطرة على مقدرات التجارة القادمة من الشرق الأقصى مثل الصين والهند وملقا.

---

(١) صالح أوزبران : الدول العثمانية وطريق الهند، مرجع سابق، ص: ١٢٣

(٢) نقلا عن : صالح أوزبران : نفس المرجع السابق، ص: ١٤٠.

وكان وصول البرتغاليين إلى الشرق الأفريقي، إيذانا بمرحلة تاريخية جديدة لا في المحيط الهندي فحسب، بل في الأقطار البحرية في أوروبا، كما كان نجاح البرتغاليين خاتمة لعدة محاولات قام بها المستكشفون للبحث عن طريق شرقي البحر المتوسط، الذي بدأ الخطر يتهدده بسبب تعاظم النفوذ العثماني [١].

وكان لوصول البرتغال إلى الشرق بعد اجتياز رأس الرجاء الصالح، أثر كبير على الحياة الاقتصادية السائدة في المنطقة حيث أن التواجد في المياه الشرقية وما صاحبه من نفوذ بحري ونفوذ تجاري [٢]. وبداية عصر جديد، قدّر فيه لمسلمي وعرب الشرق الأفريقي وعرب الخليج العربي ومصر والشام والفرس أن يفقدوا السيطرة على تجارة الشرق وفقدت طرق التجارة في البحر الأحمر والخليج العربي أهميتها في وجه الطريق الجديد، الذي يربط الهند بالمواني الأوروبية مباشرة، وحول تجارة السفن في المحيط الهندي إلى تجارة داخلية، وتناقص معدل التجارة المارة من هرمز والموانىء العمانية.

أما عرب شرق أفريقيا فقد كان اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح ضربة لهم، أدت إلى تدهورهم وأفول نجمهم، ومطامع البرتغاليين في الأصل تجارية، وتحولت إلى استعمارية مما أثّر تأثيرا بالغا على الحياة الاقتصادية في كل بلدان الشرق.

وعند وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي كان همهم اقتلاع النفوذ العربي والإسلامي من المنطقة بأكملها، والتحالف مع الحكام المحليين لتنفيذ مخططاتهم العدوانية [٣].

ونرى من ذلك أن الحملة البرتغالية الأولى قد عادت إلى البرتغال، وحملت معها عينات من السلع الآسيوية، كما نقلت إلى الملك عما نويل أن سكان الملبار من

(١) انظر : وزارة الإعلام والثقافة: عمان تاريخها البحري، عمان ١٩٧٩م، ص: ٥٨.
(٢) بشير أحمد كاظم: مرجع سابق، ص: ١٤.
(٣) الشاطر بصيلي عبدالجليل : مرجع سابق، ص: ٤٤٣

المسيحيين على مذهب هرطقي، وعلى ضوء هذه المعلومات الخاصة بالعقيدة أراد الملك أن يجتذب إليه ملوك الهند الساموري للعمل ضد المسلمين *.

وأخذ ملك البرتغال يصدر الأوامر بإقامة محطات تجارية، ووكالة أعمال في كاليكوت، وإنشاء الحصون في كل من كلوه وانجديقا. [١]

وتحولت التجارة بذلك إلى رأس الرجاء الصالح، فأدى هذا إلى ازدهار الموانىء البرتغالية، مما جعلها تحاكي موانىء مصر والشام والبندقية، قبل الغزو البرتغالي.

وكان من أهم النتائج التي حققتها الحملات البرتغالية، أنها قد تمكنت من فرض هيمنتها على تجارة الشرق التي كانت تهدف إلى الوصول إليها، كما أن هذه الحملات الكشفية وجهت أنظار باقي دول أوروبا إلى القارة الأفريقية خاصة، لما تتميز به هذه القارة من خيرات بشرية واقتصادية، كما وجهت أنظارهم إلى القارة الآسيوية بصفة عامة، ففي الوقت الذي كانت فيه البرتغال تواصل رحلاتها حول أفريقيا، كانت إسبانيا قد اكتشفت العالم الجديد، وفتحت بذلك مجالا جديدا للارتياد والاستغلال والاستثمار، وذلك لما تتميز به أمريكا من خصوبة التربة ووفرة المواد الخام الاقتصادية، وقلة الأيدي العاملة، عندما لجأ الأوربيون إلى استغلال أبناء أفريقيا في زراعة الأرض، فنشأت نتيجة لذلك تجارة جديدة بالنسبة لأوروبا وتجارها، هي تجارة الرقيق التي حققت نتائج اقتصادية باهرة، وحققت نتائج سلبية سيئة لقارة أفريقيا [٢]

إذن يمكن القول بأن الكشوف الجغرافية البرتغالية والإسبانية، قد حققت هدفين متكاملين أولهما: يتمثل في اكتشاف البرتغاليين لسواحل أفريقيا الغربية، والتي ساهم أبناؤها في تقدم العالم الجديد اقتصاديا. ويتمثل ثانيهما في اكتشاف إسبانيا

---

* انظر خطاب ملك كوشين بالهند لملك البرتغال في عام ١٥١٢م، وهو يخبره عن اعتناق والديه الدين المسيحي وأنه قد جهز له الفلفل (انظر الملحق رقم ٢٩)، ص: ٣٠٥ - ٣١٢.

(١) انجديقا : جزيرة على ساحل الهند الغربي، نفس المرجع السابق، ص: ٤٤٥

(٢) زينب عصمت راشد (دكتورة) المختصر في تاريخ أوروبا الحديث، القاهرة ١٩٧٥م، ص: ٥١ - ٥٤.

للعالم الجديد الذين ساهم في فتح مجالات جديدة أمام دول أوربا [١].

وكانت هذه الحملات البداية الحقيقية لعصر المستعمرات وبناء الإمبراطوريات والسيطرة والاستغلال، الذي استمر زهاء خمسة قرون تقريبا، ولم تقتصر النتائج على هذا الحد، بل كان منها الرواج الاقتصادي الذي ساد دول أوروبا الغربية، والتي تمكنت من فتح أسواق جديدة في البلاد التي سيطرت عليها، وذلك لتوزيع الفائض من منتجاتها الصناعية في هذه المستعمرات، وعاد ذلك كله بالنفع على المجتمعات الأوروبية [٢]

إلا أن البرتغاليين رغم كل مابذلوه من جهود، لم يستطيعوا قطع الطرق التجارية، التي تربط الهند وأندونيسيا بالشرق الأدنى عبر الخليج العربي والبحر الأحمر، وقد استمرت الولايات العثمانية تتسلم التوابل بصورة مباشرة من الهند وأندونيسيا، أثناء القرن السادس عشر الميلادي، رغم وجود نقص في كمية التوابل في بعض الأوقات، وهذا يدل على أن يد البرتغاليين لم تتمكن من أن تمنع القوى بالمنطقة، من الاستمرار في التجارة، نظرا لاتساع الإمبراطورية الممتدة من لشبونة في أقصى جنوب أوروبا وحتى جزيرة سيلان [٣]. ولم تنقطع عمليات تبادل البضائع الهندية مع التجار الأوروبين في أسواق حلب والقاهرة والقسطنطينية، وبورصة [٤].

ففي عام ١٥٥٤م – على سبيل المثال – اشترى البندقيون – وحدهم – ستة آلاف قنطار [٥] من التوابل في الإسكندرية، ومشتريات البندقين السنوية البالغة ١٢ ألف

---

(١) جوزفين كام : المستكشفون في أفريقيا، ترجمة د. السيد يوسف نصر، القاهرة ١٩٨٣م، ص: ٤٩، ٥٠

(٢) د. محمد فؤاد شكري وآخر : مرجع سابق، ص: ٥٦ – ٥٧.

(٣) تقع سيلان في الجنوب الشرقي للهند وهي تقع على الطريق البحري القادم من الشرق الاقصى إلى الهند، وفي زمن البوكيرك قام رجل من مسلمي هرمز يدعى بابا عبدالله بالوساطة بين سلطان سيلان (التي كانت تسمي الدبية حسبما ورد في الوثيقة) ومنع البوكيرك من مهاجمتها وخصص له نصف محصول البلاد السنوي ووعده البوكيرك بأنه سوف ينصبه وزيرا بعد ذلك. (وثيقة غير منشورة تقع في ثلاث ورقات، من الأرشيف البرتغالي) ملحق (٣٢) ص: ٣٣٢ – ٣٣٧.

(٤) عبدالوهاب القيسي (دكتور) : مرجع سابق، ص: ٥٠

(٥) قنطار = ١٠٠ كجم، انظر عبدالوهاب القيسي، مرجع سابق، ص: ٥٠

قنطار عـام ١٥٦٠ و١٥٦٤م هي نفس الكمية التـي كانوا يشترونها قبـل اكتشاف فاسكو دي جاما للطريق البحري الجديد المؤدي إلى الهند [١].

وفي نفس الـوقت كانت تصل إلى ميناء جدة في كل سنـة، حوالي عشرين سفينـة محملة بالبضائع الهندية، لذلك كان الحجاج العثمانيون العائدون من مكة يحملون معهم - أثناء عـودتهم إلى بلدانهم - التوابل والأصبـاغ والأنسجة الهنديـة، وفي عام ١٥٦٢م ارتفعت قيمة الضرائب الجمركيـة في دمشق على التوابل التي جلبت من قبل قوافل الحجـاج إلى ١١٠ آلاف دوكات ذهبي [٢]، واستمر وصول البضائع الشرقية إلى الخليج العربي في نفس هذه الفترة.

ويذكر أحد الرحالة الإنجليز، الذي زار البصرة عام ١٥٨٣م مايلي «تصل شـهريا إلى ميناء البصرة سفن مختلفة من هـرمز، محملـة بجميع أنواع البضـائع الهنديـة كالتوابل والأدوية وصبغة النيلة والمنسوجات» [٣]

ومما يؤكد ذلك رسالة من الحكـومة البرتغالية إلى الكونت فيد جيورا COUNT OF VIDIGUEIRA لشبونة مـؤرخة في ٥ أبريل ١٥٩٨م، وتفيد الـرسالة أن حكومة البرتغال اتصلت بنائب الملك في الهند، وأبلغته بأنه تم اتخاذ قرارات بواسطة الملك في توقيع العقـاب على الذين يأخـذون الفلفل إلى هرمز ومسقط ومكـة وفارس، ويطالب بـوضع جيش في مضيق هرمـز لتفتيش سفن المسافـرين إلى تلك الحصـون وإلى «مضيق مكة»، ويعني بـه باب المندب مـدخل البحر الأحمر [٤]. وهذا يعني أن

---

(١) عبدالوهاب القيسي (دكتور) نفس المرجع السابق، ص: ٥٠

(٢) دوكات = دولارين وربع الدولار القيسي: نفس المرجع ، ص: ٥٠

(٣) HALL INALCIK: THE OTTOMAN EMPIRE (LONDON 1973) PP. 127 - 128.

(٤) A. N. T. T. MISC. MS. CONVENTO DA GRACA, TOMO 2E, PP. 405 - 406.

انظر الـوثيقة (ملحق رقم ٣٥) ص: ٣٤٢ - ٣٤٥. وثيقـة من الأرشيف البرتغالي، لشبـونة، غير منشورة.

البرتغاليين لم يتمكنوا من السيطرة الكاملة على المحيط ومداخل الخليج العربي والبحر الأحمر، نظرا لعدم إمكانية البرتغال السكانية لتغطي هذه المسافة الكبيرة التي تشمل من ملقا وحتى لشبونة في أقصى الغرب الأوروبي.

ثالثا : النتائج الحضارية :

لنعد قليلا إلى الوراء لنتتبع دور العرب الحضاري في الشرق الأفريقي، إذ إن وصول العرب قبل مئات السنين واختلاطهم بأهل السواحل والجزر في الشرق الأفريقي، وإنشاء السلطنات والدويلات الإسلامية، التي ازدهرت في ظل العرب القادمين من الجزيرة العربية ومن الساحل الغربي لفارس، وهم عرب أصلا، ولهم دور حضاري بارز وخاصة في تاريخ الثقافة الإسلامية، يعد من أقوى الآثار التي ترتبت على هذه الصلات بين عرب شبه الجزيرة وسكان الساحل الشرقي للقارة، ومنذ استيطان العرب الأول في الأماكن الساحلية التي كانت تحت حكم الزنج، وهو الاسم الذي يطلق على قبائل البانتو، ولم تكن للزنج إمبراطورية بالمعنى المفهوم على الرغم من أن اسم إمبراطورية الزنج قد ورد في بعض كتب التاريخ [1].

ويقال إنها استمرت من عام ٩٥٠ إلى ١٥٠٠م وكانت مدينة كيلوا تتحكم فيها معظم تلك الفترة، إلا أن الواقع هو أنه كانت هناك عدة مدن مثل مقديشيو، وماليندي، وباتي، وممبسة، وزنجبار، وكيلوا، وسوفالا أقامها العرب، وكان معظمها مستقلا، ولكل منها حاكم خاص يحكمها، وارتبطت هذه المدن ببعضها لاشتراكها معا في تجارة واحدة عبر الساحل، دون أن تربطها حكومة واحدة أو حاكم [2].

ومنذ بداية الهجرات العربية، نتج عن الاحتكاك بين السكان الأصليين والعرب الوافدين انتشار ثقافة العرب وحضارتهم، وحين جاء الإسلام كان تأثيره قويا وأثره أكبر وأعمق فالإسلام بتعاليمه السمحاء غيّر حياة العرب وطبعهم، وحياة من دخل

(١) شوقي الجمل (دكتور) ندوة رأس الخيمة التاريخية، ص: ٢٥، وانظر: سبنسر ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة محمد عاطف النواوي، القاهرة ١٩٧٣م، ص: ١٢.
(٢) سبنسر ترمنجهام : مرجع سابق، ص: ١٣

الإسلام من غير العرب، فغيّر من عاداتهم وتقـاليدهم ونمط معيشتهم، حتى ظهر في أذواقهم في الملبس والبناء والعمـران، ولعل اللغة العربية من أقـوى مظاهر التأثيرات الثقافية على سكان شرق أفريقيا، ونتيجة المعـاملات التجارية والاختلاط بين العرب والأفارقة بشرق القارة تولّـدت عنه لغة هي خليط بين لهجات البانتو واللغة العربية، وهي اللغة السواحلية بالإضافة إلى دخول العديد من المفردات العربية [1].

وهذه اللغـة مازالت تلعب دوراً هامـاً في إبراز الشخصية المتميزة لشرق أفـريقيا ولشعوبها ولدولها التي تكونت فيما بعد.

ونظـرا لانعـــدام الـوحـدة أو الاتحاد بين تلك المدن، التي أنشئـت على السـاحل الأفريقــي وعدم وجـود إمبراطورية فعـلا، هو الـذي سهّل على البرتغـاليين احتلال الساحل بعد عام ١٥٠٠م.

وعند وصول فاسكو دي جاما عام ١٥٠٢م إلى كيلوا، أمر السلطان بمقابلته فوق إحدى سفنه الراسية في الميناء، فخرج إليه الأمير إبراهيم [2]،* الذي كان وقتها يقوم بمهام السلطـان، ووافقه على أن تصبح بـلاده تابعـة للبرتغال، وتتـابعت الحملات البرتغـالية، وتم الاستيـلاء على الشرق الأفـريقي، وتمركـزوا في موزمبيق ثم امتـد حكمهم حتى شمل مملكة مـونومباتا في روديسيـا، حيث توجد منـاجم الذهب، ولم يتمكنوا من العثور على مناجم الذهب لرفض الأهالي التعاون معهم.

وكانت هذه المدن تعج بـالتجار والمزارعين الأفارقة، الـذين تحكمهم طبقة متميزة من المسلمين الذين يعيشـون حياة رغدة سهلـة يحيط العبيد بهم، كما كـانت هناك

---

(١) شوقي الجمل (دكتـور) : مرجع سابق، ص: ٢٥، انظـر: رولاند أوليفر وجـون فيج، مرجع سابق، ص: ١١٠.

(٢) انظر الرسالة التي أرسلها إبراهيم الذي أصبح فيما بعد سلطان كليوا وهذه الرسالة موجهة لسلطان البرتغـال دون منويل ينـاشده فيها بأنــه سوف يلبي أوامـره ويطلب منه نظير ذلك الرفق في المعاملة من قبل قواد السلطان، ولم يذكر في الرسالة سـوى اسم إبراهيم فقط، وثيقة غير منشورة، الأرشيف البرتغالي.

* انظر الوثيقة (ملحق رقم ٣٧) ص: ٣٤٨

محلات تجارية غنية بالبضائع يملكها هنود من جيزورات (GUJERAT) وكوتش (CUTCH) وغيرها، يتبادلون بضائعهم المستوردة بالعاج وعظام السلحفاة وغيرها من المنتجات المحلية [١].

ولكن الحقد والكراهية على العرب من قبل البرتغاليين جعلهم يدمرون هذه الحضارة المزدهرة، والتي كان يعيش أصاحبها في أمن واستقرار وازدهار تجاري بين الشرق الأفريقي والبلاد العربية والشرق الأقصى، ولكن سرعان ماوصل هذا المستعمر، وقلب موازين القوى في المنطقة، مما جعل هذه الحضارة تتدهور باستمرار لأن المستعمر هدفه أن يحرم العرب والمسلمين من تجارة الشرق ويقضي على حضارتهم ودينهم.

ولكن من الثابت علميا أن الغرب الأوروبي ظل في العصور الوسطى – حتى القرن الحادي عشر الميلادي – غارقا في بحر من الجهالة والتأخر الحضاري، في الوقت الذي كان فيه المسلمون في الشرق والغرب ينعمون بمستوى حضاري رفيع، عكس المستوى المنحط الذي عاش فيه الأوروبيون الغربيون، ولكن أثبتت الأبحاث الحديثة أن ثمة حركة أفاقة شاملة دخل فيها المجتمع الأوروبي في عصر الحروب الصليبية، وأن هذه الحركة شملت جميع نواحي الحياة في الغرب حتى أطلق عليها (النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر) [٢] وسبب ذلك يعزى إلى الصدام بين الحملات الصليبية والمسلمين، والذي كانت نهايته انتصار المسلمين، مما دفع الصليبيين إلى الاهتمام بمظاهر الحضارة الإسلامية العربية، ونقلها إلى أوروبا والعمل بها، واستمرت هذه الصحوة إلى أن أتت بثمارها في بداية القرن السادس عشر الميلادي، حيث وصلت إلى أوج ازدهارها عندما بدأت الكشوف الجغرافية تتوالى إلى الشرق، لتحقق أهدافها السياسية والعسكرية والدينية، للرد على مالحق بها في العصور الوسطى.

---

(١) سبنسر ترمنجهام : مرجع سابق، ص: ١٤

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور) : الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧١م، جـ٢، ص: ١٢٦

رابعاً : النتائج العسكرية :

أطل البرتغاليون على الشرق في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وكانت قد راودتهم رغبة ملحة في الاستعمار، ولأن جارتهم إسبانيا كانت قد وفقت في هذا المجال، توفيقا أقام لها ملكاً مبسوطا وسلطانا يشكّل خطرا على دولتهم الناشئة، فالتمسوا في التجارة والكشف والاستعمار سبيلا يشدّون به أزر أمتهم [١].

وعندما تمكّنوا من الوصول إلى المحيط الهندي، على يد فاسكو دي جاما، وصلوا إلى الهند وأخذوا يبنون لأنفسهم ملكا على يد دي الميدا وكبرال والبوكيرك، فهم الذين تمكنوا من بناء قوة عسكرية تجوب المحيط الهندي، وتسد المنافذ الرئيسية التي تؤدي إلى الموانىء العربية والإسلامية، وبهذه القوة البحرية استطاعت البرتغال تحطيم قوى الأتراك والعرب البحرية، ومن قبلهم القوة المملوكية في موقعة ديو البحرية عام ١٥٠٩م التي وقعت على الساحل الغربي للهند، مما جعل شوكة البرتغال العسكرية تقوى، وتنتشر لتسيطر على القوى العربية والإسلامية، بعد أن كانت لديها الأساطيل البحرية عابرة المحيطات والمزودة بالأسلحة النارية، التي لم تقو عليها السفن الصغيرة التابعة للقوى العربية في المحيط [٢]

فهذا التطور العسكري قلب موازين القوى في المنطقة، وأصبحت الأساطيل القادمة من الغرب تسيطر سيطرة كاملة على المياة العربية والإسلامية، ونتج عن ذلك التطور البحري للبرتغاليين، أن شجع القائد البرتغالي البوكيرك على التفكير في تحويل مجرى النيل، والاستيلاء على البحر الأحمر وتطويق المسلمين من الجنوب، وكانت البرتغال قدبلغت ذروة الوحشية – في عصرها الذهبي قصير العمر – وكانت سياسة الفتح الذي يدمر بلا رحمة اعتمادا على مدافعها بالغة الأهمية والسيطرة

---

(١) حسين مؤنس : مرجع سابق، ص: ٢٦

(٢) عبدالوهاب القيسي، مرجع سابق، ص: ٥١، انظر شكل السفن الحربية البرتغالية (ملحق رقم ٢٢) ص: ٢٨٤.

والاحتكار التـام، التي كانت تنتهجها، ذات أثر مـدمر لبعض المستوطنات العـربية، التي انهارات وذوت بعد أن حـرم مواطنوهـا من مصدر رزقهم كـوسطاء تجاريين، وماتت وكأنما أصابتها اللعنة [١].

ونرى البـوكيرك بهذه القوة العسكرية الهائلـة المتمثلة في السفن الكبيرة والمدافع يقوم في عام ١٥٠٧م بقصف ونهب وتدمير مسقط وهي الميناء الرئيس لعمان [٢].

هذا ماعانته جميع مدن الساحل الأفريقي والعماني والخليجي، وعلى رأسه هرمز المدينة الزاهرة، محطة التجار، والتجارة القـادمة من الهند والبحر المتوسط لأوروبا، كذلك المدن الإسلاميـة على الساحل الغربي للهند، بسكانها الـذين لايعرفون المدافع النارية مما جعلهم يستنجدون بالمماليك مرة وبالأتراك مرة أخرى [٣].

وعنـد انتهـاء دور النشـاط المصري، المتمثل في المماليك في كل من البحـر الأحمر والمحيط الهندي، حلت محلهـم الدولة العثمانيـة بعد أن استـولت على الشام ومصر عامي ١٥١٦، ١٥١٧ وبعـدها الحجاز، كان البرتغـاليون قد سيطـروا على موانىء البحر الأحمر والواقعة على الشاطىء الغربي وخليج عدن وسواكن، ومصـوع وزيلع وبربرة، وقام الفاريز القائد البرتغالي – الذي ترأس البعثة التنصيرية البرتغالية – إلى الحبشة بتحـويل مسجد مصوع إلى كنيسـة عام ١٥٢٠م. ونـزل الجيش البرتغالي الذي جاء لنجدة ملك الحبشة ضد فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم جران، أمير هرر في ميناء زولا الإرتري، ومن ثـم توغل إلى هضبـة الحبشـة حيث شـارك في هزيمـة الإمام[٤].

(١) وندل فيلبس : تاريخ عمان، مرجع سابق، ص: ٤٦

(٢) عمان تاريخها البحري، ص: ٢٩.

انظر : رونالـد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، تـرجمة فؤاد حداد وعادل صـلاحي، لندن، بدون تاريخ، ص: ٢٩

(٣) مديحة أحمد درويش (دكتوراه) : مرجع سابق، ص: ٢٥

(٤) عثمان صالح سبي: الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، بدون تاريخ، ص: ٢٣.

اهتمام العثمانيين بتأمين البحر الأحمر

أعد العثمانيون أسطولاً حربياً، قاده سنان باشا، ونزل به إلى البحر الأحمر، لمنع استمرار التعاون الذي تم بين البرتغاليين والأحباش، ووصل الأسطول العثماني أمام ميناء مصوع في عام ١٥٥٤م، وانهزم الأسطول البرتغالي الذي كان بقيادة دون جوان ذي كاسترو، وتمت تصفية المواقع البرتغالية في البحر الأحمر من قبل الأتراك على طول سواحله وبنوا بها القلاع [١]

وفي عام ١٥٥٧م احتل العثمانيون ميناء مصوع، حيث كانت للعثمانيين قبل ذلك السيطرة على سواكن.

وكانت هذه العملية للمحافظة على مداخل البحر الأحمر، وإيجاد أسطول قوي ليتمكن من متابعة البرتغاليين في عرض المحيط الهندي، للتخفيف من حدة الاحتكار التجاري، الذي تمارسه البرتغال على القوى العربية في كل من شرق أفريقيا والخليج العربي والمحيط الهندي.

وعلى الرغم من كل الصعاب التي واجهت الأتراك، إلا أن الحرب بينهم وبين البرتغاليين قد استمرت زمنا ليس بالقصير، ولم يستطع البرتغاليون إحراز نصر حاسم على الأتراك.

ونجد مير علي بيك القائد العثماني في ١٥٨٥م يقوم بزيارة مواني الساحل الأفريقي وهي مقديشيو، برواة، كسمايو، فزه، بته، لامو، وكييليفي، وأعلن أن السلطان العثماني قد أرسله ليحرر الساحل من النفوذ البرتغالي، فنتج عن ذلك ثورة على الساحل ضد البرتغاليين، وقد عاد مير علي بيك دون أن يصطدم مع البرتغاليين، لكنه في عام ١٥٨٨م عاد بخمس سفن والتحم مع العدو، وكانت معركة ضارية خسرها القائد العثماني، وقتل رجاله وأسر مير علي بيك ونقل إلى جوا، ثم إلى لشبونة.

---

(١) الشاطر بصيلي عبدالجليل: مرجع سابق، ص: ٤٦٢

وعندما تجمعت القوى الإسلامية استطاعت إعادة التجارة القديمة إلى سابق عهدها بنقلها إلى مصر وإلى حلب (١).

وأخيرا يمكن أن نستخلص من الصراع البرتغالي العثماني في المياه العربية نتائج أهمها :

أولا : أن فشل العثمانيين في إبعاد البرتغاليين عن المياه العربية بصورة كلية، يعود إلى أن الأسطول العثماني في القرن السادس عشر الميلادي كان يتألف من سفن صغيرة (galleys) جيليز، غير قادرة على التأثير الفعال ضد السفن الكبيرة المجهزة بتجهيزات متطورة وفعالة، يضاف إلى ذلك صعوبة تجهيز أسطول عثماني دائم تكفي قوته لمواجهة الأساطيل الأوروبية في البحر المتوسط، والمحيط الهندي، في نفس الوقت، وخاصة لانشغال العثمانيين في هذه الفترة بالحروب البرية الطويلة ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة وضد الدولة الصفوية (٢).

ولاتساع رقعة الدولة العثمانية، وتعدد الجبهات لمواجهة الخطر الصليبي البرتغالي في المحيط الهندي والإسباني في البحر المتوسط والجبهة الأخيرة، فقد اضطر أمراء البحر المجاهدون في شمال أفريقيا، إلى مد يدهم للدولة العثمانية طالبين الاتحاد معها، لتكتيل القوى الإسلامية في البحر المتوسط ضد أخطارالغزو الإسباني التي كانت تهدد أقاليمهم (٣).

ثانيا : وكان ضعف القيادات المحلية في ذلك الوقت وتناحرها فيما بينها، سببا في اشتداد الحاجة إلى من يتولى القيادة ليأخذ بيدها إلى سبيل توحيد القوى الوطنية، ليمكنها من منازلة الأعداء وقد أدى ذلك إلى إنشاء قيادة بحرية واصلت الجهاد البحري ضد القوى المعتدية (٤).

---

(١) جمال زكريا قاسم (دكتور) : ندوة رأس الخيمة التاريخية، ص: ٣، وانظر : الشاطر بصيلي، مرجع سابق، ص: ٤٦٣

(٢) عبدالوهاب القيسي (دكتور): مرجع سابق، ص: ٥٠

(٣) جلال يحيى (دكتور) التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ص: ٤٤

(٤) جلال يحيى (دكتور) : نفس المرجع السابق، ص: ٤٤٠

ولقد اشتهر بين هؤلاء القادة بابا عـروج، الذي أشتهر بلقب باربروسا، وقد عمل مع أخيه خير الـدين على إنشاء أسطول حـربي ضد أعاديه الإسبـان سنة ١٥١٦م، على مدينة الجزائر، ولكن بـابا عروج قتل في عام ١٥١٨م وهو في طـريق عودته من تلمسان، ويعتبر واضـع سياسة الجهاد الإسلامي ضد الغزو الصليبي لبلاد المغرب الكبير، وسوف تقع المهـام الكبرى على عاتق أخيـه خير الدين الـذي اتصل بالـدولة العثمانية، وطلب منهـا معاونته في الجهـاد فأرسل له السلطـان سليم عام ١٥١٨م. ألفين من جنـود الانكشـاريـة، وهذا دليل على انضمام المغـرب الأوسط إلى الـدولـة العثمانية(١)

ثالثا : أمـا بالنسبة للنتائج التي تـرتبت على الموقف العثماني من الغزو البرتغالي للمياه العـربية والشرقية، فإن القـوة البحرية العثمانيـة، في خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، فشلت في كسب هجمات بحرية على الأساطيل البرتغالية سواء في غرب البحر المتوسط أو في المحيط الهندي، ولو كانت تلك الهجمات ناجحة لأدت إلى قطع المواصلات البحرية بين البرتغال والهند.

رابعا : وبسبب التقصير العثماني البحـري – من الناحية الاستراتيجية – تـم غلق العالم الإسـلامي بواسطة أسـاطيل الأمم الأوروبية، وهـذه الأخيرة استخدمت فيما بعد تفـوقها البحـري في سبيل السيطـرة السياسيـة والعسكريـة على الأقطار الإسلامية(٢)

خامسـا : ويلاحظ أن ميزان القوى العـالمية أصبح في صالح الغرب، منـذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، عندما استغل الملاحـون الإيطاليون البدع التكنيكية في فن الملاحة وصناعة المدافع، كي ينشروا تفوقهم على المحيطات، في حين أن المجتمعات الآسيويـة فشلت في الاستجابة للتحـدي الأوروبي، لأن عوامل حضاريـة اجتماعية

---

(١) جلال يحيى (دكتور) المغرب الكبير. الإسكندرية ١٩٦٦م، جـ٣، ص: ١٧، وما بعدها.

(٢) Arnold J. Toynbee, A study of History (London 1934) 11, VII, pp. 444 - 445.

قوية منعتها من تبني التكنولوجيا الغربية المتفوقة(١). ولكن بعض المؤرخين المسلمين المعاصرين ومن بينهم العثمانيـون، يشيرون في مؤلفاتهم إلى أن الدولـة العثمانية في القرن السادس عشر كانت قوية، واستطاعت المحافظة على العالم الإسلامي وطريق الحج والمدن المقدسة، كما حمت الحدود الإسلاميـة من هجمات البرتغاليين والفرنج بواسطة سفنها الساحلية(GALLEYS).

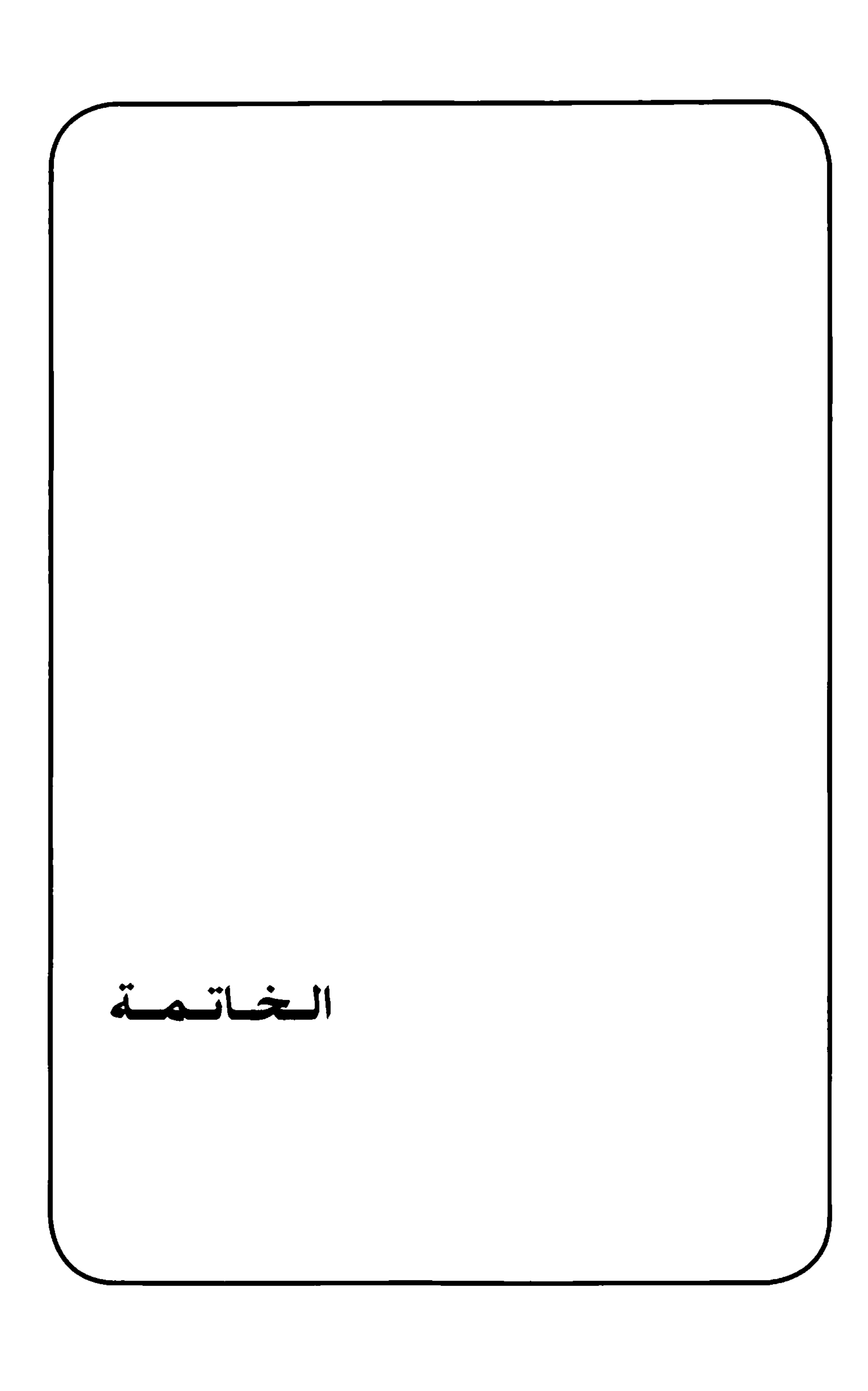
سادسا : قام العثمانيون خـلال خمسين سنة من القرن السادس عشر الميلادي أي منـذ أواخــر حكم السلطـان سليم الأول حتى نهايـة عهــد السلطـان سليمان القانوني، برسم الخطط الجادة بغرض إبعاد البرتغاليين عن المياه العربية الإسلامية، وتحطيم الاحتكـار التجاري، وقد أرسلـت بالفعل عـدة حملات بحرية مـن مينائي الســويس والبصرة، لأجل إخـراج البرتغـاليين من البحـر الأحمر والخليج العـربي، وكذلك ضرب المراكز البرتغالية في السواحل الهندية، وعلى الرغم من تمكن بعض تلك الحملات من الانتصار على البرتغاليين غير أن المساعـي العثمانية لم تنجز في النهاية سوى إبعـاد البرتغاليين عن البحر الأحمر ومـداخله، بـالإضافة إلى حمايتهـا لرأس الخليج العربي من الغزو البرتغالي.

وترجع أسباب فشل العثمانيين في كفاحهم ضد البرتغاليين، إلى عدم كفاءة بعض قادتهم البحـريين، وقيامهم بـأعمال تعسفية أدت – في كثير من الأحيـان – إلى عدم تعاون السكان العرب معهم في أعمالهم الحربية المناهضة للبرتغاليين.

وفي النهاية تهاوت المستعمرات البرتغاليـة تحت أطماع الدول الأوروبية الأخرى، مثل هولندا وبريطانيا اللتين ورثتا تركة البرتغال في الشرق.

❋ ❋ ❋

(١) Carrlo. M. Cipolla, Guns, Sails. and Empires (N, Y, 1965) p. 126.



الخاتمة

الخـــاتمـــة

مـوضوع الصراع البرتغـالي العثماني في شرق أفـريقيـا في القرن الســادي عشر الميلادي، من الموضـوعات التي تنـاولها غالبيـة الباحثين من النـاحية الاقتصـادية، والتي تركزت في تجارة الشرق، وما صاحب هذه التجارة من مقدمات كشفية.

وقد اتجهت في دراستي لهذا الموضوع، لمحاولـة إبراز الأمور التي لم يولها بعض المؤرخين اهتماما كبيرا، والجديد في هذه الدراســة أنني حاولت إبراز الدوافع لكل من الطرفين، والمتغيرات الدولية في ذلك الـوقت، حتى نستطيع أن نكشف المزيد عن هذه الفترة، التي اعتبرهـا المؤرخـون فترة تحول من العصـــور الـوسطى إلى العصــور الحديثة، لما فيها مـن تغيرات في موازين القوى، وانتقال السيطـرة على طرق التجارة العالمية من الشرق العربي إلى الغرب الأوروبي.

ويعد هذا الصراع نتيجة هامة من نتائج الحروب الصليبية، التي فشلت في الشرق في خلال القـرنين الحادي عشر والثالث عشر الميـلاديين، وذلك بسقوط عكـا في أيدي المماليك في عهـد السلطـان الأشرف خليل بن المنصـور قلاوون في عـام ٦٩١ هــ / ١٢٩١م، بالإضافة إلى سقوط جميع المدن الصليبية في الشام، وكان لهذا الأثر البالغ في نفوس الصليبيين، بـالإضافـة إلى هيمنة المماليـك على التجارة في الشرق وخـاصة تجارة التوابل التي كانت الشغل الشاغل لدول أوروبا لما لها من أهمية.

ومن النتائج الهامة التي توصل إليها البحث :

أولا : ساعدت عدة عوامل مجتمعه على اكتشاف فاسكودي جاما الطريق البحري حول طرف أفريقيا الجنوبي، أو رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨م.

ومن هذه العـوامـل :

١ - أن البرتغـاليين قد اكتسبـوا مهارة كبيرة كبحـارة ومكتشفين منذ زمن هنـري

الملاح في أوائل القرن الخامس عشر.

٢ - كان البرتغاليون قد اعتادوا على جوانب الرفاهية الشرقية في عهد المغاربة المسلمين، الذين انتهى حكمهم في البرتغال قبل فترة وجيزة، وأصبح البرتغاليون يأملون في الفوز بنصيب من تجارة التوابل والبهارات.

٣ - بروز الوعي القومي البرتغالي بعد المعارك العديدة التي خاضها البرتغاليون ضد المسلمين، وكانت المغامرات البرتغالية في المحيط الهندي استمرارا للاندفاع الصليبي ضد المسلمين، ولعل هذا يفسر وحشية الأساليب التي اتبعها البرتغاليون وإن كان لا يبررها.

٤ - كان البرتغاليون مصممين على اكتشاف بلاد القديس برسترجون المجهولة التي كانت في هذا الوقت تثير اهتماما كبيرا لدى أوروبا، مما جعل رجال الدين في الغرب يعطون مسألة الخلاص من العرب والمسلمين أهمية قصوى، حيث باركوا كل الجهود التي قام بها هنرى الملاح، لما لقوا فيه من روح صليبية متأججة وعداء منقطع النظير للعرب والمسلمين، وأخذوا يعدون العدة لتطويق الدولة المملوكية من الجنوب، والتخلص من الطريق التقليدي للتجارة القادمة من الشرق، والوصول إلى أرض القديس يوحنا للتعاون معه وتحقيق ما لم يتمكنوا من تحقيقه في الشمال، أي حروبهم الصليبية التي باءت بالفشل، ففطنوا إلى أن سر قوة المماليك تكمن في التجارة القادمة من الشرق عبر أراضي ومياه الدول الإسلامية، فاتجهوا إلى التفكير في تغيير هذا المسار، حتى تضعف قوة المماليك الذين طالما وقفوا لهم بالمرصاد وصدوا عاديتهم.

ثانيا: أحدثت رحلة فاسكو دي جاما ثورة في ميدان التجارة الأوروبية، وقد زاد البرتغاليون قوتهم البحرية والعسكرية في المحيط الهندي وارتفعت مكانتهم ارتفاعا عظيما، حتى أن الملك عمانوئيل الأول لقب (بصاحب الفتوحات والملاحة البحرية والتجارة في الهند والحبشة وبلاد العرب وفارس).

وقد كانت الموانى الأفريقية الشرقية وموانى الخليج العربي والمحيط الهندي تنعم

بسلام، وأمان، قبل وصول الجحافل الصليبية البرتغالية، لكن بعد قدوم البرتغاليين حولوا الطرق التجارية إلى أوكار للقرصنة البرتغالية، للقضاء على النشاط التجاري الإسلامي في كل من البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي.

ثالثا : أثبت البحث كيف أن الصراعات والتفكك السياسي لدى الإمارات العربية والدويلات الإسلامية وفارس والعراق في القرن الخامس عشر الميلادي، سهلت كل هذه العوامل تغلغل النفوذ البرتغالي في الخليج العربي وشرق أفريقيا، مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، وأبلغ دليل على ذلك هو عدم وجود قوة إسلامية كبيرة مجاورة للشرق الأفريقي والخليج العربي للدفاع عنه عند الغزو البرتغالي المفاجىء، هذا إذا استثينا دولة المماليك في مصر، والدولة العثمانية، وقد كانت كل منهما تعاني من مشاكل داخلية وخارجية.

رابعًا : ومن النتائج الهامة التي توصل إليها البحث، أنه كان للبحارة العرب والمسلمين الفضل الأول في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وأبلغ دليل على ذلك : أن مؤلفات أحمد بن ماجد، وسليمان المهري، وهما من أشهر البحارة والعلماء العرب والمسلمين في علوم البحار، أمدت البرتغاليين وغيرهم بالمعلومات والخبرات الهامة التي ساعدتهم على الوصول إلى الهند، واستفاد البحارة البرتغال من أمثال:

(بارثولوميو دياز) الذي اكتشف رأس الرجاء الصالح. و(فاسكو دي جاما) الذي وصل إلى الهند، عبر طريق رأس الرجاء الصالح، من علوم وخبرات العرب. وكان فاسكو دي جاما أول من مارس تطبيق الأهداف الصليبية ضد المسلمين في الشرق، كما وضع ركائز عمليات القرصنة البحرية البرتغالية في المحيط الهندي.

خامسًا : استطاعت الدراسة أن توضح حقيقة تعرض شرق أفريقيا والخليج العربي والمحيط الهندي، لعمليات غزو وحشية صليبية من قبل البرتغاليين، اتضحت من خلالها أبشع عمليات انتهاك حقوق الإنسان من تدمير وإحراق المدن الآمنة ونهبها وإحراق المساجد والتمثيل بالأسرى والفتك بالشيوخ والأطفال والنساء،

وفرض الضرائب الباهظة على أهالي المدن بعد تـدميرها، كما دمر البرتغاليون المراكز التجارية والبحرية في البحر الأحمر والخليج العـربي وغرب الهند، عن طريق إحراق الموانى بما فيها من السفن الـراسية وممارســة أعمال القرصنة بـالاستيلاء على كل سفينة ومـركب تجاري يمر فيهـا، وفرض الـرقابـة على السفن بواسطـة الحاميات العسكرية التي أقاموها في المراكز التجارية، وبذلك حوّل البرتغاليون هذا المعبر المائي المزدهر إلى مخزن للتجارة فقط يسوده الخراب.

سـادسـا: أثبت البحث أن الحمـلات المسلحـة في المياه الشرقيـة اتخذت شكـلا استعمارياً منظما، وذلك بعد أن عظم أمرها في المحيط الهندي، باستيلائها على البلاد الواقعة غرب الهند الواحدة تلـو الأخرى، ومن هذا يظهر لنا أن هذه الحملات لم تكن سوى حركة للتوسع الأوروبي في المياه الشرقية، بالإضافة إلى الدوافع الصليبية التي جعلت البرتغاليين يفكرون في غزو ديار المسلمين، لكن كـانت هناك دوافع اقتصادية مكنت قادة الحملات الصليبية من حشد المقـاتلين والبحارة، الذين كانوا يطمعون في الحصول على ثـروات الشرق، سواء كانت مـن التوابل أو البخور أو المنســوجات أو الأخشـــاب أو القوى العـاملة في المزارع مثل الـرقيق، وبـالإضافـة إلى هذه الـدوافع ساعدت البرتغاليين مجموعة أخرى من الأسباب، كانت تتمثل في الدافع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والديني للمنطقة في ذلك الحين، كما أن انقسام القوى العربية سياسيـا نتيجة لخلافاتها المذهبية والقبليـة وتطاحنها فيما بينهـا، هيأ للبرتغاليين فرصـــة احتلال أجـزاء من هذه المناطق، حتـى أصبحت بمثابة قـواعد بـرية فتحت شهيتهم للتوسع فيما جـاورها بالإضـافة، إلى أن نجاح الحصار الاقتصـادي الذي فرضته السفن البرتغالية على السواحل العربية، أضعف القوى العربية وأجبرها على دفع الرســوم والضرائب للبرتغاليين، وهو الأمر الذي أتـاح لهم ضـم بعض الدول في المنطقة بسهولة ويسر، وساعدهم في ذلك عدم التعاون بين هذه الدول، وهو التعاون الذي كـان يمكن أن يســاعد العرب في فـك الحصار البرتغالي لـو أنهم قامـوا بشغل الأسطـول البرتغالي في أكثـر من ساحل، والاستفـادة من السواحل الأخـرى التي لا يسيطر عليها هذا الأسطول.

كذلك ساعد البرتغاليين في حملاتهم، ذلك التحالف الذي نجحوا في إقامته مع الفرس ضد الأتراك العثمانيين والعرب الموالين لهم، ويؤكد ذلك ما كتبه الفونس دي البوكيرك إلى الشاه إسماعيل الصفوى - شاه فارس - في سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩م يعرض عليه مساعدته في حالة دخوله مع البرتغاليين في حلف ضد العرب.

سابعا : أبرز البحث أن الدولة العثمانية لم تكن موفقة في القضاء على الدولة المملوكية، في وقت كانت الظروف المحيطة بالمسلمين بحاجة ماسة إلي التنسيق مع كل القوى العربية والإسلامية، لدحر الخطر القادم من أوروبا. ونرى في بداية الأمر أن الدولة العثمانية قامت بدور لا ينكر في مساعدة إخوانهم الجراكسة في بداية الصراع، ولو تم ذلك عن طريق إمدادهم ببعض المعدات والمؤن اللازمة للتجاريد الحربية، وإن كان هذا الدور ضعيفا في هذا الصدد، حيث كان يجب أن يكون لها دور إيجابي في مساندة المماليك، بدلا من التفكير في القضاء عليهم، لتكون دولة المماليك عونا لها في مواجهة الخطر البرتغالي. والقضاء على المماليك أرهق الدولة العثمانية مما أخّر المواجهة مع البرتغاليين، وقد أتاح هذا الفرصة للآخرين لبناء أنفسهم وتمركز قوتهم البحرية، مما جعل التخلص منهم صعبا، والتفكير في إيقاف تطورهم ومهاجمتهم للمواني العربية ليس سهلاً، مما عظّم أمرهم في فرض حصارهم على المواني العربية والهندية على السواء.

وهناك موقف سلبي آخر من قبل السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري سلطان اليمن، إذ إنه أعاق وجهة الحملة الثانية، حيث غيّر مجرى أحداث هذه الحملة بدلا من مواجهة البرتغاليين لوقف نشاطهم في المياه العربية والهندية، إذ وجهت الحملة لفتح المدن اليمنية والسيطرة عليها دون نظر للأعداء القادمين من أوروبا.

ثامنا : بعد احتلال العثمانيين للشام ومصر في عامي ١٥١٦ - ١٥١٧م، انشغلوا في ترسيخ دعائم وجودهم في البلاد العربية، وكانت هذه فترة ذهبية للوجود البرتغالي في الشرق، لأنهم لم يتعرضوا لأية مقاومة تعوق توسعهم وتمركزهم في المياه الهندية وشرق أفريقيا.

كما أن عدم تماسك القوى الإسلامية في مواجة الخطر البرتغالي، وبطش القادة العثمانيين الذين تولوا القيادة لمواجهة العدو البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، جعل الأمراء والسلاطين في كل من اليمن والساحل الهندي لا يطمئنون لهؤلاء القادة، وبخاصة عندما قامت حملة سليمان باشا في عام ١٥٣٩م، حيث أن هذا القائد لم يتعظ من مصير سلفه حسين الكردي، الذي قاد حملة المماليك وارتكب الأخطاء ذاتها من حيث عدم تنسيقه مع القوى العربية في جنوب البحر الأحمر، بل إنه عمد إلى استعدائها.

تاسعا: حلل الباحث النتائج التي أسفرت عن الغزو البرتغالي لشرق أفريقيا والمياه الهندية، فقد أدى ذلك إلى أن العثمانيين حوّلوا وجهتهم من أوروبا، بعد أن هددوا أسوار فينا إلى المشرق العربي، حيث الخطر الصفوي والبرتغالي، وأخذ العثمانيون يدفعون بجيوشهم نحو الشرق للاستيلاء على ما يسمى الآن بالشرق الأدنى، ونجحوا في ذلك نجاحا منقطع النظير، ففتحوا العراق وأطلّوا على الخليج العربي، وشهدوا صراع البرتغال في المياه الهندية.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، أن النفوذ البرتغالي في شرق أفريقيا والخليج العربي والمحيط الهندي في القرن السادس عشر، وما ترتب عليه من غنى فاحش للبرتغاليين، أسال لعاب القوى الصليبية الأخرى في أوروبا، لأهمية ثروات الشرق وخيراته، وموقعه الاستراتيجي كمعبر لتجارة الشرق، فكان هذا النفوذ البرتغالي بداية عصر استعماري صليبي جديد تمثل في الشركات التجارية الهولندية والإنجليزية والفرنسية.

وفي الختام يشير الباحث إلى أنه على الرغم من الجهد المضني الذي بذله سعيا وراء الوثائق الأصلية، فهناك كثير من الوثائق التي لم يطلع عليها أحد حتى الآن، وهي تبرز حقيقة هذا التصور الخطير الذي مرت به منطقة الشرق، وما كان لها من أثر اجتماعي وسياسي واقتصادي لم يتعرض له الباحثون بالتفصيل، وتلقى الأضواء على العلاقات بين كل من الشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي في تلك

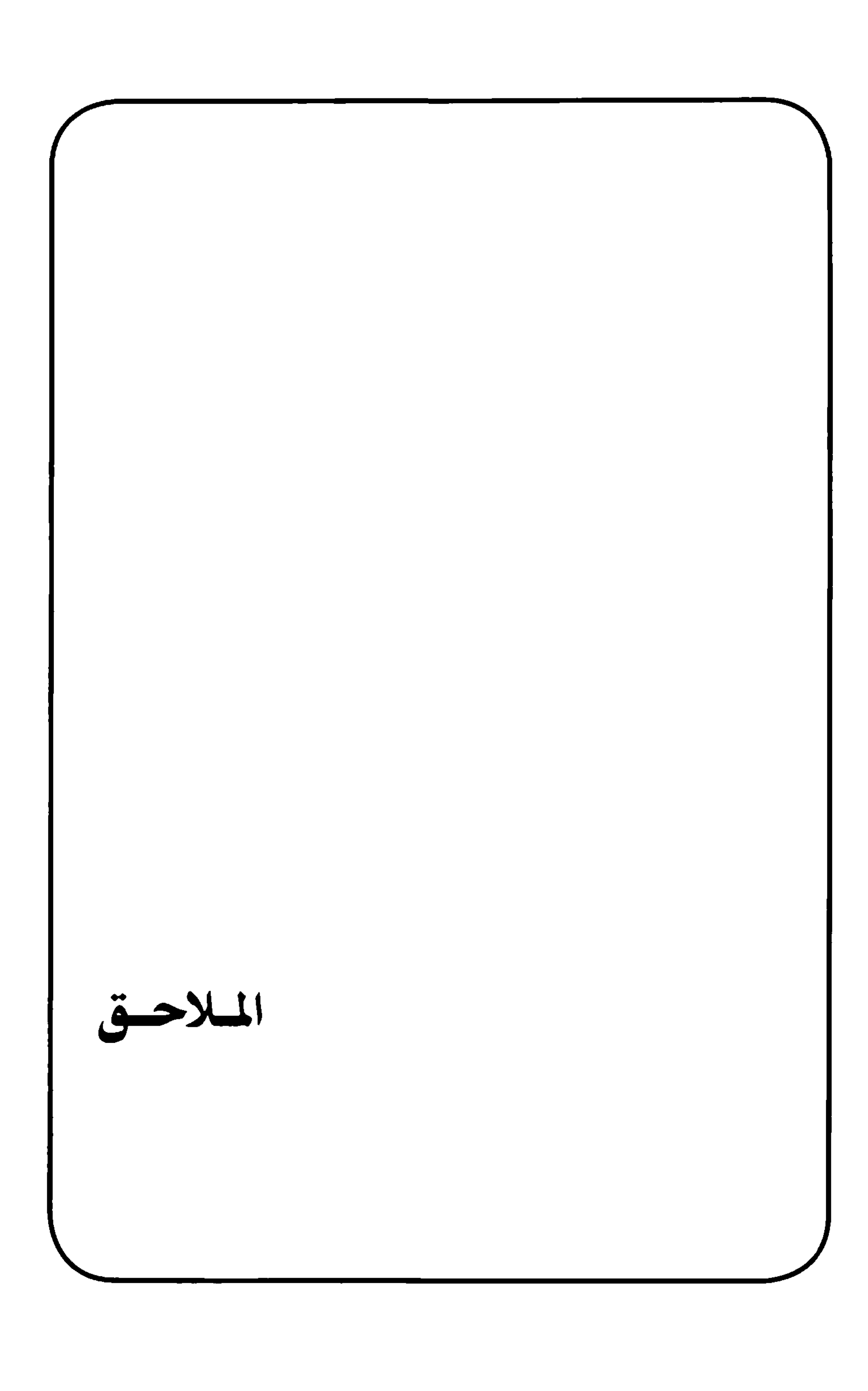
الفترة فهناك وثائق برتغالية كتبت باللغة اللاتينية لم يتمكن الباحثون من الاستفادة منها حتى أن الكتّاب البرتغاليين لم يستطيعوا إلى الآن قراءتها، فقليلون هم المتخصصون في فك رموزها، وقد سمعت هذا من أحد العاملين في الأرشيف الوطني في لشبونة وهناك رسائل عدة من حكام الدويلات الإسلامية سواء أكانت في الهند أم الخليج العربي أم الشرق الأفريقي، كتبت بخط اليد باللغة العربية، وأرسلت إلى ملوك البرتغال، على مدى القرن السادس عشر، وهي تبين مدى الرعب الذي زرعه هؤلاء الغزاة في نفوس الحكام والولاة.

والملاحظ أن الوثائق العثمانية التي تناولت هذه الفترة، غير متوافرة ولاتساهم في البحوث التي تعرضت لهذا الصراع البرتغالي العثماني، وإن وجدت فهي قليلة ليست بالكم الموجود بالأرشيف الوطني في لشبونة.

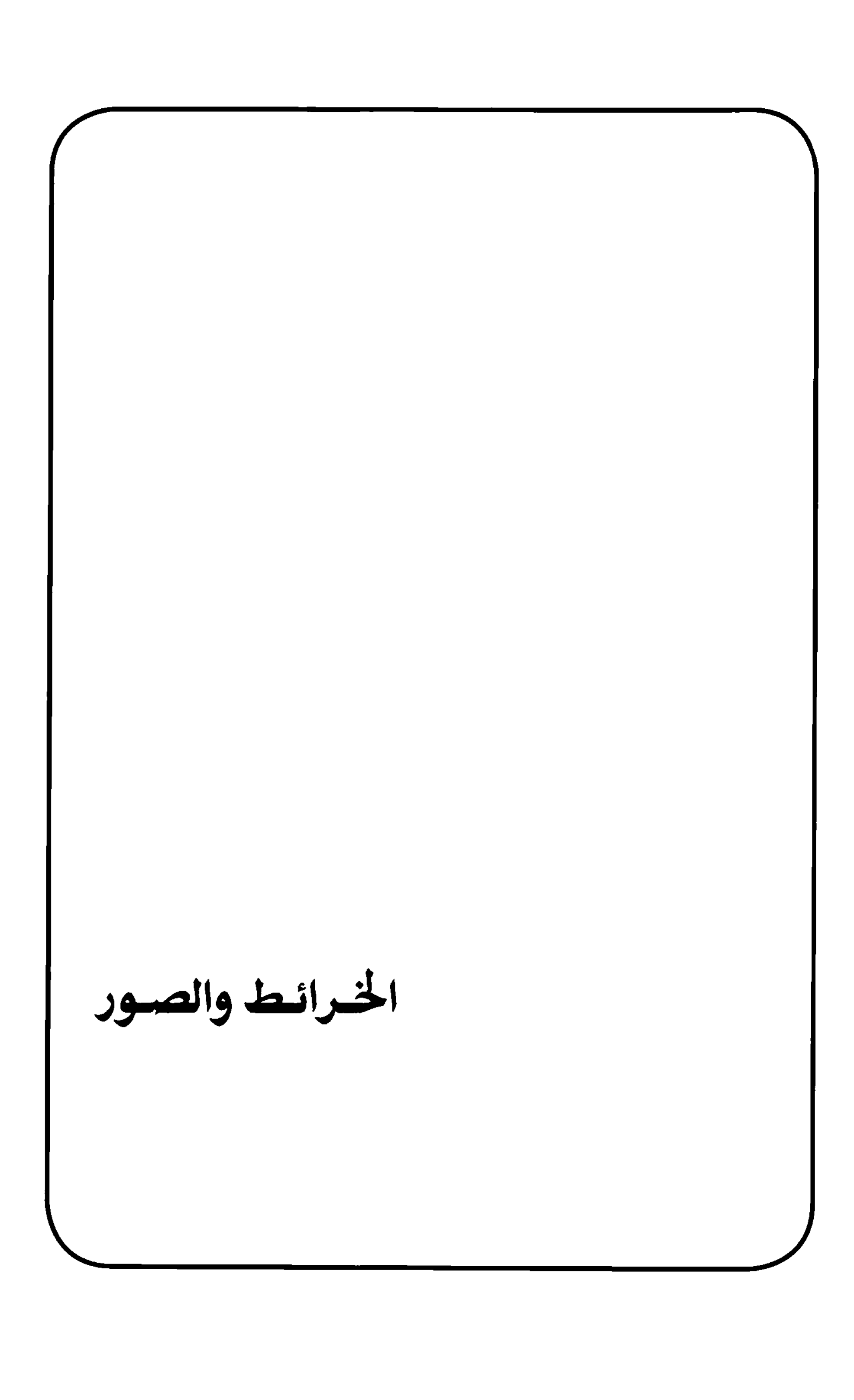
(ARGUIVO NACIONAL DA TORRE DO TOMBO)

والموجود ليس من السهل الاستفادة منه.

ويرجو الباحث أن يكون بعمله هذا، قد فتح الباب في المستقبل، لمزيد من البحوث التي تسهم في كشف النقاب عن هذا الصراع الهام بين الشرق والغرب، والنتائج التي أسفرت عنه.

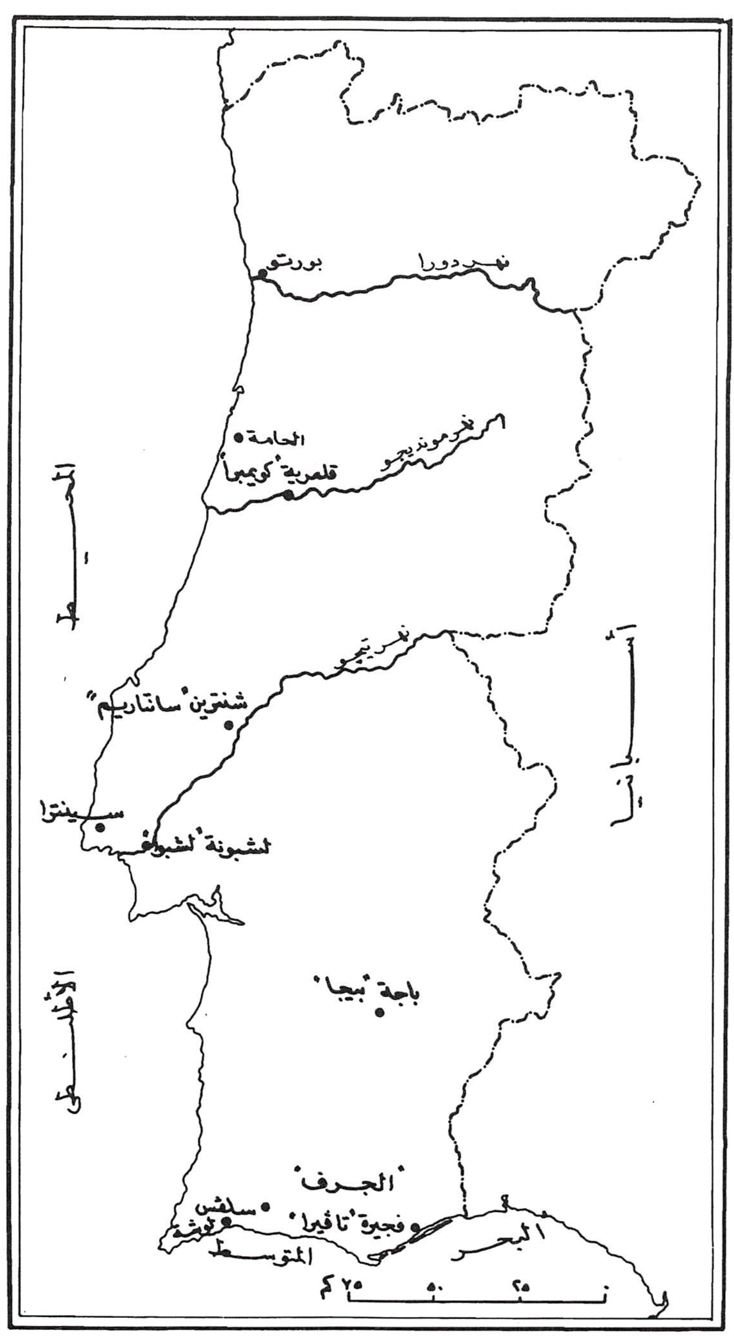


الملاحق



الخرائط والصور

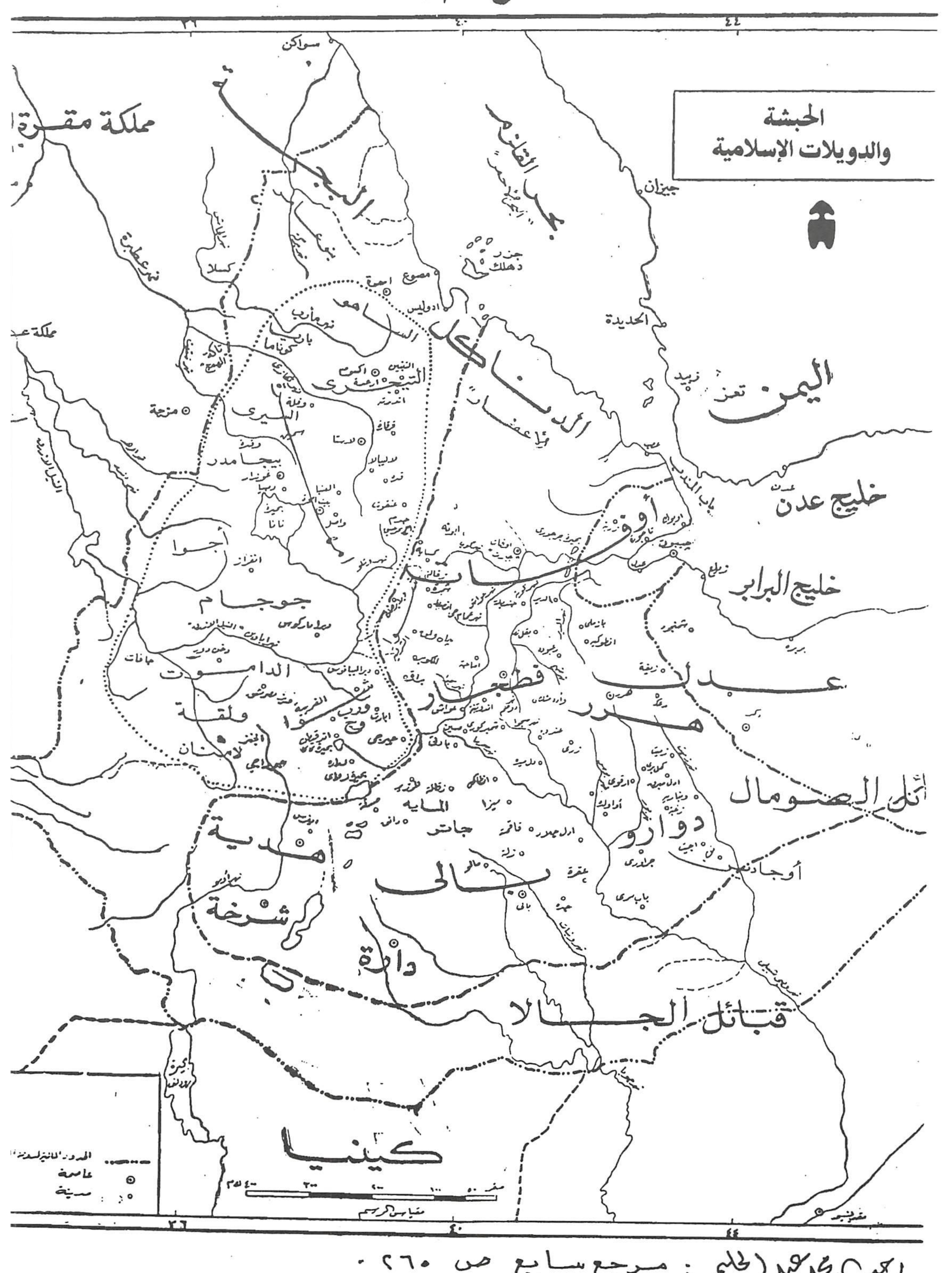
ملحق رقم (١)



شكل رقم (١)

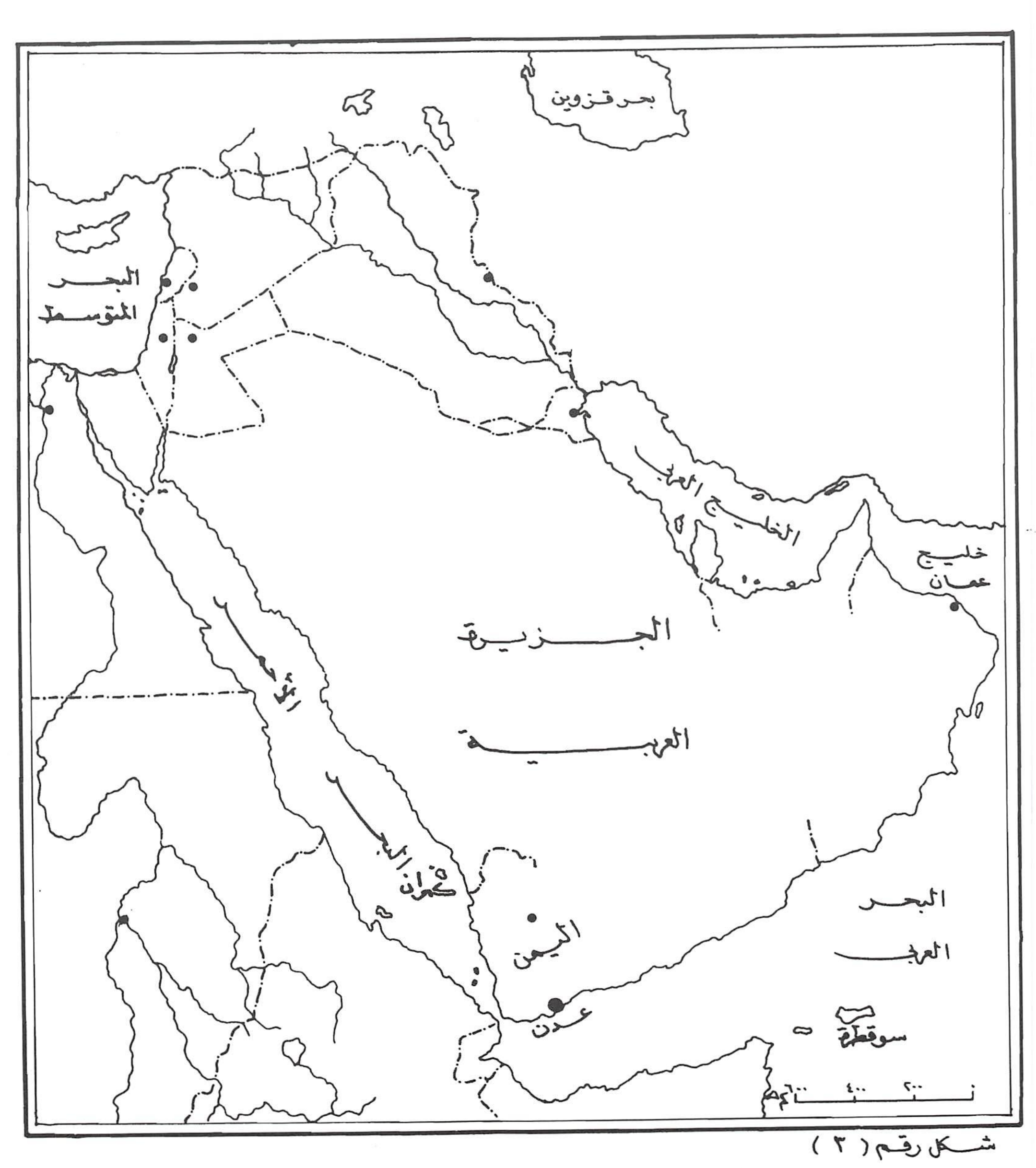
اهم المدن البرتغالية

ملحق رقم (٢)



رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق ص ٢٦٥.

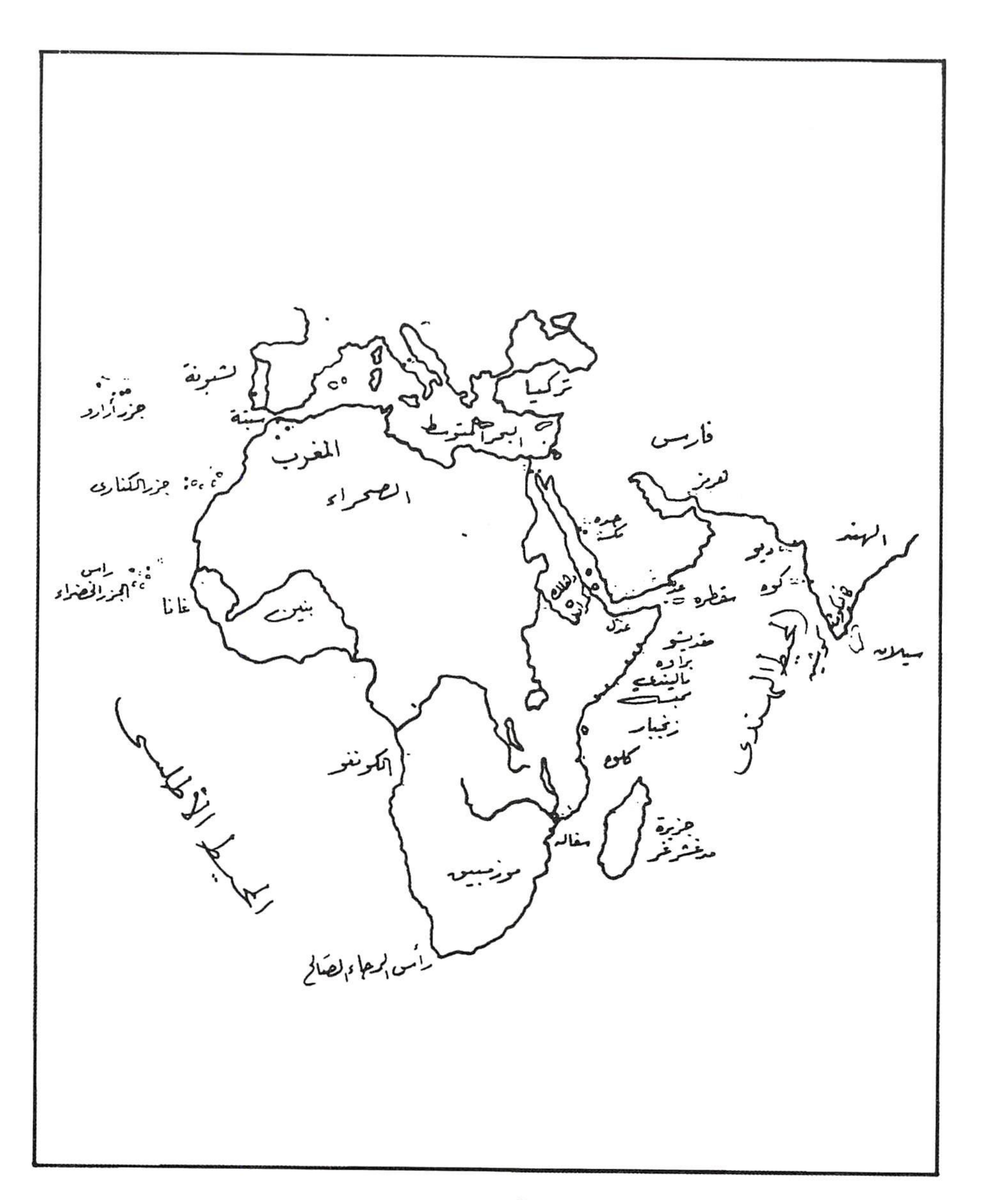
ملحق رقم (٣)



شكل رقم (٣)

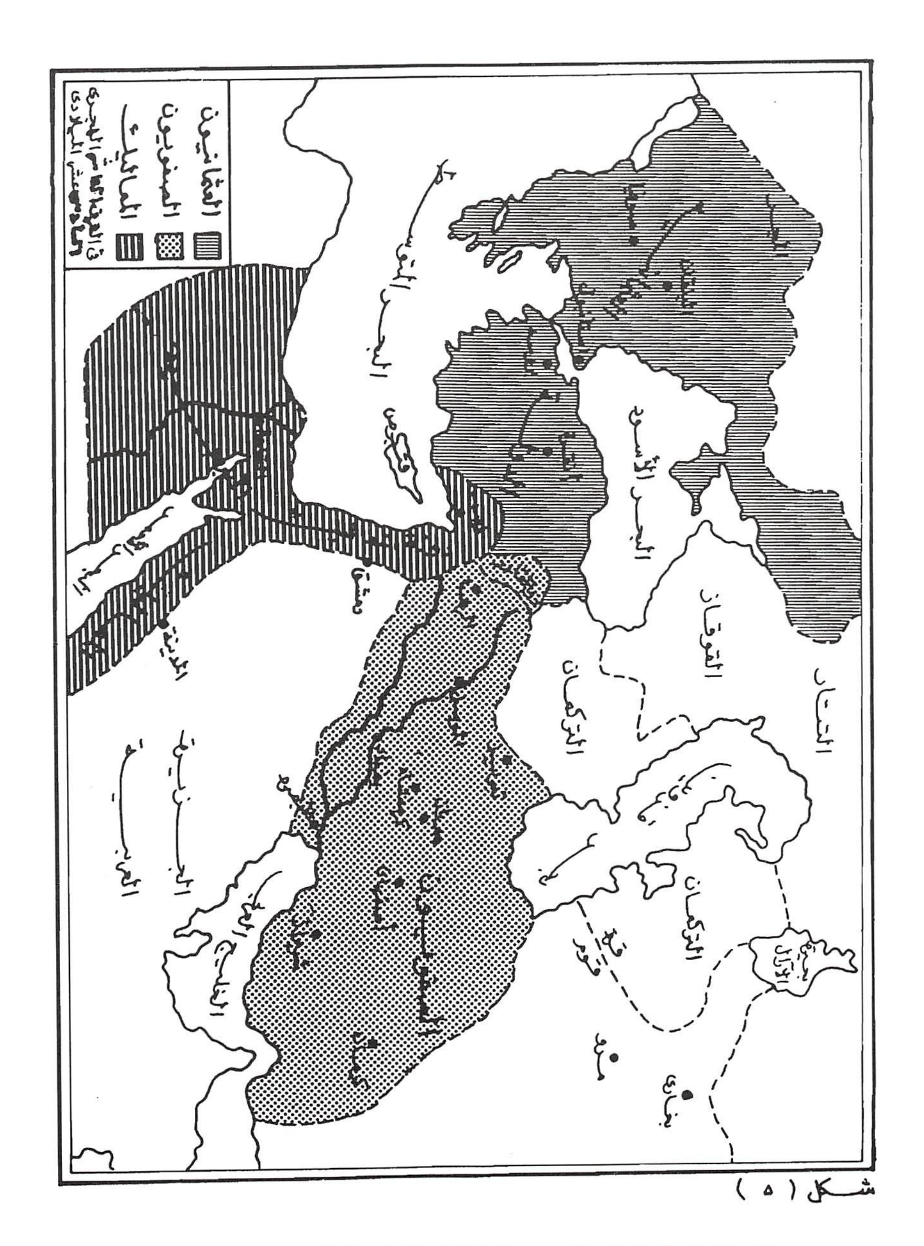
عدن في بداية مرحلة الغزو البرتغالي للبحر الأحمر

ملحق رقم (٤)



البرتغال في أفريقيا وآسيا في القرن السادس عشر

ملحق رقم (٥)



شكل (٥)

الدولة العثمانية وتوسعها في الشرق في بداية القرن السادس عشر يظهر عليها حدود الدول الإسلامية

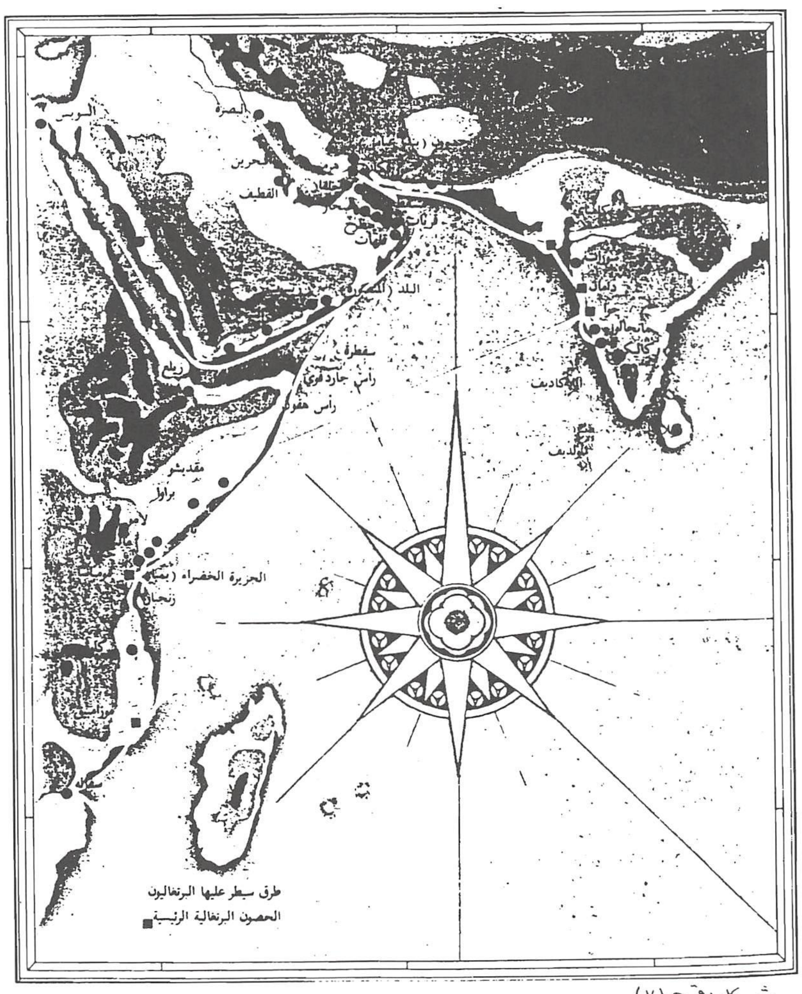
ملحق رقم (٦)



شكل رقم (٦)

عُمان والخليج العربي

ملحق رقم (٧)



شكل رقم (٧)

البرتغاليون والطرق التي سيطروا عليها في المحيط وبحر العرب في القرن السادس عشر الميلادي..

عُمان وتاريخها البحري : وزارة الإعلام والثقافة ١٩٧٩ (ص٥٧)

ملحق رقم (٨)

فاسكو دي جاما

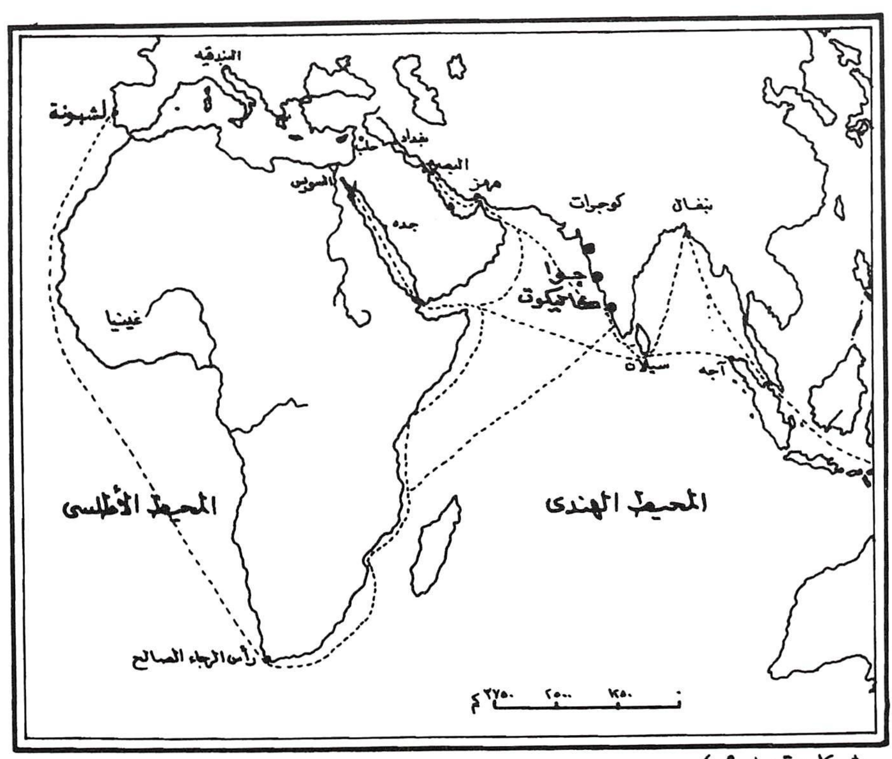


شكل رقم (٨)

خريطة : تبين خط سير رحلة فاسكو دي جاما عبر رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧م، حيث انطلقت من لشبونة العاصمة البرتغالية إلى الهند ويظهر في الصورة فاسكو دي جاما ورفاقه وهو يسلم رسالة ملك البرتغال عمانويل لساموري سلطان كجرات

المعرفة : المجلد الأول ص٢٨ – ٢٩ بدون تاريخ.

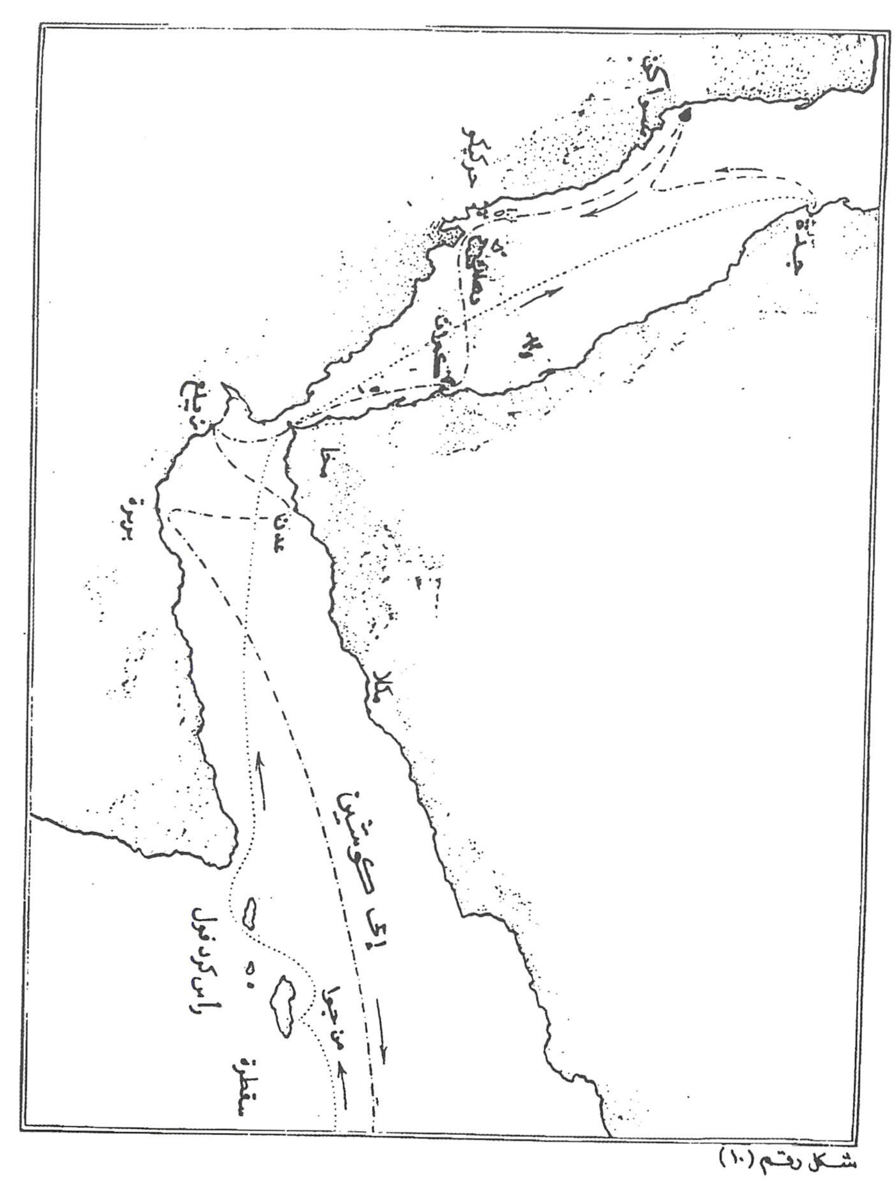
ملحق رقم (٩)



شكل رقم (٩)

الخطوط التجارية البحرية البرتغالية في القرن السادس عشر

ملحق رقم (١٠)



شكل رقم (١٠)

خريطة للبحر الأحمر ويظهر عليها خط سير حملة لوبوسواريس الذهاب والعودة من جدة إلى إلى جوا والتي باءت بالفشل في عام ١٥١٧م.

KAMMERER : OP. CIT. T. II. P. 267

ملحق رقم (١١)

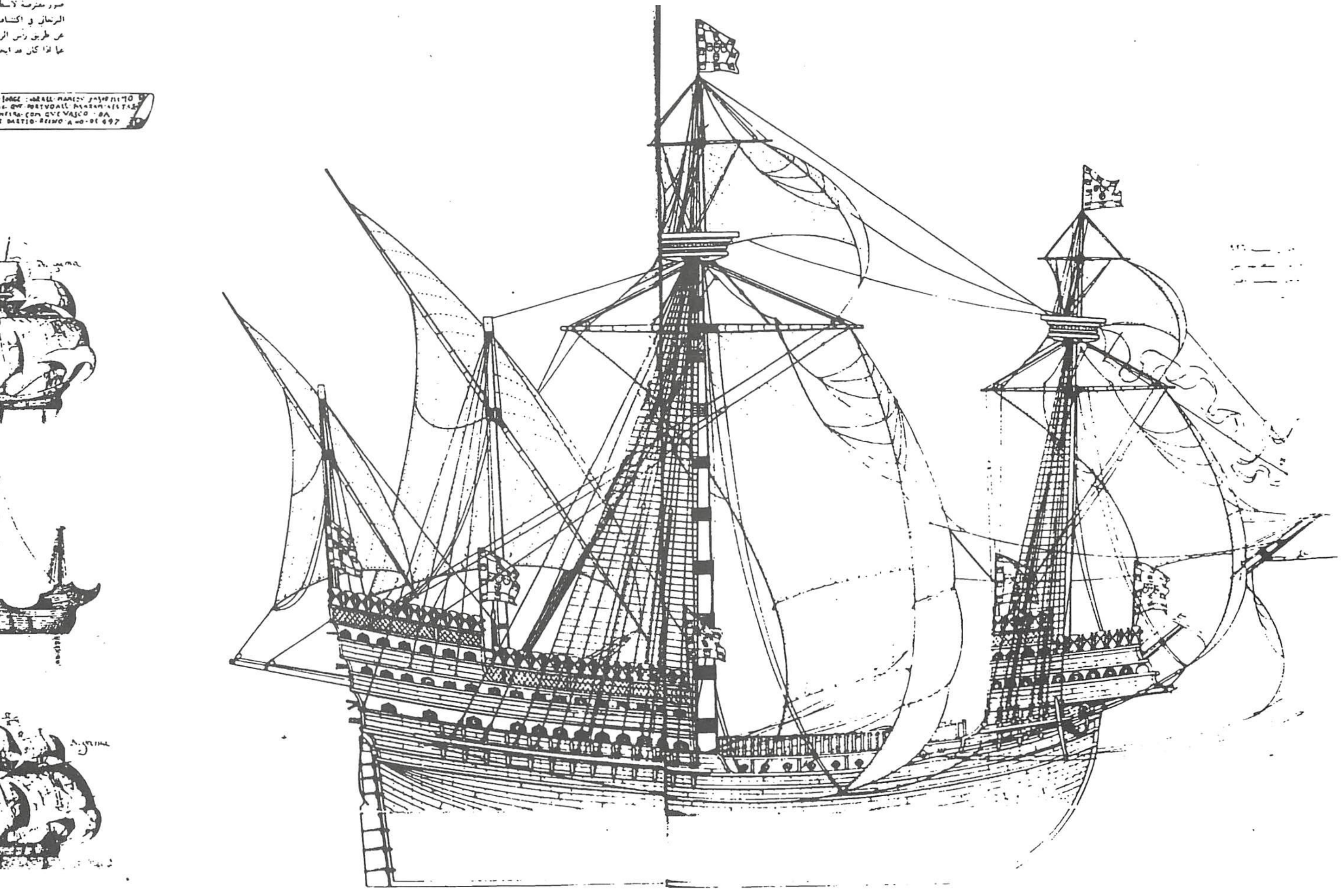


شكل رقم (١١)

خريطة لجزر البحرين في الخليــج العربي بعد احتلالها
من قبل البرتغاليين عام ١٥٢٢م (١)

(١) KAMMERER : OP. CIT. T. II. P. 279

ملحق رقم (١٢)

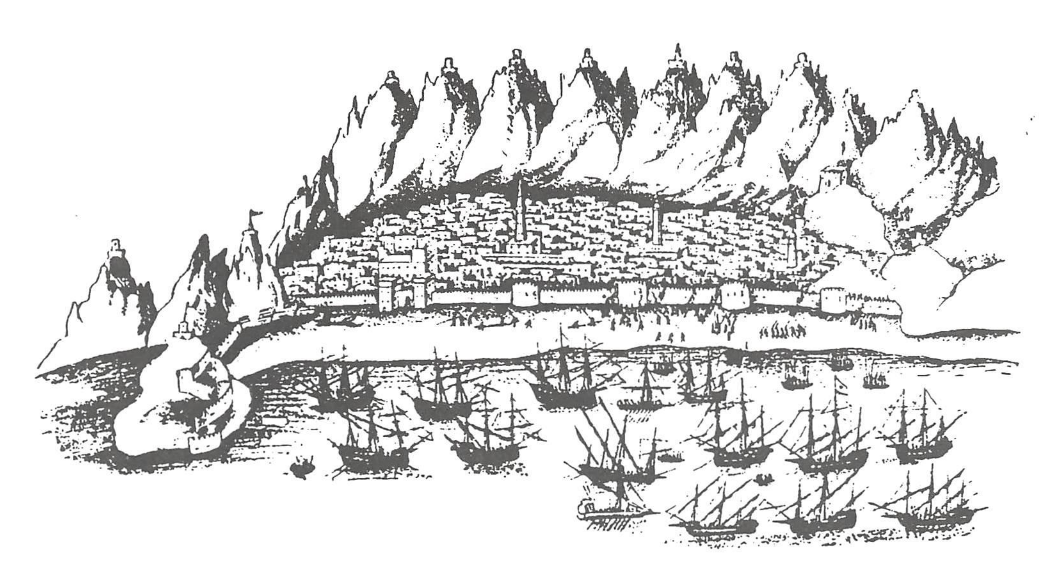


صـــورة رقـم (١٢)

سفينة حـربية بـرتغاليـة حوالي سنـة ١٥٢٠ ميلاديـة وتظهر سفن فاسكودي جاما الثلاث.

عمان وتاريخها البحري: وزارة الإعلام والثقافة ١٩٧٢، ص(٥٤).

ملحق رقم (١٣)



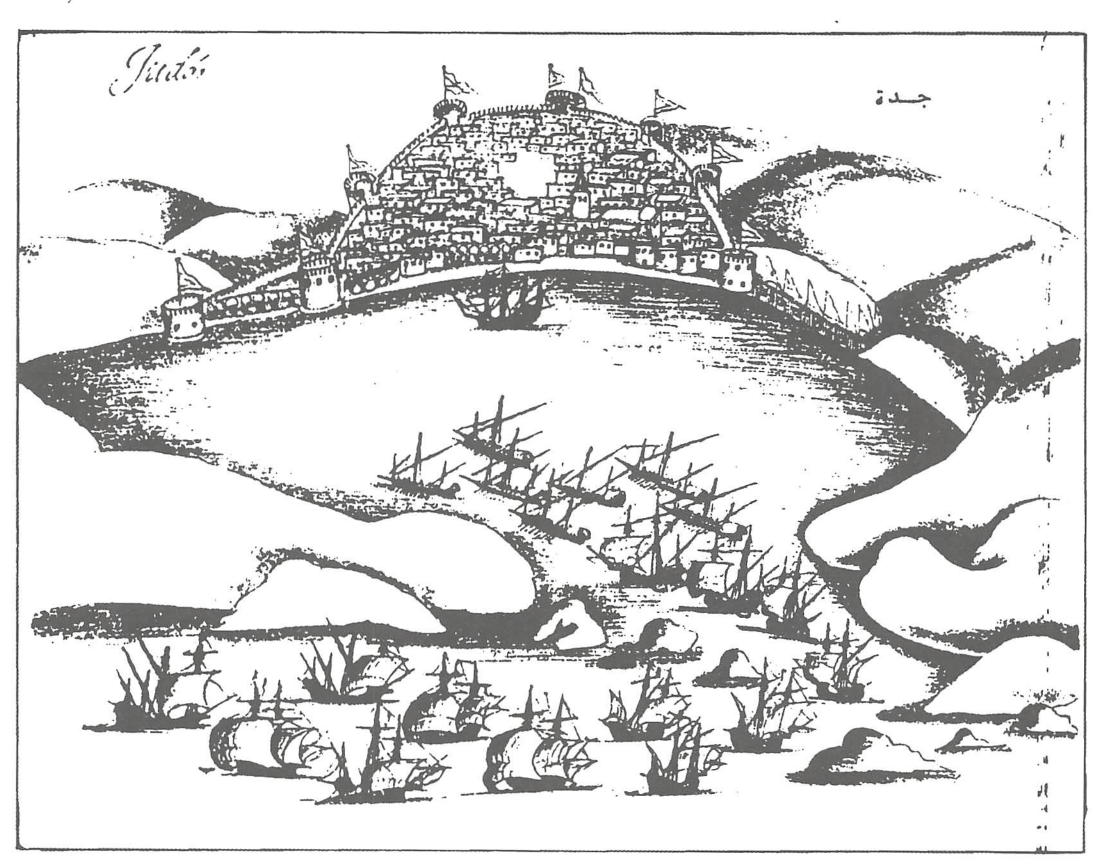
صورة رقم (١٣)

منظر لميناء عدن اثناء الهجوم البرتغالي عليها عام ١٥١٣م، بقيادة البوكسيرك (١)

DR. JOST RTANCISCO DOS SANTOS: ALFONSO DE ALBUQUERQUE

SONHO DA INDIA P: 272

ملحق رقم (١٤)



صورة رقم (١٤)

منظر لميناء جدة خلال الهجوم البرتغالي بقيادة لوبواسواريس عام ١٥١٧م، وتظهر التحصينات المنيعة التي بناها المماليك عام ١٥٠٥م على يد حسين الكردي.

ANGELO PESCE: OP. CIT. P. 86

No Anno de 1497 —

Partio Vasq da gama pera a India a oyto de Juego por capitão mor co quatro vellas 3 pera ho descobrimento da India e hua carregada de mantimentos pera se co elles e co a gente dellas Reformarē, das quaes [illegible] erão os capitães /—

ملحق رقم (١٥أ)

أنـواع السفن البرتغاليـة الحربيـة منذ القـرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي.

FUNDACAO DA SUA: EDICAO DA ACADEMIA DAS CIENCIAS DE LISBOA NO SEGUNDO CENTENARIO (LISBOA 1979).



Paullo da gama

Irmão de Vasco da gama á tornada pera Portugal, Varou e os bayxos Antre [illegible] nos quaes [illegible] S. Raphael [illegible] se [illegible], e a gente della se Repartio pellas duas da companhia —



Vasquo da gama,



Nicolao coelho.



goncallo nunez.

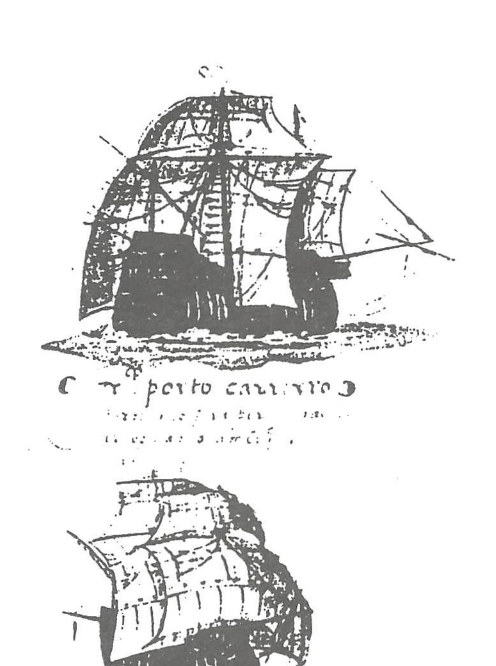
Criado de Vasq da gama depois da Mao ter passado ho cabo de boa esperança e ser pouco avante da aguada de São Bras se Repartirão os mantimentos e a gente della pellas outras da companhia, e de [illegible] pe [illegible] poserão fogo /—

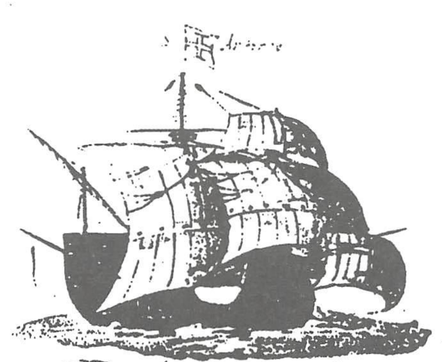
صورة رقم (١٥)

No Anno de 564.

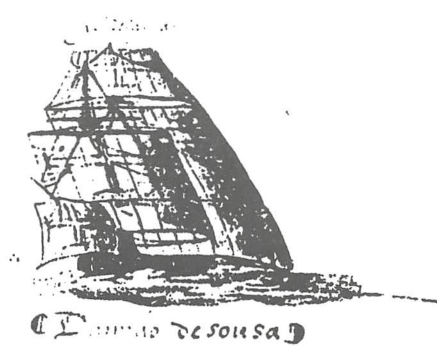
Parto Dom Antão de noronha por Viso Rey da India com quatro Naos estes capitães

ملحق رقم (١٥ ب)





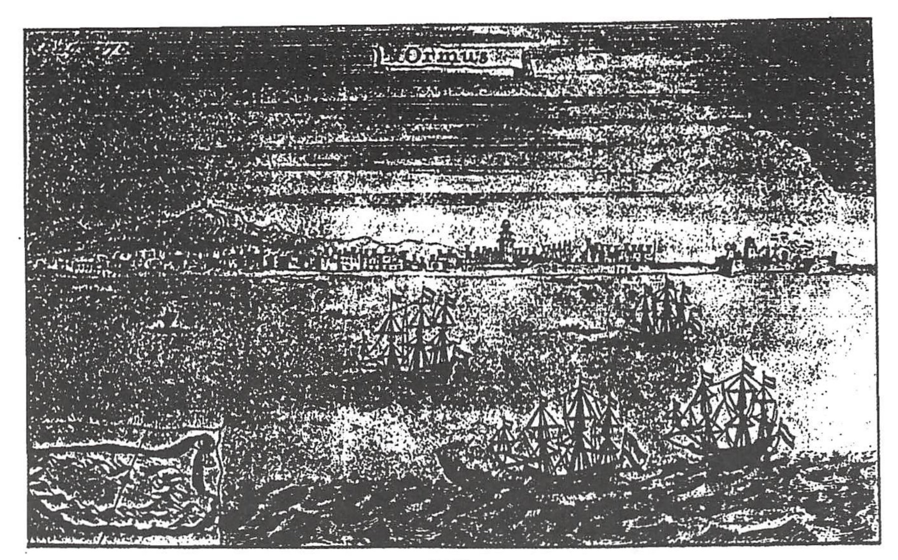
(أنواع السفن البرتغالية الحربية في القرن السادس عشر)



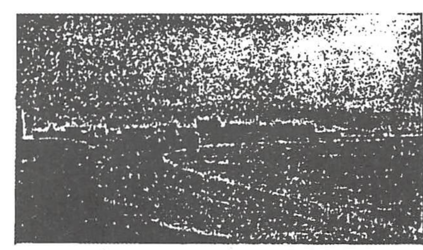
صورة رقم (١٥ ب)

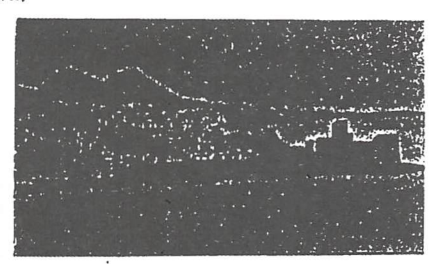


ملحق رقم (١٦)





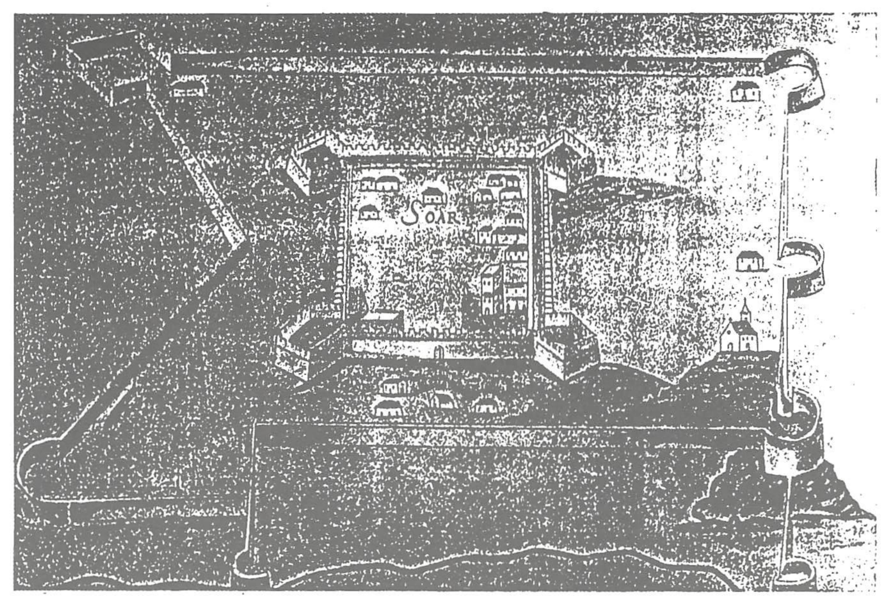




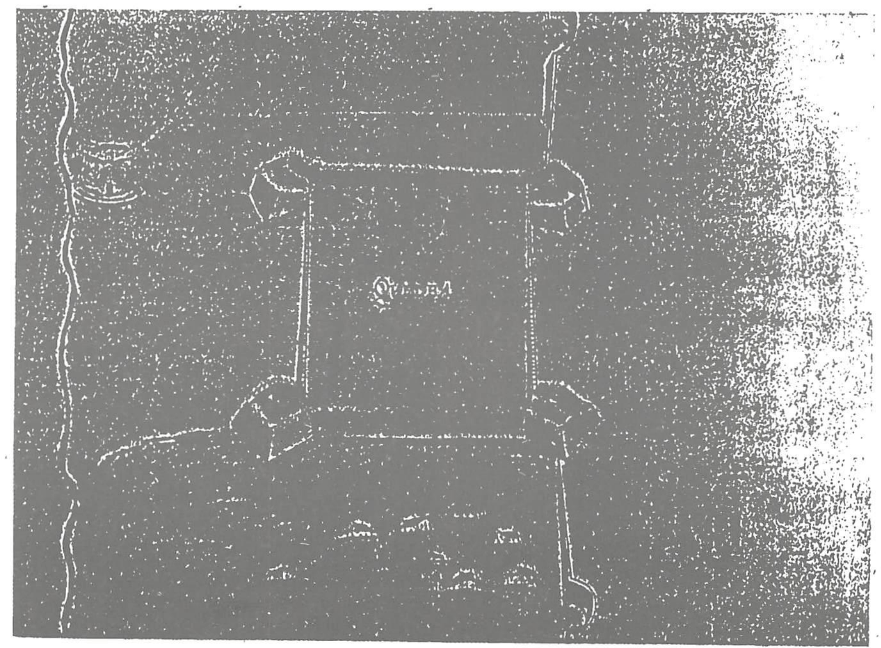
صورة رقم (١٦)* منظر عام لمدينة هرمز ويظهر التطور العمراني في ذلك العصر وتظهر كذلك القلاع والحصون التي شيدها البرتغاليون والتي اكتملت على يد الفونسو البوكيرك عام ١٥١٥م.

SILVEIRA LUIS : LCONDGRAFIA DAS CIDADES PORTUGUESAS DO ULTRAMAR (LISBOA. ND) . P. 328

ملحق رقم (١٧)



Est. 502



Est. 503

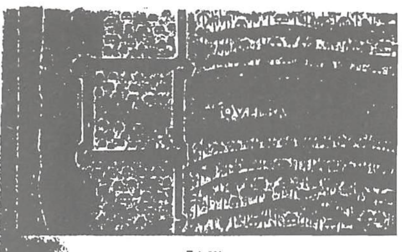
صورة رقم (١٧)

منظر عام لكل من صور العمانية، وكلبا الإمارات وتظهر القلاع والاسوار التي بناها البرتغاليون اياه دخولهم منطقة الشرق الغربي في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي وكلا المدينتين تقعا على الساحل الشرقي للخليج العربي(١)

SILVEIRA LUSI. : OP.: P. 316

ملحق رقم (١٨)

منظر عـام لتحصينـات كلبـا وخـورفكـان على يـد
البرتغاليين في بداية القرن السادس عشر الميلادي
SILVEIR LUSI. : OP.: P. 317



Est. 504

Dimensão da mancha: 272 × 180 mm.
Dimensão externa: 279 × 185 mm.
Cota: F. C. B.

In: *LIVRO DAS PLANTAS DAS FORTALEZAS, CIDADES E POVOAÇÕES DO ESTADO DA INDIA ORIENTAL*

Aguarela, sobre papel.
Dimensão da mancha: 290 × 375 mm.

Cota: F. C. B.

In: *LIVRO DAS PLANTAS DAS FORTALEZAS, CIDADES E POVOAÇÕES DO ESTADO DA INDIA ORIENTAL.*

ESTAMPA 505

Aguarela, sobre papel.
Dimensão da mancha: 290 × 375 mm.
Dimensão externa: 300 × 400 mm.
Cota: B. P. E. — CXV/2-1.
Legenda:

Título: *Mada.*

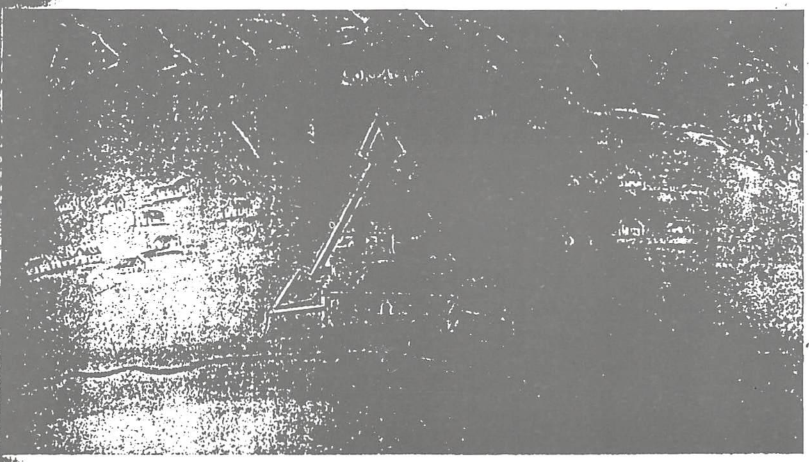
In: *LIVRO DAS PLANTAS DE TODAS AS FORTALEZAS, CIDADES E POVOAÇÕES DO ESTADO DA INDIA ORIENTAL* ... Aguarela n.º 12.

ESTAMPA 506

Aguarela, sobre papel.
Dimensão de mancha: 416 × 660 mm.
Dimensão externa: 442 × 682 mm.
Cota: B. N. L. — Il. 149.
Legenda:

Título: *Mada.*

In: MARIZ CARNEIRO (ANTONIO) — *DESCRIPÇAM DA FORTALEZA DE SOFALA E DAS MAIS DA INDIA COM HUMA RELLAÇAM DAS RELIGIÕES TODAS Q HA NO MESMO ESTADO.* 1639. Carta n.º 12.



Est. 505

Dimensão externa: 300 × 400 mm.
Cota: B. P. E. — CXV/2-1.
Legenda:

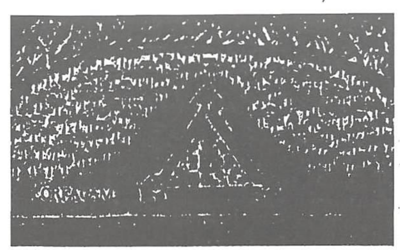
Título: *Corfacam.*

In: *LIVRO DAS PLANTAS DE TODAS AS FORTALEZAS, CIDADES E POVOAÇÕES DO ESTADO DA INDIA ORIENTAL* ... Aguarela n.º 10.

Aguarela, sobre papel.
Dimensão da mancha: 413 × 660 mm.
Dimensão externa: 442 × 682 mm.
Cota: B. N. L. — Il. 149.
Legenda:

Título: *Corfacam.*

In: MARIZ CARNEIRO (ANTONIO) — *DESCRIPÇAM DA FORTALEZA DE SOFALA E DAS MAIS DA INDIA COM HUMA RELLAÇAM DAS RELIGIÕES TODAS Q HA NO MESMO ESTADO.* 1639. Carta n.º 10.



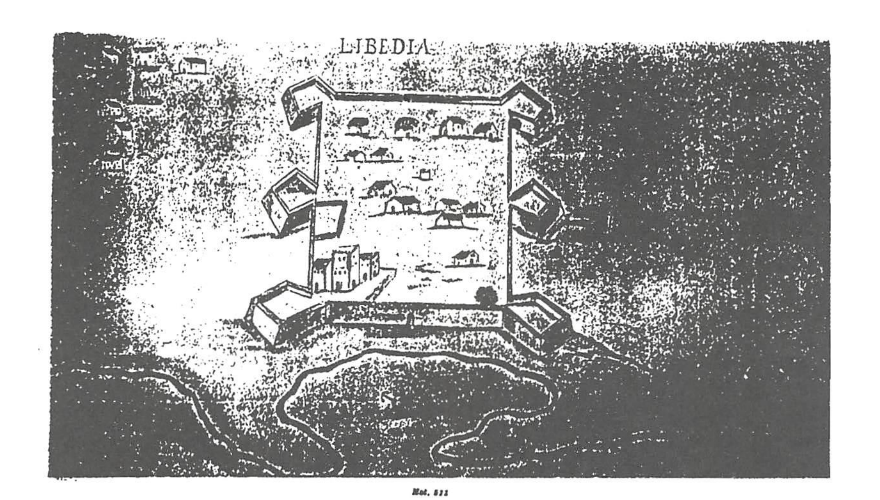
Est. 506

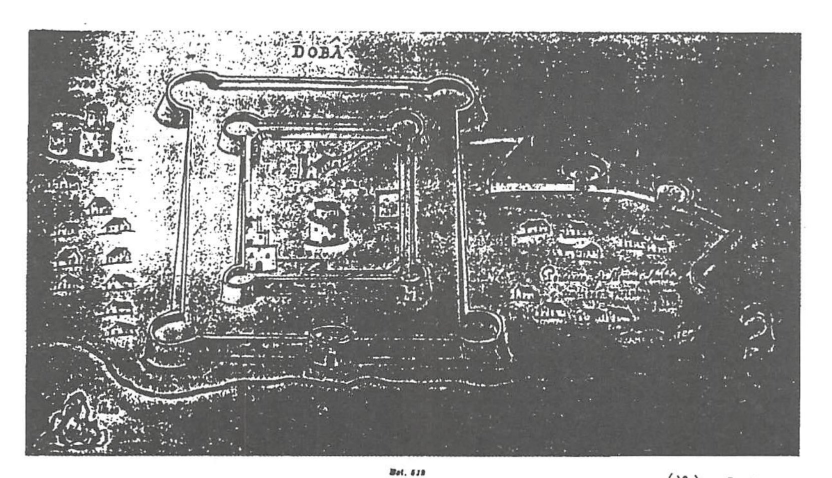
صورة رقم (١٨)

ملحق رقم (١٩)

منظر عام لمنطقة دبا وباسميها العربي والبرتغالي وتقع على الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة وتظهر القلاع والحصون ومساكن البرتغاليين العاملين على السفن الحربية.

SILVEIRA LUIS: OP: P. 393



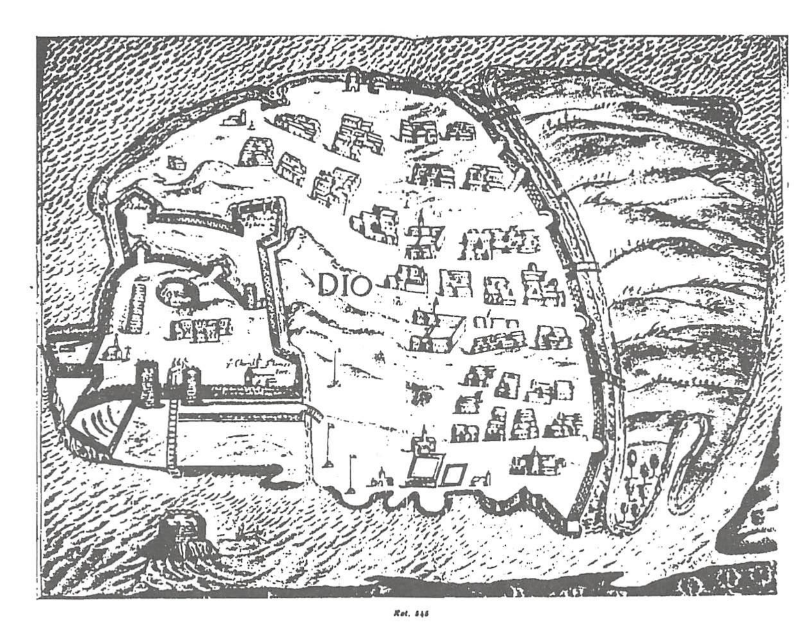


صورة رقم (١٩)

ملحق رقم (٢٠)

منظر عام للحصون والقلاع والأسوار لمدينة ديو بالهند عام ١٥٣٨م.

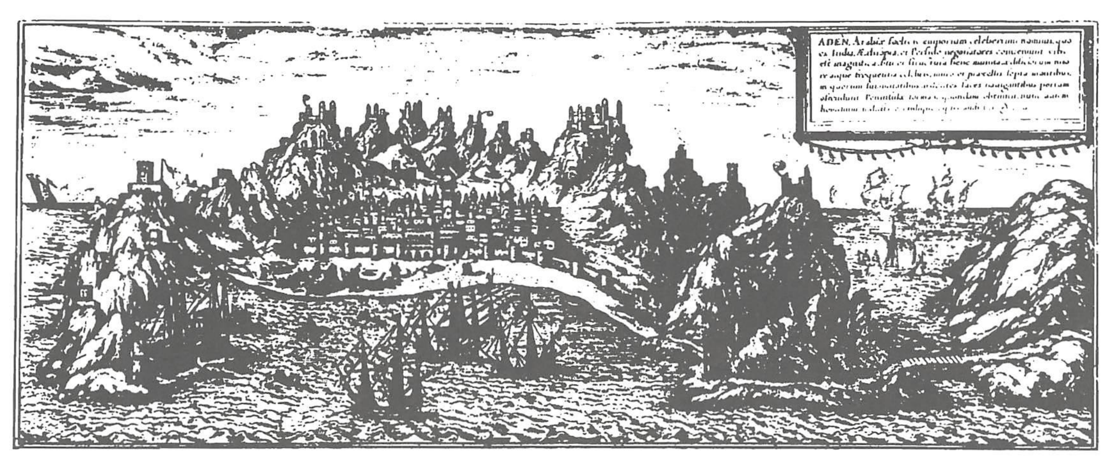
SILVEIRA LUIS : OP. CIT. P. 336



Est. 545

Est. 546

ملحق رقم (٢١)

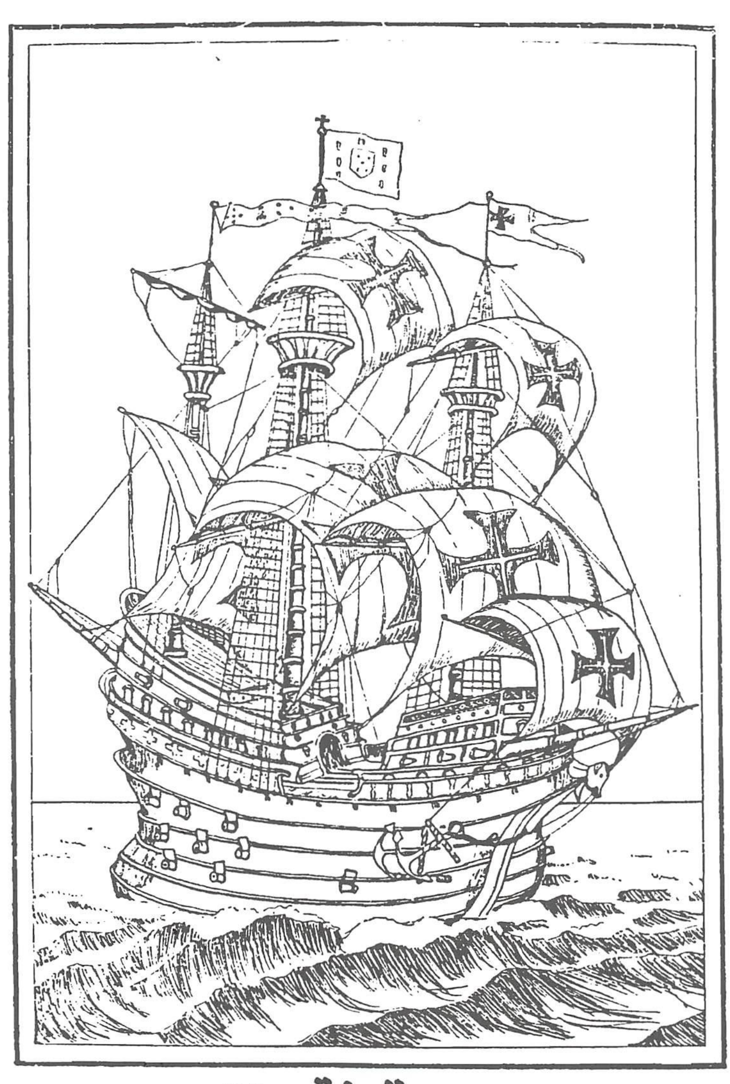


صورة رقم "٢١"

منظر عام لعدن في القرن السادس عشر وهي الثغر الهام
بالنسبة لمدخل البحر الأحمر

ANGELO PESCE: OP. CIT: P62

ملحق رقم (٢٢)

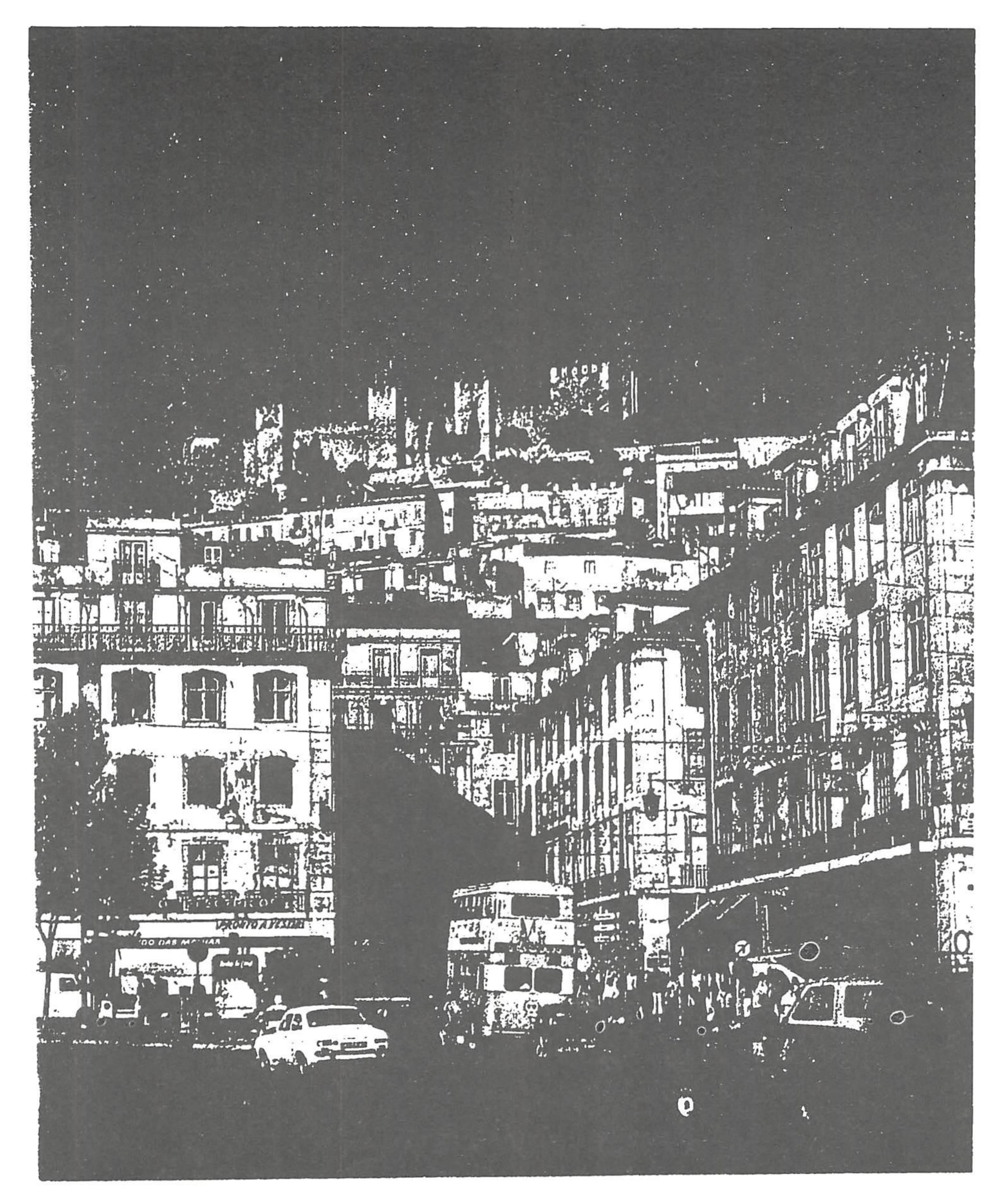


صورة رقم (٢٢)

منظر لإحدى السفن البرتغالية التي ظهرت في البحر الأحمر(١)

DR. JOSE FRANCISCO DOS SANTOS
OP. CIT. P. 244

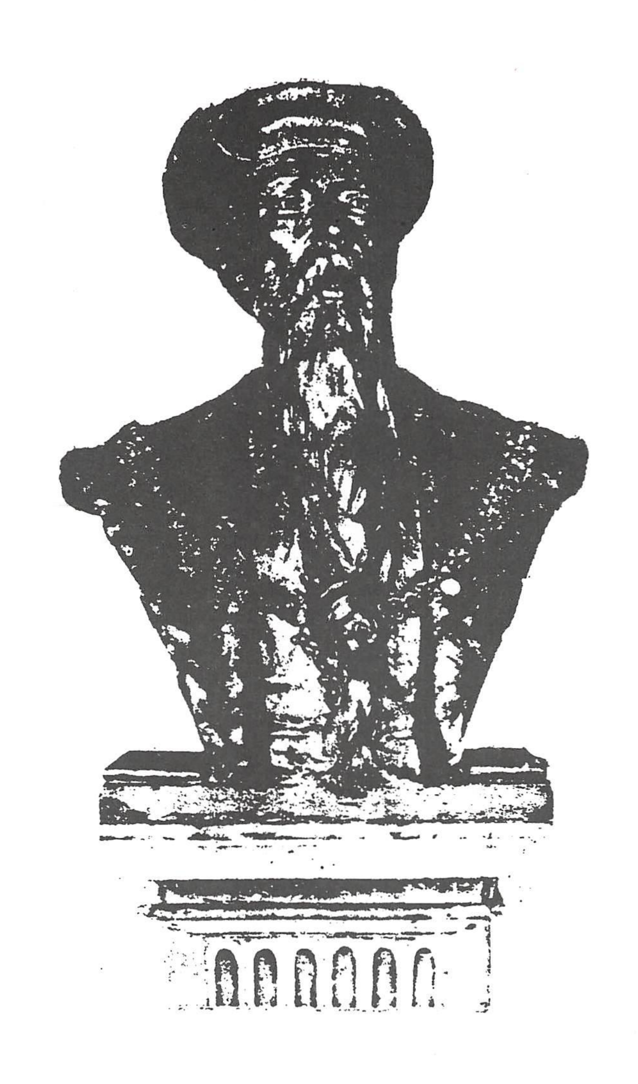
ملحق رقم (٢٣)



مدينة لشبونة عاصمة البرتغال اليوم يعلوها الحصن العربي القديم بعد ترميمه

طارق خالد : مرجع سابق، ص: ١٠٢

ملحق رقم (٢٤)



صورة للقائد البرتغالي الفونسو دي البوكيرك

DR. JOSE FRANCISCO DOS SANOS:
OP. CIT. P. 113.

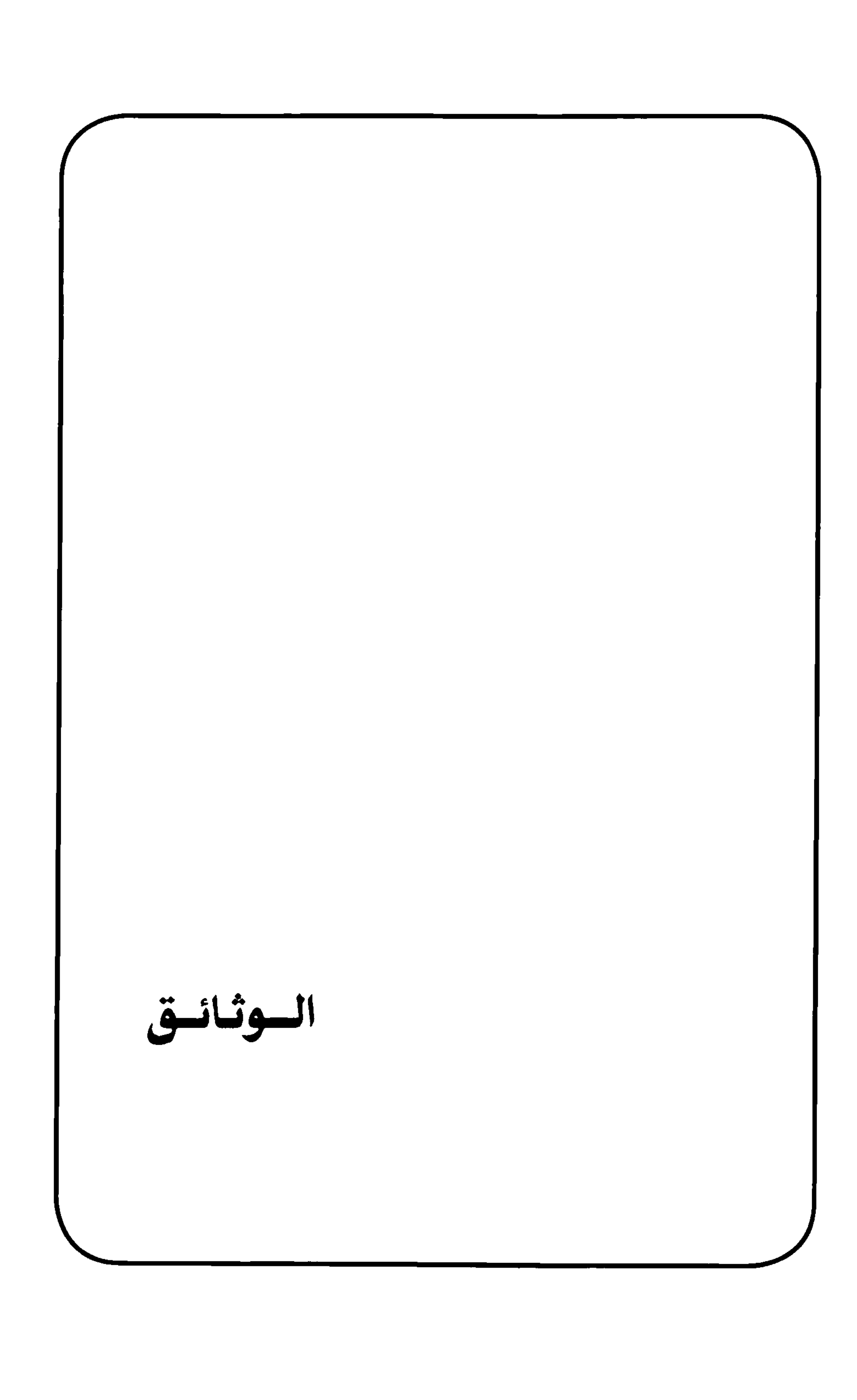
ملحق رقم (٢٥)



القائد البرتغالي فاسكو دي جاما..

ARMANDO CORTESAO

THE MYSTERY OF VASCO DA GAMA COIMBRA 1973, P. 12



الـوثائـق

ملحق رقم (٢٦ أ)



رسالة محررة بتاريخ ٢٤ من جمادي الأول سنة ٩١٧هـ / ٢٧ مارس ١٥١١م من راشد ركن وزير هرمز للملك عمانويل – المجمع الثقافي / مركز الوثائق والدراسات أبوظبي ضمن الوثائق البرتغالية

ملحق رقم (٢٦ب)

ملحق رقم (٢٦ جـ)

الملاحق

ملحق رقم (٢٧)

رودس في ٢٩ مارس سنة ١٥١٢ م

السويس، البحر الأحمر، سيناء، أثيوبيا، سوكتورا

معلومات عن خطط سلطان القاهرة ضد البرتغاليين.

أندرو دو أمرال مستشار رودس وقائد VERZ GRUZ يبلغ ملك البرتغال بأن سلطان القاهرة يخطط لتحطيم القوة البرتغالية في الشرق، وقد أمر ببناء عشرين سفينة شراعية وغيرها بالسويس ويرى دو أمرال أنه من المفيد تحطيم هذه السفن والمعدات الحربية قبل أن تكون جاهزة لأن السلطان لو انتصر مرة سوف يتشجع لمحاولات أخرى.

كما يبلغه أيضا عن الملاحة في البحر الأحمر موضحاً أن البحر كان مرتفع الأمواج (هائجا) نتيجة لجبال أثيوبيا وسيناء العالية، وكان الفارو فازدا فونسكا ALVARO VAZ DA FONSECA أحد البرتغاليين المرتدين هو الذي شجع سلطان القاهرة ليأخذ موقفاً تجاه التحصينات البرتغالية، وقد سأل ملك جزيرة سوكوتورا سلطان القاهرة لمساعدته بحرياً[1]

«بمساعدة مترجم»

A. N. T. T. C. C. I - II - 47.

RHODES, 29th MARCH 1512

SUEZ, RED SEA, SINAI
ETHIOPIA, SOCOTORA

INFORMATION ABOUT THE PLANS OF THE SULTAN OF CAIRO AGAINST THE PORTUGUESE

ANDRE DO AMARAL Chancellor of Rhodes and Commander of Vera Cruz, informs the King of Portugal that the Sultan of Cairo was planning to destroy Portuguese power in the Orient and that had ordered twenty galleys and ten "lastardas" to be built in Suez. AMARAL thought it would be advantageous to destroy those ships before they were ready because if the Sultan won once he would be encouraged to try again.

He also gives information about the navigation in the Red Sea saying that the sea was windy due to the high mountains of Ethiopia and Sinai. A Portuguese renegade, ALVARO VAZ DA FONSECA, was the one who encouraged the Sultan to take possession of the Portuguese fortifications. The King of the island of Socotora asked the Sultan for some navy help.

AN N.T.T., C.C. 1 - 11 - 47

Parte 1.ª

Maço 11. Doc. 47. N.º Inc. 1253

Aqui se acha dentro o Sumario deste Documento. &c.ª

A 29 de Março de 1512

1520



[illegible]

fazer por que antes que se fazer estes navios armados
se posam queimar / todos tem que destes navios
esta prestes por todo o tempo que nam mes ou nam
tem que se faça asi prestes e tudo vosa alteza
provera se nam tem provisto com nam tosa isto a que
por que se agora se faz a isto pouco caso ao despachar
falsa isto menos de vosa alteza / pa de saber
... isto ... nam tem outra cousa cuja ...
que o soldam nam tem outra cousa por certo que sempre se ...
aqueste que se diz com ella cousa ... trabalho naquelles partes ...
... mais ... vosa alteza faz ...
despesa e perda de gente que se vosa alteza ... fantasia
da ... armada no mar
... mais fora em emprendera ... vosa alteza pa...
... afazendo fora vosa alteza ...
... oje o mester esta espantado ...
nam aver carta de vosa alteza em reposta ...
que se diz fazendo lhe saber da tomada dar...
da do soldam por que o papa ...
... de yngraterra contra os ...
aqui nam ha outra cousa senam folgar ...
dos ynfieis ... respondendo e lombardo ...
feito e que vosa alteza por que isto se faz ...
e pratica ... que nam se a tanto ...
... nam se sabe mudar a causa que os ...
disto me falam e ... que se ... prec...
outros / vosa alteza deve saber a causa com ...
ou ... que ... rastros que ... mande que

entender que nam vaão assy mas que isto em
magino por que agora em [illegible] que as cartas
de que [illegible] mestre que que mandey do quarto da
despulla do por de [illegible] que do trez que vay e
tres anos que fora em [illegible] effecto que agora
os abra vossa alteza rendido e pera isto [illegible]
que os que de [illegible] vão que fazer assy cos que
vay [illegible] outro tanto e portanto [illegible]
[illegible] com saberse desto a verdade por que
[illegible] a vossa alteza [illegible] de [illegible]
[illegible] importancia [illegible]
aquy esta [illegible] [illegible] [illegible] por
[illegible] que [illegible] a vossa
alteza como [illegible] mas [illegible]
[illegible] aremontado [illegible]
que [illegible] aquelle que escrevy [illegible]
[illegible]
os mouros [illegible] de [illegible] em frança
os mouros que [illegible] feyto alrey de frança
em feyto tanto que em feyto [illegible]
[illegible] embaixador [illegible]
[illegible] tomamos armada [illegible]
[illegible] que [illegible] fazer que [illegible]
e pera fazer paz [illegible]
[illegible] anos [illegible] fazendo isto [illegible]
frança [illegible] todos e fazendo isto [illegible]
dar [illegible] de frança que prometa de
[illegible] esperanças de [illegible]
[illegible] de [illegible]
[illegible] dito embaixador [illegible]
tugal que [illegible] nenhũa por que [illegible]
[illegible]

mo dise que o abia de my [illegible] / asy mesmo
de saber vosa alteza que todos [illegible] os [illegible]
e de portugal por que nam os dam [illegible] pugnadores [illegible]
se pode muito mal de vosa alteza prover por
se saber muito que podem muito ysto [illegible] infamia [illegible]
por que todos tem [illegible]
felix jorge vieira provisto da comenda de [illegible]
de capitam estabeleceo a sua [illegible] da [illegible]
que vosa alteza consente que frey aras de [illegible]
[illegible] do que ysto sua meyster que todo o comum [illegible]
espanta que abondo a Igreja feyto sem tal graça
e tam assynalado servyço a vosa alteza no que [illegible]
no dito felix jorge muito que vosa alteza [illegible]
[illegible] muito que asy tanto agrabo porque
[illegible] com [illegible] a vosa alteza que [illegible]
[illegible] de seu reyno mays proprio para
dar cargo nos mudos de alguna que a tem [illegible]
[illegible] em dues vezes respeyta de nosos que [illegible]
felix sempre patria de sua e na fara [illegible]
bortolameu / polo que sobre a vosa alteza de [illegible]
de dar sua comenda e nam no [illegible] que [illegible]
seus muitos feytos [illegible] por fazer como os [illegible] de [illegible]
[illegible] / nam tardara muitos dias que mandara [illegible]
no proprio [illegible] estabeleceo mays certo e mays
apontado e por ysto [illegible] e foy asy
de vosa alteza beyjando suas reays maos rogando
a noso senhor sua vida alto e poderoso estado acrecente
[illegible] de [illegible] a [illegible] de [illegible]

[illegible] de [illegible]

felix [illegible] vieira [illegible]

Poderosyssimo senhor

por que esta cousa he de tanta ymportançia
a meu juyzo (e por [illegible] que o mais se estuda adian
avyso de todas cousas por onde se entende
a este ymfiel soldam sempre fara o que dyzer
e por tanto vigiandome em ysto e tem
dandome como esta cousa se ha de fazer [illegible]
galles que sam navios apartados dart
de navegar dos navios acostumados navegar
nestes mares (e que ja mostra omjtos de gra
espritos pa comjgo e ysto nõ o sey pola esperiençia),
ya respeito que de fora ~~[illegible]~~ faraes sem
duvidas de tratar aquy nã se e ajnda
aquy [illegible] de avantajem de omes
ao mais como se entendes as outras cousas do
mundo (polo qual ~~a~~ me avyso de envedar
vosa alteza como aquy se ha [illegible]
telas [illegible] de 27 anos [illegible] se [illegible] a vista por que
tais espritos [illegible] que aquy se acabas (e mea [illegible]
[illegible] ordem [illegible] navegar como no ar
[illegible] asy no navegar como em todas outras
[illegible] e [illegible] ~~[illegible]~~ como em todas outras
cousas, por que me parece que se vosa alteza
[illegible] parece se [illegible] pa [illegible] (que me
[illegible] pa ysto se ocupar [illegible]
mandar aquy [illegible]
[illegible] ~~[illegible]~~ e a ~~[illegible]~~ e ~~[illegible]~~ [illegible],

que navio se guardara se que abra despacho
em vir este digo porque esta se razão e tam
gonços alhos e porque lhe vai pera mostrar se
ele vai e tambem porque mandalo se abentura
[illegible] navios de porto em porto pera [illegible]
sempre e esta cousa nam quer demora porque se
[illegible] nam demora e neste ponto esta se [illegible]
altiza pera passar ou pollo contrairo se nom re
mediar // asi mesmo sabera que ho mar roxo
he tudo ventoso a causa dos montanhas de etiopia
e [illegible] he mar estreito e breda
[illegible] porque se mar [illegible] por [illegible] porque
de que os mais dos [illegible] por [illegible] por que
sempre se [illegible] e outros [illegible]
outro [illegible] [illegible] e [illegible] estes [illegible]
acomodo de [illegible] porque [illegible] ja [illegible]
[illegible] que ha [illegible] anos que por fora asi que val
[illegible] abertidos os que natal navigaram [illegible] e da
banda da arabia [illegible] [illegible] [illegible]
do ja por outros estreitos da etiopia se a por
[illegible] que [illegible] portos [illegible] por [illegible] // na
[illegible] [illegible] mar [illegible] se [illegible] e ja outra
vez [illegible] estreito que [illegible] em comparaçam
[illegible] [illegible] grandes [illegible] que
[illegible] mortos [illegible] [illegible] pera
obras mortos [illegible] [illegible] [illegible] pera [illegible]
[illegible] como esta [illegible] [illegible] quer [illegible]
dos [illegible] navios que se navegam [illegible]
e [illegible] tanto mal [illegible]

+

Serenissymo Senhor tudo ho que [illegible] vossa
alteza do preparatorio que faz o sol-
dam nam o terá vossa alteza a [illegible]
antes fará tal conta por que he verdade
e agora vo aqui hum omem de rayzo o qual
diz que aquiste infante de a[illegible] em-
viado diz ao soldam que mandando esta
armada o fara quantos se na [illegible] da
todos os castellos nabios e tratos que
vossa alteza nas yndias e [illegible] de
[illegible] tem e asi [illegible] ylha [illegible]
quelle rey de [illegible] e ylha era [illegible]
da [illegible] [illegible] embaixadores
ao soldam que [illegible] desta armada
[illegible] omem por [illegible] aquelle
[illegible] vossa alteza [illegible]
[illegible] razoes e por
[illegible] naquelas partes
[illegible] omem [illegible] da fortaleza [illegible]
[illegible] o lugar de [illegible]
nabios [illegible] prometo que se tor-
[illegible] dom [illegible] que vossa
a vossa alteza [illegible] reposta [illegible] parte asi
alteza [illegible] [illegible] alteza [illegible]
tura desta [illegible] [illegible] por
ordem vossa alteza [illegible] para
amostrar omem [illegible] [illegible]
governar [illegible]

pa isso se emmendar algu[n]s capitulos novos [illegible]
aquelles q[ue] fiz ora Rezão o [illegible]
assy mesmo [illegible]

Ao excellentissimo e mui
poderoso senhor o senhor
Rey de portugal

[illegible]
~~[illegible]~~
Maço [illegible]

El Rey D. Manoel

N.º ~~[illegible]~~

Carta q[ue] escreveo o Comendador da Vera
cruz a El Rey Catholico a El Rey, em que diz
esta fazendo muitos navios em Sevilha, e
intenta fazer huma grande armada pera des
baratar a conquista das Indias, tendo por im con
selho de Alvaro Vaz [illegible], e de outros
[illegible] Lumpeis de [illegible]
da, pello q[ue] manda pedir a V.S. socorro, e de os
Mirandas e [illegible] que estão em [illegible]
comunicação que querem fazer com [illegible]
e de outras cousas destas [illegible] carta escripta em
[illegible] a 29 de Março de

[illegible]

ملحق رقم (٢٨)

رودس في ١٩ إبريل سنة ١٥١٢ م

خطاب من أندرو دو أمرال حول خطة سلطان القاهرة.

أندرو دو أمرال مستشار رودس وقائد VERA CRUZ يحذر ملك البرتغال مرة أخرى من استعدادات سلطان القاهرة المحرض بواسطة الخارج المرتد الفارو فازدافو نسيكا ليهاجم البرتغال من الشرق.

أنـدرو دو أمرال أعطى تـوصية لحامل الخطـاب (فـلان) الذي وصل لتـوه من القاهرة وربما يعطي تفصيلات أكثر.

A. N. T. T. C. C. I - II - 61.

RHODES, 19th APRIL 1512

CAIRO

LETTER FROM ANDRE DO AMARAL ABOUT THE PLANS OF THE SULTAN OF CAIRO

ANDRE DO AMARAL Chancellor of Rhodes and a Commander of Vera Cruz again warns the King of Portugal of the preparations of the Sultan instigated by the renegade ALVARO VAZ DA FONSECA To attack the Portuguese in the Orient.

ANDRE DO AMARAL gave a recommendation to the carrier of the letter the Genoese ANTONIO DE LA FRANQUI JULIA who had just arrived from Cairo and could give more information.

A. N. T. T., C.C. I - 11 - 61

N[illegible] Ar[illegible] 1512

[illegible] Nº [illegible]

Sr. Rey D. Manoel

Carta que escreveo o Chanceler e
Comendador da Vera Cruz a El Rey
em q. pedio recado e esclarecimento, para
o despreparatorio que faz o Soldam para
as couzas do dito S. e que devido isto fará com
o [illegible] o Patriarca Jenuy chamado An-
tonio de Liframeni Italia, e este seria o fere-
ar a seu serviço [illegible] que pedia o era
assim, e que recebera cartas do Guardiam
de Hierusalem. Escrita em Rodes a 12 de Abril
de

Perez

Maço 11. Doc. 54. N. [illegible] 1267 1512

A 12 de Abril de 1512

[illegible]

posto que nam tenha escrito a vossa alteza por mais ou
quatro vias dos grandes preparatoryos do soldam
que faz na terra do rumes de vossa alteza por ordem
e figura de aluaro vaz e asi mesmo que este
[illegible]
[illegible]
ma antonyo [illegible] por [illegible]
esta [illegible] portador e
por que [illegible] vay [illegible] esfyto [illegible]
[illegible] a vossa alteza [illegible]
tonpas em [illegible] outra [illegible]
[illegible]
a vossa alteza [illegible]
[illegible] aconta [illegible]
[illegible]
[illegible] aquy e [illegible]
ventura vossa alteza [illegible] aquele
[illegible]
do gardiam [illegible] outros
[illegible]
a vossa alteza e [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] outras [illegible]
vos [illegible] a vossa alteza
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

alteza se tera [illegible] // [illegible] de vosa
alteza cumprido / feito [illegible] de todos
de 19 de [illegible] 1512 e por que este [illegible] para
nos em [illegible] que [illegible] que elle [illegible]
ester [illegible] poderia [illegible] dano e asy [illegible] por
que este [illegible] se requere cura [illegible] vosa alteza sempre e
[illegible] tanto se [illegible] por outro e por vosa alteza [illegible]
[illegible] nada //

[illegible]

[illegible] de vosa alteza [illegible]

ملحق رقم (٢٩)

كوشيم في أول ديسمبر سنة ١٥١٢م

ملقا كلكتا

خطاب من ملك كوشيم إلى د. مانويل الأول يشكر ملك كوشيم ملك البرتغال للكرم واللطف الذي يلاقونه من شعب البرتغال ويعد بأن مملكته سوف تحترم البرتغال طالما هو وورثته على قيد الحياة. كان ملك أوشيم سعيدا لأن د. مانويل قد قبل الفيل الهدية الذي قدمه له.

ولقد قدم لـ ARAL ووالديه بعد أن اعتنقوا الدين المسيحي الاحترام والتقدير والمساعدة حيث كانت هذه رغبة ملك البرتغال، وكان الفلفل جاهزاً للشحن إلى البرتغال ولكن لا تصل السفن أحيانا في الميعاد، ونقلت السفن البضائع من ملقا دون موانع أو عوائق.

ولقد نصح د. مانويل ليأخذ حذره من ملك كلكتا لأنه كان خائنا ولا يجب التباحث معه في السلام.

وقد ذكر في رسالته أن لديه قرفة وتوابل أخرى في انتظار السفن البرتغالية.

A. N. T. T. C. C. I - I2 - 35.

COCHIM, 1st DECEMBER 1512

MECA, CALECUTE

LETTER OF THE KING OF COCHIM TO D'MANUEL I

The King of Cochim thanks the King of Portugal for the kindness and courtesy shown to them by the Portuguese people and promises that his Kingdom will serve Portugal as long as he himself and his heirs were alive. The King of Cochim was happy because D'MANUEL appreciated the elephant that was sent to him.

To "AMRAL" and his parents, who became christians, he rendered courtesies as it was the wish of the King of Portugal. The pepper was ready to be shipped to Portugal but sometimes the ships didn't arrive in time and the ones from Meca transported the goods without any impediment.

He advises D'MANUEL to atke care with the King of Calecute because he was a traitor and peace should not be negotiated with him.
He reminds that he had cinnamon and other spices awaiting the Portuguese ships.

A.N.T.T. C. C. 1 - 12 - 35

N.º

Rey D. M.

Carta de El Rey de Cochim a El Rey de Portugal, em q̃ lhe diz q̃ tudo q̃ lhe forem encomendados o fará com mayor vontade, e asim tambem nas cousas q̃ forem de seu serviço, visto a sua obrigação ... o premitir mais: q̃ lhe mandar q̃ os seus Governadores e sucessores no Lugar de El Rey, e lhe de vacam devidos e lhe dá conta como em Calecut se matou m.ta gente, e tambem seus tios, pello q̃ esperão lhe mover guerra, e q̃ pella paz e de outras cousas, ainda q̃ gente andem desordenados. Feita em Cochim a 4 de Dezembro de

1512

Parte 1.ª

82 Maço 12. Doc. 35. N.º seq. 1373

El Rey D. Manoel

Carta 1.a

Maç. 12 Doc. 35 N.o seu 1373

Carta d'El Rey de Cochim p.a o de Portugal, em q. lhe agradece o bom tratam.to q. lhe fazem os Portuguezes, e se queixa do de Calecut por lhe matar seus s.res de q. m.to espera tomar vingança &.

Feita em Cochim ao 1.º de Dezembro de 1512

Senhor

[illegible]

quando o alifante que vossa alteza me mandou dizer que
chegara vi na rellação que trazia bem pareceome que era
necessario mandarmos na pimenta. que ha hum alifante
[illegible] que vy nesta naao e hey memoria
de [illegible] que he muyto boa sobre imformada.

os navios fiquam que la por [illegible] os que vaão que fiquão na
os outros alifantes e vyão na nossa [illegible] ja
vossa alteza. que queira que se [illegible] mais [illegible]
[illegible] que [illegible] pequeno e [illegible]. chegaram cá
desta C/

quando fui a [illegible] com os paredes e fumos que se ganhara
que me vossa alteza encomenda. rellação [illegible] e
reparos que me [illegible] [illegible] e fumo [illegible]
[illegible] muyto [illegible] e nos navios fiquam que me [illegible]
de se [illegible] reparos. que me pesar de [illegible]
nenhum. que o fazer [illegible] e [illegible] me no
[illegible] por [illegible] se fala [illegible]
guardar [illegible]
[illegible] e rellação [illegible]

[illegible] as naos [illegible]
[illegible] aragoça [illegible] mandaram aragoça. [illegible] os governadores
os naos que mandaram [illegible] de aragoça
[illegible] pera a vossa alteza que [illegible] aragoça [illegible] aqui [illegible]
[illegible] nos [illegible]
[illegible] naos [illegible] na bem [illegible]
tambem [illegible] de [illegible]
[illegible] e a [illegible] dos [illegible] e as
naos [illegible]. e [illegible] que
[illegible] alteza que
[illegible] e [illegible] que o [illegible]
[illegible] bem [illegible] boa
[illegible] e [illegible]
[illegible] e bem [illegible] e [illegible] bem [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] de 1512

[illegible]

ملحق رقم (٣٠)

كوشيم في ١٥ ديسمبر سنة ١٥١٢م

خطاب أنطونيو ريال إلى د. مانويل الأول:

أنطونيو ريال يتهم AFONSO DE ALBUQUERQUE بأنه يعامل البرتغاليين معاملة قاسيــة ولهذا السبب أصبح الكثير منهم مسلما، وقد فقد أفونسو بعض السفن وبعضها تجرد من الـذخيرة، ولكن الشيء الوحيـد الذي كان يهمـه هو حروب الفتح، ولقد ترك التحصينات عند كوشيم، وأنطونيو ريال اعتقد أن كل القوة يجب أن تركز في كوشيم لأن كل الأعمال النهائية تتم هناك: كل التحصينات الأخرى غير ذات أهمية، ولقـد اعتقد أيضا بضرورة بنـاء أحد التحصينـات في البحر الأحمر التي كان قد أمر بها الملك منذ زمن بعيد.

A. N. T. T. C. C - I - 12 - 44.

COCHIM, 15th DECEMBER 1512

COCHIM, RED SEA

LETTER OF ANTONIO REAL TO D.MANUEL I

ANTONIO REAL accuses ALFONSO DE ALBUQUERQUE of maltreating the Portuguese and for that reason many of them were becoming Moslems.

ALFONSO lost some ships many others were deprived of munitions but the only thing that interested him was in conquest war. He left the fortress at Cochim. ANTONIO REAL believed that all the power should be centralized in Cochim because all the final loading was done there. The other fortresses were at a disadvantage. He believed in the necessity of building one fortress in the Red Sea which the King has ordered long ago.

A.N.T.T. C. C. 1 - 12 - 44

[illegible] N.º [illegible]

Parte 3.ª Annuncia [illegible]

[illegible]

Carta de S. A. Real [illegible]

[illegible] a Cidade [illegible]

[illegible]

[illegible] que [illegible]

[illegible]

[illegible] monstro [illegible]

[illegible] por causa [illegible] d'elle [illegible]

[illegible]

[illegible] da [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ainda [illegible]

[illegible]

a 15 de Dez.º de 1512

Mac. 12 Doc. 44 N.º [illegible] 1382

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

Na fortelleza [illegible] com todolos offiçios [illegible] / [illegible]
[illegible]

Antonio Real

ملحق رقم (٣١)

الميريم في ٣ ديسمبر سنة ١٥١٣م

أرمـــز

الدفع إلى سفير الملك لدى هـــرمـــز

د. مانويل الأول ملك البرتغال يبلغ أفونسودي البوكيرك قائد الهند أنه قد دفع إلى سفير الملك لـدى هرمـز ١٥٠ وحدة نقـد سنـويا في أول يـوم في السفر لمسـاعدتـه لأفونسو في أي وقت.

وقد سمح أيضا للسفير نيكولا وفيريريا ليعود إلى البرتغال ومعه ٣٠ كوينتالا[١] من القرنفل والقرفة وستون كونتالاً من أي توابل أخرى.

aA. N. T. T. C. C - I - 14 - 13.

(١) (كونتال = ١٢٠ رطلاً)

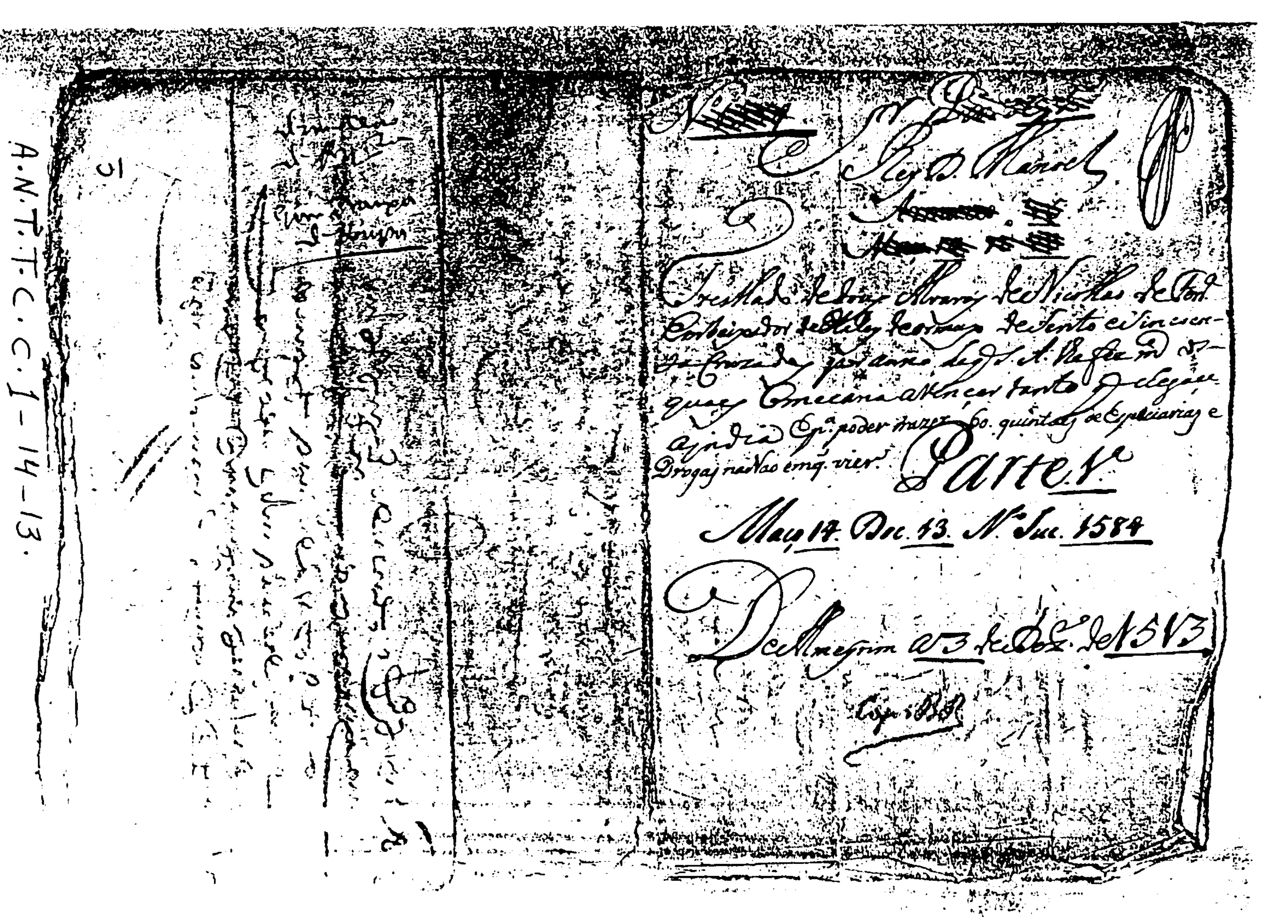
ALMEIRIM, 3rd DECEMBER 1513

ORMUZ

PAYMENT TO THE AMBASSADOR OF THE KING OF ORMUZ

D. MANUEL I, King of Portugal, informs ALFONSO DE ALBUQUERQUE, Commander of India, that he paid, to the Ambassador of the King of Ormuz, 150 cruzados a year commencing on the first travelling that, for his assistance to ALFONSO DE ALBUQUERQUE whenever needed.
He also allowed the Ambassador, NICOLAU DE FERREIRA, to return to Portugal with 30 quintals of clove of cinnamon and 60 quintals of any other spice. (1old quintal = 120 pounds)

A.N.T.T., C.C. 1 - 14 - 13



Rey D. Manoel

Treslado de hum Alvara de Nicolao de Pont.

poder trazer 60. quintaes de Especiarias e

Drogas na Nao em q. vier. Parte 1ª

Maço 14. Doc. 43. Nº ... 1584

De Almeyrim a 3 de ... de 1513

A.N.T.T.C.C.I-14-13.

[illegible]

Nos elRey fazemos saber a vos [illegible]

[illegible]

que asimos com o dito [illegible] de elle
dell cavs ditos que ditos [illegible] / [illegible]
alu [illegible] por [illegible] e fazer [illegible]
[illegible] [illegible] como [illegible]
[illegible]
[illegible] / [illegible]

[illegible] alu [illegible]

[illegible] fazemos saber a vos [illegible]
[illegible]
[illegible] das Indias [illegible]
[illegible] que [illegible]
[illegible] que [illegible]
[illegible]
[illegible] poder [illegible]
[illegible] como [illegible]
[illegible] / [illegible]
[illegible] que [illegible]
[illegible]
[illegible] / [illegible]
[illegible] podera [illegible]
[illegible]
[illegible] que [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] / [illegible]

ملحق رقم (٣٢)

الحمد لله وحده

ورق الاول

هذا الحديث من عند بابا عبد الله مسلمين من بندر الهرموز وهو خادمكم
وصل من بندر الديبه الى بندر الكشي [illegible]
كفطان المور المسمى افونسو بلبكرك [illegible] بندر المذكور [illegible]
تسلم على يد كفطان المور على حين رجع من بندر الملاقه [illegible]
قال للكفطان المور اسئل انت من بابا عبد الله المذكور عن جهة الخبر
البندر الديبه المحل وعلى اطرافها وهو معرف بجميع الحكايات وبعد يا
سيدي ان المملوك قد تواضح الى كفطان المور معنا كان عن خبر الديبه
ومحصولها وبعد هذا قد قربني كفطان المذكور انك تكون في الواسطه
بيني وبين سلطان الديبه وتجعل معنا صلح طويل وانت تكون ترجمان
بيني وبين السلطان وانت تكون الوزير الخاصه وجرى بيننا شرط والقول
وكتبت له خط يدي عن جميع الشرط الديبه وكذلك [illegible] لكفطان المور
مسطور عن قوله لاجل مني واخبرت للكفطان المور ان الناس الديبه
ناس ضعيف وما يحتاج عليه حرب والخصومه وعليه مبلغ المال محصول
وهي فايده على سلطان البرتكال وقبل هذا الصلح لمحصول الديبه على يد
عام على المليباري وهو في كل سنه قابض وانت يا كفطان تحكم على
عام على المذكور في اخذ المحصول المذكور وتقول له هذا المحصول الديبه يكون
من جهت السلطان البرتكال فبعد هذا ان المملوك قد خرج مع [illegible]

رسالة من بابا عبدالله أحد مسلمي هرمز إلى الملك البرتغالي عام ١٥١٥م في عهد البوكيرك حاكم الهند - ضمن الوثائق البرتغالية التي أعدها المجمع الثقافي - مركز الوثائق والدراسات - أبوظبي.

المور من بندر كشي الى بندر الجوه وقد وصلنا الى بندر الكنمور وطلبنا
الام علي وهو حضر الى مجلس الفطان المور وقد قال للكفطان المذكور
على ام علي انت تحصل في كل سنه محصول الديبه بالقوه وان
تحل حتى ناخذ من محصول الديبه وهي للبرتكال وقد قبل ام على
انه لا يقرب في محصول الديبه وكتب خط يده واعطى للكفطان المور
وكتب فيها شهود في مجلس المذكور وهو فوكر حسين مليباري وحولها
في والوليد المشورو دون غرشي مع نواخيذ البرتكال
ان نعيدا محصول الديبه الذي كان ناخذ في كل سنه الان وهي
يكون للبرتكال السلطان وبعد هذا كفطان المور سافر من كنمور
الى بندر الجوه والمملوك معه وفي الجوه كان حربيه على سيلب
حصن بنستري وقال الكفطان المور بعد اخذ البنستري ناتي
لك غراب والعسكر ونصدر لك الى الديب وبعد يا سيدي
قد قبض حصن بنستري وان المملوك قد قال للكفطان تعطي لنا
غراب والعسكر حتى نسافر الى الديب فبعد هذا ردّ في جواب
ان اوراق وصل من عند سلطان البرتكال وامر لنا على حروج البندر
العدن والغراب وعسكر جميع يكون معنا انشاء الله بعد ما نرجع
من العدن ناتي لك غراب والعسكر وانت يا بابا عبدالله تروح الى

عاو لحان

ورق الدالي

عادلخان وتورّدی خطنا علیه وبعد ما نرجع من العدن وانت تجیء
الی الدیب وان المملوک قد طلع الی عادلخان وتواضع له واخبرت عن
جمیع الذی معنا قال کفطان المور وبعد ما سافر کفطان وحصل العدن
وان المملوک نزلحق عند عادلخان وقلت علی کفطان تصدرنی الی الدیب
ورد لی جواب ان باشدر هرموز جاء من عند سلطان البرتکال وجاب
الاوراق لاجل یبنی الحصن فی [illegible] وان نسافر الی هرموز وبعد هذا
للمملوک صدر الی الدیب فی سنبوق مام علی اعطانی خطوط واوراق لاجل
سلطان الدیب والوزرا لاجل تقبیض المال الذی کانوا یعطوا مام علی
وحتی یکون من جهت سلطان البرتکال ولا یعطوا لمام علی وقال لی
کفطان المور تاخذ هذا الورقة وتسافر الی الدیب وتعطی لکل واحد ورقة
وانت تجلس فی الدیب حتی نرجع انا من الهرموز وان المملوک قد قبل
وسافر الی الدیب وبعد ما وصل الی الدیب مثل ما وصی کفطان المور
اعطیته اوراق باسم کل واحد وتاخرت حتی یرجع کفطان المذکور
وجاوا انفر مال من جهت محصول الدیب وطلبوا من السلطان محصول
وقال السلطان قد جانی اوراق کفطان المور وکتب فیه لا تعطوا
مال المحصول لانفار مام علی وان کان انتم تریدوا المال هاتوا خط ید
کفطان المور وقالوا کفطان المور قد یات حین یرجع من الهرموز

ولكفطان الثاني اسمه لوبس سوارس وكام علي قد تصالحوا وتراضوا بينهم
وهو المحصول الذي يتأخر عندكم اثنين سنه تعطوا فبعد يا سندي
انوار مام علي قد قبضوا محصول النصف عن الديب وتاتي موسم دخل
دون صوان جرهي كفطان سيلان في الديب وقال للسلطان الديب
ترسل اثنين وزير كي الي بندر الكشي عند كوطان المور حتى يتفق
بينكم وبين كفطان المور فبعد سلطان الديبه ارسل رجالين من
عنده وان الملوك معهم ووصلنا الي الكشي وتلاقينا كفطان المور
وقد تصالحنا في كل سنه الف وخمس مايه بهار قنبار وهي حبل
والعنبر ايش ما يخرج من البحر نصف لاجل سلطان الديبه
ونصف لسلطان البرتكال وفي هذا الشرط قد تواقفوا وتصالحوا وتراضوا
وكتبوا خط ايادهم وكتب كوطان المور خط بقلم الفرنجي واعطى في يد
انوار السلطان الديبه فبعد هذا عرف الخبر مام علي ان انوار سلطان
دخلوا في كشي وتصالحوا وكتب مام علي الكفطان المور لاجل امر الديبه
يعني ايش ما يعطي جماعة الديبه وهو نعطي ان من عندي وما لكم حاجة
تدخلوا في الديبه ان يعوق وجماعة الديبه ودفع المور في كل سنه
ان نسلم فبعد هذا طلب الخط كوطان المذكور وقد قطع واختلف القول

ورق الثالث

وكتب الورقة للسلطان غرع واعطا على يد وزير الديبه وان الملوك ووزير قد سافروا من كشي الى الديبه وتعلم يا سيدي من امر مام على وهو قابض ديبه نصف بلاده ويا خذ المحصول وهذا الوقت يكون حامل المذكور للسلطان كوطان يساعد ومن كل بدّ ندافع لمام على ويكون امر البلاد نضيف من جميع اشتغال ومحصول جميع يكون للسلطان البرتكال وبعد هذا مام على يريد في قلعة الديبه غراب لاجل هذا ان الديبه خرج من تحت امره واذا دفعتم له يكون جميع الخلق عن الديبه مستريح عن جميع شره وتعلم يا سيدي هذا الحال السلطان الديبه ووزرا والرعية راضين على جنكم وتحطوا له قدر اربع غراب وهي تكون دائم الدهر في الديبه وهذه الجزيرات هي على طريق المتجر مليح والمراكب كلها واصلين من جميع البنادر خصوصا من الملاقة والمرطبان والبيكو والبنجالة والفلفول ومن هند وهرموز وجميع لارض المليبار لاجل التجار، وفيها محصول بيع وشرار مليح واما فيها خصلة واصل لانه من ناس كلهم ضعيف واذا تشوشتم شوية كلهم يحربوا وتبلغ الديبه جميع لاجل انظلم وان الغريب فيها كثير اذا لقوا امان يكون محصول في البيع والشرار

وان كان بالحقو انشوش كلهم يخربوا والمراكب في البندر جميع بنحرق وتلف
الديبه وتعلم يا سيدي الذي اجناس صنف يحصل منها اولها
قنبار وهي حبل والثاني كوده وسوم فيها ثياب كثير والثالث
الصيد وهي تجاره من ديبه الى بندر الشاطر يشترو الناس
على قدر شحن المراكب وان الديبه وهي بندر للناس الضعفا
اكثر واهل البلاد ضعيف واما بطريق التجاره وهي مفيد
للسلطان وفي الديبه اول ما نحتاج الا امان وقد احد لا يظلم
والمراكب الذي يدخل من جميع البنادر يكون لهم امان حتى يعملوا
بيع شرا وان المملوك اليوم يكون سبع سنين في خدمة السلطان
البرتكال وتركت بلادي واهلي وعيالي وقد استغرقت على خدمتكم
تتفضلوا على المملوك في المعاش ونفقة العيال ويكون تتفضلوا الى
وتعيشوا واي ما يجي كوظمان كتبتوا اسمي فيها يعني يا با
عبد الله وهي خادمنا يكون نظركم على عبدكم والسلام

ملحق رقم (٣٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدكم بيشمنا بشدور ابنا سلار برستجوان الى مولانا السلطان منويل نصره الله تعالى

اعلمكم باخبارنا من جانب قبطور النواخذة تسافرنا معه الى البحرين جمرالى جلفار والى عمان وقهرات لا اعطاني زاد ولا حاجة فلما وصلنا الى باب الحبشة ...

[illegible]

الرسالة التي ارسلها ماثيوس بشدور برست جدان إلى ملك البرتغال في ٢٧ فراير ١٥١٧م ضمن الوثائق البرتغالية التي اعدها المجمع الثقافي بمركز الوثائق والدراسات - ابوظبي.

للسلطان نصره الله وهو يرسل فيلطمو نصراني عاقل بودبني اخو الحبشه الى برنس
جوان وانكان للسلطان ما يريد يردني لكي برد كان اشتري و امشي من طريق
روها من اسكندريه اروح بلادي فجاوب عليه بالقوة الى الهند منعني في
كشي البيت اشتغل فيه ومنعني الخاتم مبه وقلت الحمد لله الذي هو
كله واصرفه على ما ينفعني شي وانا [illegible] من مولدنا السلطان نصره الله
ان كان نريد [illegible] جوان ارسل فيلطمو رسول عاقل بودبني بلادي
وانكان يامولانا ما لك غرض في [illegible] ان ارسل الجواب ردني الى بردعان
اروح الى روها بودبني بلادي نحن نسمع ونحن بالكن حتى بلسطو بتاعهم
ونحن صاحب الملك ابن الله رد لي الجواب فالى جالس في الهند لا ناس
اهل الموت ولا انا من اهل الحياة وارجع ما قال لكم وارسل الى البنوارص
وكتب لكم كله كلاب ونعلموا بامولدنا ما عمل هذه كله الا من جانب الفنسو
البكبر في دبريل بعمل كلاب وضيع عسكري وضيع مالك وضيع مراكبي
وان يامولدنا وما يريد نفعه باب الحبشه وما اعرف هذه من للسلطان
الا من هذه على والصليب وانت يامولدنا عقلت بمل الدنيا وانت
سلطان نصف الدنيا واحوك بريس جوان سلطان نصف الدنيا وانا اريد
انصف هذه واقلع هذه الطريق وصاحب بلنكر وبين اخوك بريس جوان
والبنوارص ما يريد وان جميع ما ارسل الى كلاب وهو ميزيد لي الموت
والله تعالى ما يريد وعلى التنحر واشتغالي البهم وما قلت و يريد
يقتلني [illegible] من مولدنا السلطان وانا بين جناح صبحا فونسو
[illegible] فلا رسلته البنورص الى دهلك وانا قعدت في دهلك وانا في مركب
ضعيف جوان [illegible] بطرس وهو في بركتي ومعه قريبا وكريد
بودي جوانتر واحد فنسس واحد عبد واحد مسلم قلت امشي الى
مصوع [illegible] بلد [illegible] هذه [illegible] دهلك [illegible]
[illegible]

الورنصو فزمر صبك وجابوني وقال انا ما اعلم بكلامه الا الذي فالمركب
قبطمور البشوارص فلت قدامه كاتب الفرنسيس وقدامه معلم الفرنسيس
براس السلطان متوسل لا نرلو البر الى دهلك بكلامكم فاشهدوا مني
وارسل صيبك دبجاو ومه واشكل كاتب الفرنسيس الذي جا الى الكم صحيح كلم
اومه صحيح وصوه بعلميه بالربا ونعلم الذي جابين البحر في المراكب كلهم وتحلفهم يتكلموا
بالحق فالله يجيه وانا ياسيدي مولانا ما احد يحسب السلطان بردعار
بالغريجي لهم اهمن يكتب الى ابنا كتاب تشفنته وما احد اكتب
لي شي ودل لي كاتبين من مولانا السلطان ونحن ياسيدنا في فلس شي كثير
ما يونسعه الي كان بدا انا بامر مولانا السلطان جالس في عشي ما علي الي
حاملكيه ولا عندي زاد ونعن للشي وجميع ما معي ما عندي
وابوس يد البر الشي ذلك ومن جناب السلطان ضوبامر ناخيفين زباس
عظم الله تعالى برحمها ويبرد قلبكم وان جميع بردعا بيقصو لي من
جهة البشوارص وكان ومنه ومن اهله ومن البحر وانا بامر
ما عندهم يحكم الا صوتا جوا الذي يكتب في مركبه شان برطس
مانه عندهم شي ما علوه القبطان الذي جلبت معهم الي عمل كاك الي
بردعان صوة الذي عمل ماله كالة وقلسله بعد هلك برلس السلطان
ابشي كان يفلح الداب ويكلم بيد نكانس والرعيان الى جل يلحي قبطمور من
جلده قفانا ما احد من السلطان انا احلب قبطمور وسيايل وحلفو
دبجاو ومله مصر يتكلم بالحق وحلفه وقرده انه يعرفو وكان
معنا في المركب كانتا معنا من قبطمور في جلد وانا احلفهم الى دهلك
وانا ازوبتهم الطريق الى دهلك والا كان ضاع المركب نحو ما امر
السلطان انت نشتري يسرا ونعنفهم اعتقهم لوجه الله تعالى
صلواتكم لي جواب سوغنه بالذي يلهم الله تعالى

ملحق رقم (٣٤)

إلى السلطان الكبير دون منويل السلطان برطقال صاحب [illegible]
سيد عماوة والغربين [illegible] اقاليم البلاد [illegible]
اهل الهنود والاحسان والتفضل [illegible]
العساكر والجنود [illegible] بين خير وفضل
ومنن وعطا واحسان [illegible]

إلى السيد السلطان دون منوال السلطان برطقال صاحب عماوة والغربين
سيد الذهبين مالك اقاليم البر والبحر ومالك جزور البحر مالك العربية والعجمية
واقاليم الهنود والفرسية مستفتح البلاد بجميع الامصار صاحب بلدان مباركة ميمونة
محفوظة محروسة مأمونة وبقعة [illegible] محفوظة السلطان الذي اشتهر بالنعوت
الشامخة [illegible] بالوصوف الراسخة وارتفع بالجود الفائحة وافتخر
بتمسك [illegible] الناسخة الذي اجتهد بعموم اسلام النصارى
[illegible] الاخر فاجتمع وبادر حبل السماء فلنا
واستمع فاطاعة كل شي [illegible] السلطان العزيز الذي
اقنع كل من أقرب وأدنى [illegible] السلطان الكبير الذي لا يغيبه شي
الأخر [illegible] السلطان الذي يخرج من
فيه حسن الجواب ويترك من كلامه كل الصواب السلطان الذي
من طلب منه مقاصده نال عند كل المطالب ومن اجتنب
عنه ابتلى بالمصائب ادام الله عزه ومعلنا لكم ان صاحبكم
السلطان ملندي علي بن السلطان علي يسلم عليكم سلاما كثيرا
ويقبل [illegible] كثيرا ويعتمد كما عهدنا
كثيرا [illegible] خبركم [illegible] ليلا ونهارا ويعلمكم
ان دون منويل [illegible]
من اهل [illegible] فقبله منه واعطاني بركتكم
الحمد لله كثيرا [illegible] ملندي يكون بركتكم
[illegible] بكثرة واصيلا ويعلمكم
[illegible] ليلا ونهارا [illegible] علينا كثير لا يحصى
[illegible] وكاتب هذه التذكرة [illegible]
[illegible] بن قاسم الرعيبي
[illegible] السلام

رسالة بدون تاريخ من سلطان مالندي علي بن السلطان علي إلى ملك البرتغال عمانويل ضمن الوثائق البرتغالية التي أعدها المجمع الثقافي بمركز الوثائق والدراسات - أبوظبي.

ملحق رقم (٣٥)

هرمز، مسقط، مكة، فارس، باكروا

لشبونة ٥ إبريل عام ١٥٩٨م.

خطاب من حكام البرتغال إلى كونت فيدجيورا

اتصل حكام البرتغال مع نائب ملك الهند واتخذت القرارات التالية بواسطة الملك ويوقع العقاب على هؤلاء الذين يأخذون الفلفل إلى هرمز ومسقط ويوضع جيش في مضيق هرمز لتفتيش المسافرين إلى تلك الحصون وإلى مضيق مكة، ويقيم مفتش في قلعة مسقط لمنع تفريغ الفلفل المأخوذ من هناك إلى الموطن الأصلي، دراسة مميزات الترخيص لمصوع والأماكن الأخرى، وفي فارس بدون إعاقة هؤلاء المسافرين إلى باكورا لأن هذا سوف يوفر فوائد مالية للميزانية الملكية للتعامل مع البرتغاليين الذين يسهلون رحلات الألمان إلى البحار الجنوبية، بالخريطة كل الحصون والقلاع في الهند لكي تعرف في المملكة.[١]

(١) ملخص : الخطاب المرسل من حكام الثغور البرتغالية في الشرق الأفريقي والخليج العربي إلى الكونت نائب حاكم الهند لاتخاذ الإجراءات الخاصة بالقرارات الصادرة من الملك البرتغالي لتشديد الرقابة على الصادرات من الهند إلى كل من هرمز ومسقط ومكة ومصوع وفارس وغيرها[١].

١ -

A. N. T. T. MISCM

LISBON, 5th APRIL 1698

HORMUZ, MUSCAT, MECA,
MASUA, PERSIA, BACORA

LETTER FROM THE GOVERNORS OF PORTUGAL TO THE COUNT OF VIDIGUEIRA

The Governors communicate with the Viceroy of India and the following decisions are taken by the King; punishment to be given to those who took pepper to Hormuz and Muscat; an army to be present in the strait of Hormuz to check the ships going to those fortresses and to the Strait of Meca; an inspector of ships to reside in the fortress of Muscat to avoid the unloading of pepper being taken from there to the mainland; to be studied, the advantages of the licences to Masua and other places in Persia without obstructing those going to Bacora because this would bring benefits to the Royal Finances; to process the Portuguese who facilitated the voyage of the Dutch to the South Seas; to the map all the fortresses of India in order to be known in the kingdom.

A.N.T.T. Misc. Ms. Convento da Graca, Tomo 2E, pp. 405-406

Por estarem as vias saradas, e eu nao ser lembrado se escrevi o que
nesta [illegible] vão nellas, pareceo aos srs que [illegible] queria melhor [illegible]
rense que deixar V. Sª de ser avido, a resolução que S. Mde [illegible] tem
tomado, sobre que lhes escreveo, em suas cartas pera se fazerem [illegible]
P. V. Sª

Foi S. Mde informado dos inconvenientes que avia sobre armar [illegible]
assim que vão as fortalezas de Ormuz e Mascate, e que requeria remedio com
que se atalhasse esta desordem, e tomadas as informações necessarias se
resolveo S. Mde em dever mandar executar as penas que sobre isso
estão postas, e tambem relevarensse os culpados de alguma pena de
[illegible] se por isso se lhes der, e que o principal remedio que isto tem
he mandar S. Mde que aja armada no estreito pera evitar que os
navios que não [illegible] pera aquellas fortalezas, e assi pera o estreito de Meca
e que na fortaleza de Mascate deve aver pessoa particular que busque
os navios que forem ter a ella pera se não poderem levar fora della.

E que sobre os cartases que se dão na fortaleza pera [illegible] e outros
lugares da terra, posto que se entende que não averá [illegible] se [illegible]
dissimulação pello muito proveito que disso resulta a fazenda de S. Mde parece
a S. Mde que se não devem prohibir por algumas rezoens que [illegible]
se apontão, mas que V. Sª tenha [illegible] e avise S. Mde da in-
formação que tiver com seu parecer.

Agora a partida destas naos veio de [illegible] armada [illegible]
ter [illegible] [illegible] que [illegible] [illegible]

405 no qual se tornarão [illegible] mais [illegible]
[illegible] q V. Ex.ª [illegible] tão [illegible] desta carta com todas as
[illegible] n'elles mais [illegible] cap.º q [illegible]
[illegible] Castilla [illegible] parece que V. S.ª se deue [illegible]
[illegible] ouuer ocasião pera isso, mandar [illegible]
[illegible] e que [illegible] no [illegible] cap.º [illegible]
[illegible] da [illegible] mayor [illegible] por [illegible]
[illegible] acudir a isso, e proceder contra os culpados, e [illegible]
encomendado no ultimo cap.º mas [illegible]
[illegible] cap.º de S. Mag.de a quem escreuem sobre isso, e [illegible]
[illegible] offiçio de V. S.ª [illegible] como [illegible]
[illegible] se deue a [illegible] com [illegible] cap.º [illegible]
[illegible] o que lhe he ordenado [illegible] a V. S.ª [illegible]

Tambem auiso a V. S.ª cap.º de S. Mag.de [illegible]
[illegible] bem [illegible] q poder ser [illegible]
[illegible] estado [illegible] S. Mag.de [illegible] auer [illegible] noticia [illegible]
quando se [illegible] como agora [illegible]
[illegible] que diz [illegible] S. Mag.de [illegible]
[illegible] Malaca pera [illegible]
[illegible] poderem [illegible]
[illegible] mais [illegible]
[illegible] agora, e outras [illegible]
[illegible]
[illegible] he informado que [illegible]
[illegible]
principal [illegible] terra [illegible]
[illegible] annos, [illegible] que [illegible] muito [illegible] qualquer [illegible]
de experiencia por [illegible] os [illegible], e outros [illegible]
[illegible] S. Mag.de [illegible]
[illegible] entendão [illegible]
[illegible] S. Mag.de [illegible] seu parecer [illegible]
[illegible] de [illegible] de [illegible]

ملحق رقم (٣٦)

ترجمة رسالة السلطـان سليمان القانوني إلى D. Joao، الثالـث في سنة ٩٥١ هجرية / ١٥٤٤م.

قـدوة الأمراء العظـام العيسـوية، أسـوة كبراء الفهـام في ملة المسيحيـة، مصلح المصالح جماهير الطائفة النصرانية، صاحـب أذيال الحشمة والوقار (صاحب دلائل المجد والافتخار ملك البرتغال (D. Joao) الثالث ختمت عواقبـه بالخير – التوقيع الـرفيع الهمايـون) إن مـا أرسلتمـوه إلينا بيـد سفيركم الأقـدم (دا وارد قتـانيـو (Duarte Catanho). والذي تطلبـون صداقتنا ومحبـة فخامتنـا، وعلى أى وجه كان بـالنسبة لي، فقد كتبت جـواب ما تطلبونه مفصـلا وقد أرسلته إليكم بـواسطة سفيركم، وبعد ذلك جاءنـا أيضا سفيركم (ديكو مشنكو Diogode Mesguit) يعلمنا قبـول أحكام الشروط التي كـانت قد أرسلت مع سفير (دا وارد قتـانيو) وأن بعض الشروط التي كنتم ترضون بها فقد قبل والقسم الذي لم تكن ترضونها فإنها لم تقبل عندمـا أعدنـا النظر إليهـا، وكل شيء قبلناه، قـد كتبناها وأرسلنـاه لكم مع سفيركم، وإذا أقيمت بيننـا الصـداقـة بهذه الشروط التي وافقنـا عليهـا، تبعثـون سفيركم المعتمد لديكم، وقد بعثتم سفيركم (دار وارد قتانيو) الموجود حاليا لدينا قد أعلن شروطكم التي رددتموها مراراً، ولكن هذه الشروط قد أدلى بها سفيركم السابق أيضاً، ولكن لم تقبل في حينه.

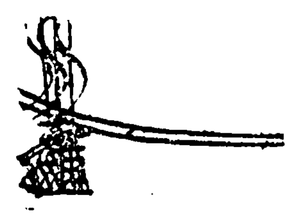
والآن لم تقبل أيضا إذا كنتم قد أرسلتم سابقـا بمقتضى الأحكام الشريفة بقصد الصداقة.فأعلمونا بها وفي حالة عدم قصد الصداقة فأعلمونا بها أيضا حتى نتدارك الوضع فيما يدعو ذلك في الجانب الهندي، ولا تطلبوا ذهاب سفيركم وقد تبلغنا بذلك راجين علمكم.

تحرر في أول من شهر شعبان المعزز في الشهور سنة إحدى وخمسين وتسعمائة

ر. مقام

القسطنطينية المحروسة

ملحق رقم (٣٦)

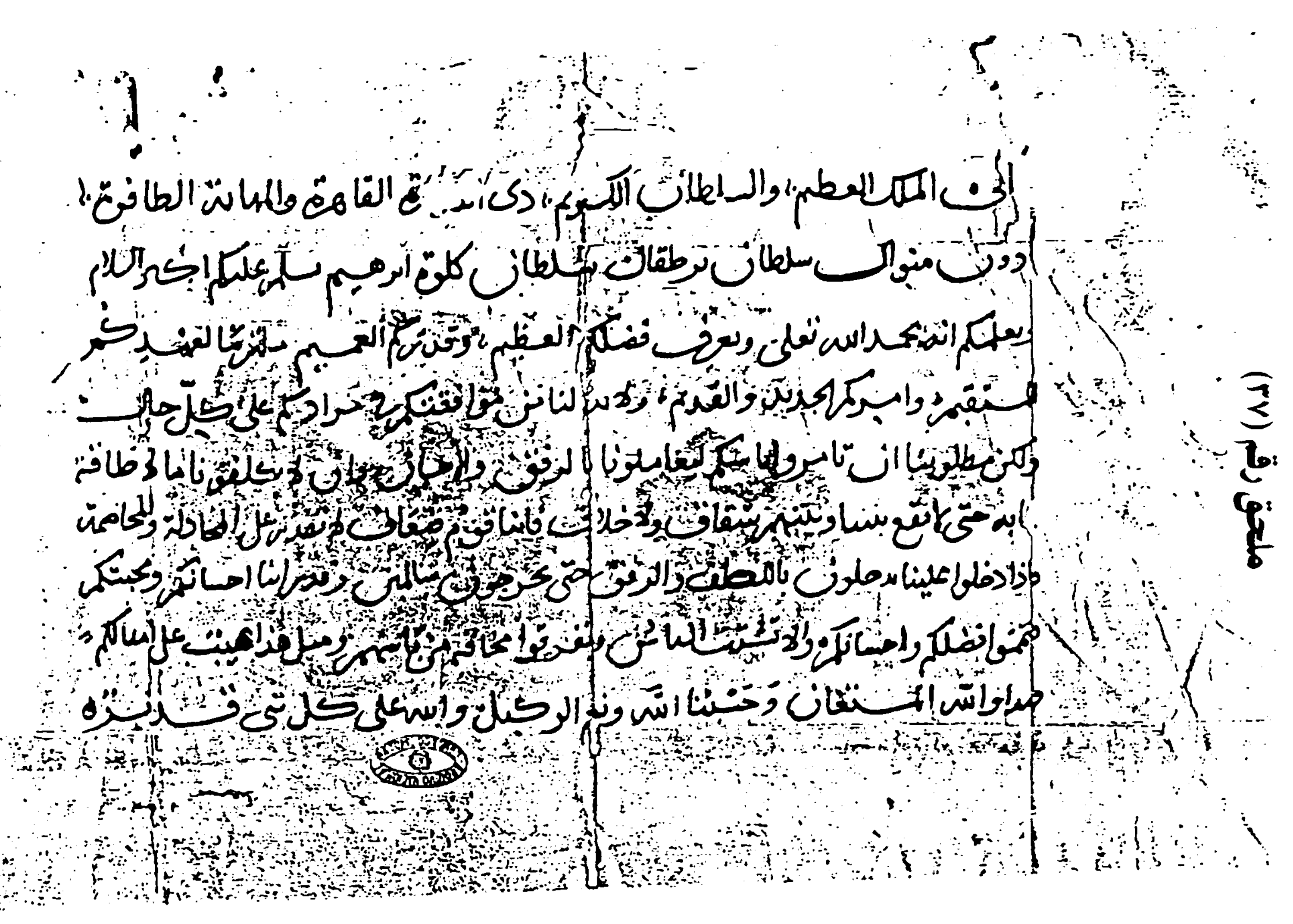


رسالة السلطان سليمان القانوني الى D.Joao الثالث
٩٥١هـ - ١٥٤٤م

رسالة السلطان سليمان القانوني إلى D. JOAD الثالث

٩٥١هـ - ١٥٤٤م

ملحق رقم (٣٧)



الى الملك العظيم والسلطان الكريم ذي [illegible] القاهرة والمهابة الطائفة
دون منوال سلطان برطقال سلطان كلوة ابرهيم سلم عليكم اكثر السلام
يعلمكم انه يحمد الله تعلى ويعرف فضلكم العظيم وتحن بكم العميم [illegible] العهد كم
المتقدم وامركم الجديد والقديم ولابد لنا من موافقتكم ومرادكم على كل حالة
ولكن مطلوبنا ان تامروا نوابكم ليعاملونا بالرفق والاحسان وان لا يكلفونا ما لا طاقة
به حتى لا تقع بيننا وبينهم شقاق ولا خلاف فانا قوم ضعاف لم نقدر على المجادلة والمخاصمة
واذا دخلوا علينا يدخلون باللطف والرفق حتى يخرجون سالمين ونقدر انا احسانكم ومحبتكم
فتمموا فضلكم واحسانكم ولا تشتتنا الناس ويتفرقوا [illegible] هذا هيبة على امالكم
[illegible] والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل والله على كل شي قدير

رسالة من سلطان كلوه لملك البرتغال عمانويل ١٥٠٩م

ملحق رقم (٣٨)

مخطـــــوطـــــة

عبدالـرحمن بن علي الـديبع - قـرة العيـــون في أخبـار اليمن الميمـون

كتاب قرة العيون
في اخبار اليمن
الميمون

اعلم ان جملة الفصول في هذه
النسخ ... وفضلا في ثلاثة ابواب
الاول ... عشرون فصول
والثاني ثلاث عشر فصلا والثالث ...

تاليف سيدنا العلامة البارع من لم يكن مثله في عصره ...
الامام الاديب الحافظ ...

واليه كتاب نشر المحاسن اليمنية
في خصائص اليمن ونسب

عبد الرحمن ...

بأن مولانا عبد الوهاب الفقيه ثابت النظاري ... او جهة
موته واعمالها النصر خراب البلاد ومنابعه الفساد وكان احمد بن ...
بحره في وكافة الزيديين قد دخلوا على مولانا عبد الوهاب بعد ...
... محمد بن ... الاسلام وطلبوا منه الامان فقال لهم ارجعوا الى اماكنكم ...
بخلاف ولكنوا الامان ودخلوا الهجرة المسماة بالملاي فمن عليهم الفقيه
من محمد النظاري الغادر حتى اظفره الله بهم ولحقهم فقتلهم بالسيف
ولم يفلت منهم احد وحصل من السعي خلف ذلك للزيدية باعمال
الفقيه الجليلة على النظاري بجبالة حتى لزم مشايخهم واهل الفساد منهم
ودخل عليه شيخ الحشا عامر بن ابي خلف والتحفظ به حتى قدم به على
مولانا عبد الوهاب وحضر عند مولانا عبد الوهاب ... وافشاد ...
الصبح ... الفقيه علي بن محمد النظاري من موزع فقدم عليه وقد
دوخ الجرف واوطاهم فلما قدم عليه انتقل مسرعا الى قرية ... من
... الجبل في امساكه ... المساوي فلم يتفق فأرصد له بقرية شامر
الشيخ محمد بن عامر بن وهبان والنقيب احمد بن سعد مقدار ...
بعسكر ومال وتقدم الى المدينة ... فلم يكن الا ... الجبل في امساكه
او قتله حتى ... ابو ... قرية ... احد بن ... اللامية في جمع من اصحابه
ونصبوا ... اهلها فلما بلغهما الصريخ ... بقرية شامر بادر
النقيب احمد بن سعد فركب في جماعة من الخيل ولم ... من جاء بعدهم
بالمشرع وانتدبوا الى باب الهجرة قبل ان يدخلها ووقفوا هنالك
حتى جاء فلما رآهم لم يلتفت اليهم ... وكان شجاعا لا يبقا ... له
فحمل على بن سعد وطعنه وكان ممنعا فلم يأثر فيه فعطف عليه ابن سعد
فطعنه في عنقه طعنة عظيمة ... فلما رأى ذلك المشرعي ...

اعتنقه وسقطا معا الى الارض فنزل من تحته مجروحا ثم مات

بيده وجعله في كم قميصه وركب فرسه وامتنع فلم يقدر احد اعني احد

دار ابن المساوي منوفيا من اصحاب بني المساوي جماعة والخدم

وسلاحه واهبته وكان قتله يوم الثلثا الرابع من شهر ذي الحجة الحرام

بعد تقدم مولانا عبد الوهاب الى زبيد باربعة وعشرين يوما

وقد مر راسه الى زبيد معلقا في عنق فرسه يوم الجمعة سابع الشهر

وفي يوم الجمعة منتصف شهر صفر السنة توفي الفقيه العلامة جمال الدين

محمد المقبول المشهور بصاحب العصب ابن الفقيه احمد بن محمد

بن ابي بكر صاحب الجمال الزيلعي رحمه الله تعالى بتربته اللحية ودفن

بها الى جنب جده رحمه الله تعالى ونفع به ثم مولانا

عبد الوهاب بن داود بلغه ان المجان المصري قدم الى حيس كما انه قدم

يوم الاثنين ثامن عشر شهر ذي القعدة الحرام من جمع والذي بتلك من زبيد

جوانبه بتجهيز الطعام ان يشحن في البحر الى حصن كمران والاخذ بالجد

ولم يخرج من مدينة زبيد ثم توجه منها الى ماوي في اواخر شهر

ذي القعدة واقام بماوي اياما ثم توجه منها الى تداع وعنده هنالك

عبد الاصبحي وامر في ذلك اليوم بتكحيل الشيخ ابراهيم ومحمد

ابني عامر بن طاهر وابن عمهم عبد الباقي بن محمد بن عامر ودعي

عنهم وانعم عليهم وفي ... والعشرين من ذي الحجة طلع

الفقيه عبد الحق بن محمد النظاري من مدينة زبيد الى جهات الجبال

مع العساكر السلطانية وقدم الى زبيد في منتصف شهر صفر من

السنة الاتية مع جملة من العساكر واكثرهم من المشايخ اهل الرباط

الرباطات والضعفا الذين لا غنا فيهم في قتال الجهاد ... ولم يبق

الضعفا الذين لا يقدرون على مال ولا يحتملون الهرب لمدينة
زبيد حتى خرجوا الى الشام في اوايل شهر ربيع الاول وفي
منتصف شهر ذي الحجة المذكور حزلت قرية الجديد وهرب اهلها
منها وخلت من السكن بسبب ان المضربين لما دخلوا جبن في
لحج ان وجدت الشيخ عن الوصول اليهم بالطعام وعن التقدم
اليهم انجب وجوها ضاق المضربون لذلك وارسلوا اجماعة منهم
عزانين يمنا يدون لهم طعامًا من بندر الجديد فادشل اهل الجديد
الخبر الى مولانا عبد الوهاب الى مدينة زبيد فامدهم بخيل ورجل فلما
قدموا الى الجديد طلبوا من اهلها استر انفسهم ودوابهم فامتنعوا
من ذلك وخرجوا من الجديد مظهرين ان سبب خروجهم من الخوف
من المضربين ولين ذلك سبب الا ما طالبهم به البدو لقصر بتنبير اهل
انفسهم وخيلهم فلما علم المضربون بخلوها نزلوا الى اغربتهم بخلو البندر
من اهله تسالوا عن ذلك فاخبروا انهم تنقلوا اخباءجاعمر الفرابة قصروا
نحو المكان الذي هم به من ولفجرا عظيمًا لم نبع فوقع فرنحًا من الدولة
ولم يقدر على لحاقهم فزادهم ذلك رعبًا وخوفًا منهم ثم دخلوا القرية
فلم يجدوا بها احدًا فاخذوا ادارو ودورها والاخشاب التي وجدوها
بالساحل وسحبوها الى اغربتهم الى كمران ثم الحقوا ورجع المضربون
الى كمران فاقاموا بها وبنوا بها حصنًا عظيمًا وجبانة وقتلوا
بها صاحبه الاخنجي وساعدهم الفقيه ابوبكر المقبول الزيلعي
صاحب اللحية على ما يشاؤون وامروه الخطبة للسلطان معتزه
ففعل وساعدهم بدينه ونوحه وماله وكانوا قد وصلوا اليه
بصلات من صاحب مصر وخلع فلما علم بالخرابهم لبندر الجديد
يطلع من اللحية الى كمران وقال للمصريين نحن نبلغ بكم طواف

البر من بندر اللحية ونعينكم على ما احببتم فادخلوا المهجم
الى غراب اللحية بغراب فيه ما لبني مملوك فتنقل من لهم اجمعه موت
ولحا ابو عيد الامير محمد بن سليمان الشنبلي امير امن فيل الدولة
فخرج اليهم الامير محمد المذكور لمن معه من العسكر فرموهم
بالبندق ولم تكن البنادق معهودة باليمن فقتل الامير محمد بن سليمان
في جماعة من اصحابه واستولى المصريون على بندر فتقدم جماعة
من الزيديين فطلعوا الى الامير حسين في جزيرة كمران وبايعوه
وطلبوا ان يرسل معهم من جنده ما بني مملوك ويكفلوا انجوا بهم
وبادر لاخراج اولاد البندر فارسل معهم بابني مملوك فقعدوا بهم
قرية الضحي وبها جمع من العسكر السلطاني فلما التقى الجمعان
انكسر العسكر السلطاني وقتل منهم جماعة كان يعرف لحيد المصريون
[illegible] ثم قرية الضحي واحرقوها وخربت وانتقل ما فيها من الدولة
الى العامية ولما بلغ السلطان ما جرى من الامير حسين والزيديين
ارسل [illegible] الشيخ عبد الملك [illegible] تكشف الامور والسلطان في مدينة
[illegible] المهراني فقدم الشيخ عبد الملك الى مدينة زبيد فدخلها
[illegible] الحادي عشر من شهر ربيع الاول من سنة اثنين وعشرين
[illegible] فاقام بها اياما ثم [illegible] الى الجهات الشامية [illegible] يوم
[illegible] السابع من شهر ربيع الاخر حتى بلغ الى المرجف فلم [illegible] الامير حسين
[illegible] جزيرة كمران [illegible] حسين ومعه من الجند نحو
[illegible] اصحاب سلمان امير [illegible]
[illegible] في عسكر [illegible]

في [illegible] كله شيء [illegible] لا مرج الدين فيهم واو الحرب في حرب ابن
[illegible] السلطان الروم [illegible] الطوف [illegible] صحيح مصر
وام [illegible] من طلب الاشتغال على اليمن ووقع عسكر الروم
[illegible] البندر [illegible] موت بها وهي بني [illegible] لا بكار اجد [illegible]
[illegible] الا [illegible] وهو [illegible] بنيته المدرع الا انه اطول [illegible]
[illegible] جعل في جوفه قطعة رصاص [illegible] البندق وهي
[illegible] وقد وقع [illegible] في [illegible] من اشتغال البندقة فلا [illegible] احدا
الا [illegible] اصابت البندقة [illegible] ونفذت منه في اخر [illegible]
[illegible] اشتغل الشيخ عبد الملك بالمرحوم [illegible] الشريف [illegible]
[illegible] ان الشريف [illegible] عز الدين بن احمد بن دريب
في جميع [illegible] واهل الروم والغالبة وقد كان عز الدين المذكور
عند السلطان [illegible] الظافر في اعلا منزلة واخص مكان وله
عنده من الصنايع والاحسان ما يشهد به الانس والجان فلم
[illegible] له [illegible] ولا [illegible] فيه الا [illegible] بل عادى اولياءه ووالى
اعداءه [illegible] امانتهم [illegible] امامهم فلما التقى الجمعان كان [illegible]
بينهما [illegible] عظيمة فقتل الشيخ عبد الملك [illegible] لا [illegible]
[illegible] وابان عن شجاعة عظيمة ونفس كريمة وقتل جماعة من
[illegible] وسقط [illegible] عشر نفرا اسهم ومات
[illegible] الشيخ عبد الملك [illegible] وقتل فيها رجال السلطان
جماعة من الشجعان وكان يوما عظيما ثم [illegible] فاما الشيخ عبد الملك
[illegible] بعد الوقعة ثلاثة ايام ثم [illegible] الى المدينة [illegible]
[illegible] يوم الثلثا عاشر شهر جمادى الاولى ثم [illegible]
[illegible] الامير [illegible] وجرحوا [illegible]

بعد اللحوق بالشيخ عبد الملك ابي ... نبهان عسكر

عظيم من اربعة الاف وكان تعريف عسكره الى ... في عسكر البحر

عبد خان الامير حسين بيت الفقيه ويحمل ودخل عليه جماعة

المعازبة فاستجلبهم وسار بهم معه الى جهة بندر العرشية

قرية النخيل ثم خلو وادي زبيد واقام هو وعسكره هناك

ثلاثة ايام ثم ينتظرون عسكرا يغشاهم من قبل ... من طرف البحر

فلما وصل اليهم عسكر سلمان تقدم بالجميع الامير حسين الى مدينة

زبيد فصبح يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الاولى فوصلوا

اليها فصبح ذلك اليوم والمدينة مغلقة فنزلوا خارج باب النخل في

عساكر عظيمة من الترك والتركمان والمعاربة والشاميين ومن انضاف

اليهم من العرب من اهل جازان والزيديين والمعازبة ومن وادهم

وفي صحبتهم الشريف عز الدين والفقيه مقبول بن ابي بكر المقبول الزيلعي

فخرج اليهم الشيخ عبد الملك وابن اخيه الشيخ عبد الوهاب بن الملك الظافر

في عساكرهما الى خارج باب النخل فلما التقى الجمعان قاتل الشيخ عبد الملك

وابن اخيه قتالا عظيما لم يسبقا الى مثله وابانا عن شجاعة عظيمة وانفس

كريمة فتكاثرت عليهم جنود المصريين وخاذلتهم عساكرهم فانكسروا

ودخلوا المدينة بعد ان اصيب الشيخ عبد الوهاب بنشابة ودخل المدينة

قبل ... الى الدار الكبير فلما استقر ... لخدمه الى الدار فصاح به

فخرج ... من شدة ... ليتوجه بها ... الى النبارة وقد

اضطربت جموع المصريين وعربان العرب ليتمكنوا هناك فسقط

الجموع بابن اخيه ... ان قتل منهم جموعا الا بعض وابانا عن شجاعة

عظيمة ... عسكر ...

مدينة زبيد صبح ذلك اليوم وفي تحصيله انتقبه محمد بن علي النظاري والسيد الموزعي منشو في مدينة زبيد الذي كان سببا لهذه القضية ولي دار الدولة الطاهرية نحو بيت الشريف الذي بين الفقير والكبير ولما استقر الشيخ عبد الملك بن محمد في مدينة زبيد لم يلبث الشيخ عبد الوهاب ان توفي نحو يوم الاربعا الرابع عشر من جمادى الاخرة ودفن الى جنب الشيخ محمد بن محمد الجبرتي صاحب المد احمد رحمه الله تعالى بباب سهام بعد موته ويوم الجمعة السادس عشر من شهر المحرم وبعد خروج الشيخ عبد الملك من مدينة زبيد ه ه

ذكر دخول عسكر الامير حسين ... دخلها

ونهبوها نهبا عظيما وشكوا البيوت واحتملوا المخازن وجعلوا الطعام في حرف المدينة وجعل على ابواب بيته من الفضيحة واهتك الحجاب ما لم يكن لاحد في حساب ونظن بجمعه في ذلك اليوم ... بعد العصر من ذلك اليوم فلما استقر بالبلد ان الكبير امر العسكر بالكف عن النهب وصاح للناس بالامان فلم يمتثل امره احد من العسكر وقاموا ينهبون المدينة ثلاثة ايام وسكنوا البيوت واخرجوا اهلها منها واستولوا على ما فيها من الغنائم والد واب وسبوا النساء والاولاد وجعلوا البلاد ذلك ان يحرب ثم صادرت الامير حسين تجار مدينة زبيد والمتسببين وضربهم وجعلهم في اعناقهم الزناجير وامسك قاضي الشرع وهو يومئذ جمال الدين احمد بن عمر المزجد وامر بطرح الزنجير في عنقه فاستسلم وصبر وخلص الله تعالى بعد يوم ثلاثة ايام وانتسب ... من اهل مصر كان قد تدبر اسباب ... لا توبة لهما فشفعا بالنميمة على الناس بعرف احدهما بالحمل والثاني بشوعان منسوبا الى خيبر بالنميمة على الناس ... واكثرها ...

وان نزل حسن بن عجلان بما ... اضاع شرف الدين اسمعيل بن ابراهيم
جمال الدين ... الفقيه ابن عطيه وقدم عليه ... غالب ... فانه
كان ودعه الشريف عبد الله بن علي ... لامر ... الكبره ...
بجلسة وضربه حتى مات في السجن من الم الضرب بعد ثلاثة ايام ثم امر
تصادف ... اهل ... علي بن الجمال ... ذعان فكتبوا ... اهل البيوت ...
بالكرم ... عشرة ... في ... النهب والحريق ... العسكر ...
جنبنا بما كان وعدهم به ان هم اخذوا ... فلم يعطهم ...
عليه فد اقعدو ... ان عنده مالا في البحر يعطيهم اياه فخرج ... ذلك
فلما صار في ... المدينة ركب في المراكب وخرج بها ... مبب
مملوكا للسلطان ... له ... ومعه الشريف عز الدين ... حاجب
... ثم ... بن ... بعد خروج حسن ... صاح
للناس بالامان ... في المراكب ومعه الشريف عز الدين وطرف ...
في المدينة ... حسن ... ثم ... العسكر الى ... واخذ
ثم رجعوا الى ... عدن فلم يظفروا ... بعض ... شوذها
وبعض ... ولحق بعض المراكب ... اهل ... عدن ... عليهم
... ثم ... واخرجوهم من البلد ... نفسهم الله ...
بعد ان كادوا ... عدن ... الشيخ
... الملك ... فلما علوا ... ابيهم
... ثم ... المكنة ...
... فلما استقر ...
واظهر ... بالناس ...
...

ثبت المصادر والمراجع

أولا : الوثائق غير المنشورة

١ – مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي – وثيقة بدون رقم

– من راشد ركن وزير هرمز للملك البرتغالي عمانويل بتاريخ ٢٤ من جمادى سنة ٩١٧ هـ ـ ٢٧ مارس ١٥١١م.

٢ – مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي

– وثيقة برتغالية محررة في رودس بتاريخ ٢٩ مارس ١٥١٢م – من أندرودو أمرال مستشار رودس إلى ملك البرتغال.

((A. N. T. T. C. C. I - II - 47) «بمعاونة مترجم»

٣ – مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي

– وثيقة برتغالية محررة في رودس بتاريخ ١٩ أبريل ١٥١٢م من اندرود وأمرال مستشار رودس إلى ملك البرتغال.

(A. N. T. T. C. C. I - II - 61) «بمعاونة مترجم»

٤ – مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي.

– وثيقة برتغالية محررة في كوشيم بتاريخ أول ديسمبر سنة ١٥١٢م من ملك كوشيم إلى د / مانويل الأول.

(A. N. T. T. C. C. I - 12 - 35) «بمعاونة مترجم»

٥ – مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي

– وثيقة برتغالية محررة في كوشيم بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٥١٢م من أنطونيو ريال إلى د / مانويل الأول.

(A. N. T. T. C. C. I - 12 - 44) «بمعاونة مترجم»

٦ - مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي.

- وثيقة برتغالية محررة في الميريم بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٥١٣م من ملك البرتغال إلى ألفونسو دى ألبوكيرك.

(A. N. T. T. C. C. I - 14 - 13) «بمعاونة مترجم»

٧ - مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي

- وثيقة ضمن الوثائق البرتغالية بتاريخ ١٥١٥م من بابا عبدالله أحد مسلمي هرمز إلى الملك البرتغالي.

٨ - مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي.

- وثيقة ضمن الوثائق البرتغالية بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٥١٧م من ماتيوس جدان إلى ملك البرتغال.

٩ - مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي.

- وثيقة (بدون تاريخ) ضمن الوثائق البرتغالية من سلطان مالندى علي بن السلطان علي إلى ملك البرتغال عمانويل.

١٠ - مركز الوثائق والدراسات بالمجمع الثقافي بأبوظبي.

- وثيقة برتغالية محررة في لشبونة بتاريخ ١٥ إبريل سنة ١٥٩٨م من حكام البرتغال إلى كونت فيد جيورا.

((A. N. T. T. C. - 12 - CM) «بمعاونة مترجم»

١١ - رسالة السلطان سليمان القانوني لملك البرتغال (جوا الثالث) عام ١٥٤٤م الخاصة بتبادل العلاقات بينهما.

١٢ - رسالة من سلطان كلوة السلطان إبراهيم لملك البرتغال عمانويل عام ١٥٠٩م.

ثانيا - الوثائق المنشورة

١ -

CARTAS

AFFONSO DE AL BUTEQUERQUE SEGUIDAS DE DECUMENTOS QUE AS ELUCIDAM.

PUBLICADAS

DE

ORDEM DA CLASSE DE SCIENCIAS MORAES, POLITICAS E BELLAS - LETTRAS.

DE

ANTONIO RAYMUNDO: TOMO 1 (LISBOA 1884) P. 167.

T. DO - T - C. CHRON. P. 1, M. 14, D. 3.

٢ -

CARTAS

AFFONSO DE AL BUQUERQUE

DE ANTONIO RAYMUNDO: OP. CIT. P. 95 - 98.

T. DO. T - C. CHRON. GAV. 15, MAC. 14. NO. 38.

٣ -

ANTONIO RAYMUNDO: CARTAS, AFFONSO DE AL BUQUERQUE, PP. 174 - 175. TORRE DO TOMBO. C. CHRON. P. 1. M. 14, D. 6.

٤ -

POR: FR. JOÂO DE SOUSA; DOCUMENTOS ARABICOS.
PARA A HOSTORIA PORTQUEZA COPIADOS DOS ORIGINAES
DA
TORRE DO TOMBO (LISBOA 1790). P. 44 - 47.

٥ -

JOAO DE SOUSA; DOCUMENTOS ARABICOS. P. 162.

٦ - جيان : وثائق تاريخية وجغرافية عن أفريقيا الشرقية، ترجمة يوسف كمال، القاهرة ١٩٢٧م.

٧ - نعيم زكي (دكتور) : طـرق التجارة الدولية ومحطـاتها بين الشرق والغرب أواخـر العصور الـوسطى، القـاهرة ١٩٧٣م، وثـائق مترجمة ص٢٨٢ - ٣٨٥.

ثالثا : المخطوطات

١ - ابن الديبع (وجيه الدين الشيباني عبدالرحمن بن على الديبع):

قـرة العيون في أخبـار اليمن الميمـون - مخطوط بـدار الكتب المصرية، صورة بالميكروفيلم رقم: ١٨٤٧٤ - ١٣١١ هـ .

٢ - الشبلي (جمال الدين محمد بن أبي بكر، ت١٠٩٣ هـ / ١٦٨٣م).

السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر.

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٣، تاريخ تيمور).

رابعا : رسائل جامعية

١ – عبد العظيم حامد خطاب : قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشـام، دكتوراه غير منشـورة، كليـة الآداب جامعـة عين شمس، ١٩٧٣م.

٢ – نوال حمزة : النفـوذ البرتغالي في الخليج العـربي في القرن العـاشر الهجري، السـادس عشر الميلادي، رسـالة مـاجستير، جامعـة الملك عبدالعزيز، جدة ١٩٨٠م.

خامسا

المصادر والمراجع العربية

١ – إبـراهيم أحمد العـدوي (دكتـور) : مصر والشرق العربي، مكتبـة الأنجلـو المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.

٢ – إبـراهيم خليل أحمد (دكتـور) : تاريـخ الوطن العـربي في العهـد العثماني ١٥١٦ – ١٩١٦م ، جامعة الموصل ١٩٨٣م.

٣ – أحمد حمود المعمري : عمان وشرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، بدون تاريخ.

٤ – أحمد دراج (دكتور) : المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦١م.

٥ – أحمد شلبي عبـدالغني الحنفي المصري : أوضح الإشارات فيمن تـولى مصر القـاهـرة من الـوزراء والباشـات، تحقيق د. عبـدالـرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، القاهرة ١٩٧٨م.

٦ – أحمد فضل بن علي العبـدلي : هديـة الزمن في أخبـار ملوك لحج وعـدن، دار العودة بيروت ١٩٨٠م.

٧ – أحمد مختار العبـادي (دكتور) والسيد عبدالعـزيز سالم (دكتـور) تاريخ البحـريـة الإسلاميـة في حـوض البحـر الأبيض المتـوسط (البحرية الإسـلامية في المغرب والأندلس) مـؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (بدون تاريخ).

٨ – أحمد مختـار العبادي (دكتـور) : أ – دراسات في تـاريخ المغرب والأنـدلس الإسكندرية ١٩٦٨م.

ب - تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، نشر جامعة بيروت، القاهرة ١٩٧٢م.

٩ - أرنولدت ويلسون (السير) : الخليج العربي، مجمل تاريخ الخليج من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبدالقادر يوسف، الكويت ١٩٧٩م.

١٠ - أنور عبدالعليم (دكتور : ابن ماجد الملاح، أعلام العرب، العدد رقم ٦٣، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

١١ - ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي) : بدائع الزهخور في وقائع الدهور، جـ ٤، ٥، تحقيق محمد مصطفى، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م.

١٢ - بامخرمه (أبو عبدالله الطيب عبدالله بن أحمد أبو مخرمة) : تاريخ ثغر عدن، جـ١، مطبعة بريل ببريطانيا ليدن ١٩٣٦م.

١٣ - بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.

١٤ - بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ ١، ط١، الكويت ١٩٧٨م.

١٥ - ابن بطوطة (محمد عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (جزءان) ط٢ دار الحداثة لبنان ١٩٨٥م.

١٦ - بشير أحمد كاظم : التهديد البرتغالي لتجارة البحر الأحمر (ندوة رأس الخيمة التاريخية ١٩٨٧م).

١٧ - جلال يحيى (دكتور) : أ - المغرب الكبير، الإسكندرية ١٩٦٦م، جـ٣.

ب - التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، المكتب

الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٨٣م.

١٨ - جمال زكريا قاسم (دكتور) : أ - الخليـج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧ - ١٩٤٠، القاهرة بدون تاريخ.

ب - الأصـول التـاريخيـة للعـلاقـات العـربيـة الأفـريقية معهـد البحـوث والـدراسات العـربيـة ١٩٧٥م.

جـ - الـروابط العـربية الأفـريقيـة قبل حـركـة الكشـوف الجغـرافيـة وبـدء حـركـة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر، دراسة تاريخية لـلآثـار السلبيـة لـلاستعمار، معهـد البحـوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٧م.

د - الصراعات المحلية والـدولية في البحر الأحمر في النصف الأول من القـرن السـادس عشر سمنـار الـدراسات العليـا للتـاريخ الحديث، جامعـة عين الشمس، القاهرة ١٩٨٠م.

هـ - الاستعمار البرتغـالي في الخليج العـربي والعلاقات بين الخليج العـربي وشرق أفريقيا ندوة رأس الخيمة التاريخية ١٩٨٧م.

١٩ - جوزيـف كام : المستكشـون في أفريقيا، تـرجمة د. السيد يـوسف نصر، القاهرة ١٩٨٣م.

٢٠ - جيمس دفي : الاستعمار البرتغـالي في أفريقيـة، تـرجمة الدسـوقي حسين المراكبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

٢١ – حسن إبراهيم حسن (دكتور) : تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب، القاهرة ١٩٣٣م.

٢٢ – حسن مراد: تاريخ العرب في الأندلس، المطبعة الحديثة، القاهرة ١٩٣٩م.

٢٣ – حسين بن أحمد العرشي (القاضي) : بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن، من ملك وإمام، وقد ختم حوادثه في سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٩٠م عنى بنشره الأب أنستاس ماري الكرملي، القاهرة ١٩٣٩م.

٢٤ – حسين مؤنس (دكتور) : أ –الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة ١٩٣٨م.

ب – رحلة الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.

٢٥ – حمزة علي لقمان : أ – تاريخ الجزر اليمنية، بيروت ١٩٧٢م.

ب –معارك حاسمة من تاريخ اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء ١٩٧٨م.

٢٦ – الحيمي الحسن بن أحمد : سيرة الحبشة، تحقيق د. مراد كامل، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة ١٩٧٢م.

٢٧ – دانته أودوريتسى : المستعمرة الأرترية (مفوضية مصوع الإقليمية) ترجمة جبهة التحرير الأرترية، بيروت ١٩٦٩م.

٢٨ – ابن الديبع (عبدالرحمن بن علي الديبع) : أ – الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨٣م.

ب – قرة العيون بأخبار الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع.

٢٩ – راشــد البراوي (دكتور) : الــرق الحديث في أفريقيــا البرتغاليــة، القاهــرة ١٩٦٢.

٣٠ – رجب محمد عبد الحليم (دكتور) : العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصــارى الحبشــة في العصـــور الــوسطى، دار النهضــة المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.

٣١ – رونــالـد هــولي : عمان ونهضتهــا الحديثة، تــرجمة فــؤاد حــداد وعــادل إصلاحي، لندن بدون تاريخ.

٣٢ – رينيــه باسيــة : النقوش والكتــابــة في جزيــرة دهلك، ترجمة ونشر جبهــة التحرير الارترية، دمشق ١٩٧٧م.

٣٣ – زاهر ريــاض (دكتور) : أ – الإســلام في إثيوبيــا، طبعة أولى، دار المعــرفة القاهرة ١٩٦٤م.

ب – استعمار أفريقية، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٥م.

٣٤ – زين العــابـــدين (الفقيــه الشيخ) : تحفــة المجــاهـــدين في بعض أحــوال البرتاكليين، لشبونة ١٨٩٨م.

٣٥ – زينب عصمت راشـــد (دكتــورة) : المختصر في تــاريخ أوروبـــا الحديث، القاهرة ١٩٧٥م.

٣٦ – سعــد زغلول عبــد ربــه (دكتور) : البرتغــاليــون والبحر الأحمر، سمنــار جامعــة عيش شمس، البحر الأحمر في التاريخ والسيــاسة الدولية المعاصرة، القاهرة ١٩٨٠م.

٣٧ – السعيد رزق حجــاج (دكتور) : الاستعمار الأوروبي في أفــريقيا وآسيــا، القاهرة ١٩٨٧م.

٣٨ – سعيد عبــدالفتاح عاشور (دكتــور) : أ – الحركة الصليبية، جـــ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

ب - العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة المصرية، ط ٤، القاهرة ١٩٦٥م.

جـ - : أوروبا في العصور الوسطى، جـ١ الأنجلو المصرية، ط٤، القاهرة ١٩٦٦م.

٣٩ - سونيا هاو : في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت ومراجعة د. محمود النحاس، القاهرة ١٩٥٧م.

٤٠ - السيد رجب حراز (دكتور) : أ - أرتيريا الحديثة (١٥٥٧ - ١٩٤١م) معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٨٧٤م.

ب - عصر النهضة، القاهرة ١٩٧٤م.

٤١ - السيد محمد الدقن (دكتور) : أ - دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة ١٩٧٩م.

ب - السلطان الأشرف طومان باي، القاهرة ١٩٧٩م.

٤٢ - السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥م)، معهد البحوث والدراسات العربية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٤م.

٤٣ - الشاطر بصيلى عبدالجليل : معالم تاريخ سودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، ط أولى، القاهرة ١٩٥٥م.

٤٤ - الشاطر بصيلى عبدالجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

٤٥ – شوقي الجمل (دكتور) : أ – قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ب – تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢م.

جـ – المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب) القاهرة ١٩٧٧م.

د – الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقات بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، ندوة رأس الخيمة التاريخية، المقامة بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية،ومركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري برأس الخيمة، ١٩٨٧م.

٤٦ – صالح أوزبران (دكتور) : أ – الدولة العثمانية وطريق الهند.

ب – الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ترجمة عبدالجبار ناجي، جامعة البصرة ١٩٧٩م.

٤٧ – صلاح الدين الشامي (دكتور) : الموانى السودانية، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٦١م.

٤٨ – صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٧٤م.

٤٩ – صلاح عيسى : رجال مرج دابق، دار الفتى العربي للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣م.

٥٠ – طارق خالد : آثار الأندلس، دار المنار للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، إسبانيا ١٩٨٥م.

٥١ – عائشة السيار (دكتورة) : دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ١٦٢٤ – ١٧٤١م الإمارات ١٩٧٥م.

٥٢ – عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي، دار القلم، دمشق وبيروت ١٩٧٦م.

٥٣ – عبدالرحمن زكي (دكتور) : الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٥م.

٥٤ – عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم (دكتور) : النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني (١٥١٧ – ١٨٩٨م)، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس القاهرة ١٩٨٠م.

٥٥ – عبدالعزيز محمد المنشاوي (دكتور) : أ – المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، جـ ٢، الدوحة قطر ١٩٧٦م.

ب – معالم الوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، لجنة تدويل قطر ١٩٧٦م.

جـ – أوروبا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧م.

د – الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠م.

٥٦ – عبدالمنعم ماجد (دكتور) : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٦م.

٥٧ – عثمان صالح سبى : أ – تاريخ إرتريا، بيروت ١٩٧٧م.
ب – الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، بدون تاريخ.

٥٨ – عرب فقيه (شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر بن سالم بن عثمان الجيزاني) : فتوح الحبشة، نشر رينيه باسيه، باريس ١٨٩٧م.

٥٩ – عمان وتاريخها البحري : إصدار وزارة الإعلام والثقافة، سلطنة عمان ١٩٧٩م.

٦٠ – فائق بكر الصواف (دكتور) : ومصطفى محمد رمضان (دكتور) : أهمية ثغر جدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، (السادس عشر الميلادي)، سمنار التاريخ الحديث للدراسات العليا، جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٨٠م.

٦١ – فتحي غيث : الإسلام في الحبشة عبر التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة (بدون تاريخ).

٦٢ – فيج. جي. دي : تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة د. السيد يوسف نصر، دار المعارف القاهرة ١٩٨٢م.

٦٣ – فيشر، ألفريد : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تعريب د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٤م.

٦٤ – القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على القلقشندي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا جـ٥، نشر وزراة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.

٦٥ – لوريمر : دليل الخليج (القسم التاريخي) جـ١، الدوحة ١٩٦٧م.

٦٦ – مايلز. س. ب : الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، الطبعة الثانية، مسقط ١٩٨٦م.

٦٧ – محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الخرطوم ١٩٨١م.

٦٨ – محمد صفي الدين (دكتور) : أفريقيا بين الدول الأوروبية، القاهرة ١٩٥٩م.

٦٩ – محمد بن عبدالرحمن المصري الشافعي السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة (بدون تاريخ).

٧٠ – محمد عبدالعال أحمد (دكتور) : أ – البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية)١٩٨م.

ب – بنو رسول وبنو طاهر، وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٣١ – ١٥١٧م) الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٠م.

٧١ – محمد عبداللطيف البحراوي (دكتور) : فتح العثمانيين عدن، وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر، دار التراث القاهرة ١٩٧٩م.

٧٢ – محمد عبدالغني سعودي (دكتور) : الاتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة، بحث ضمن كتاب (العلاقات العربية الأفريقية) دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة، معهد

البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨م.

٧٣ – محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين القاهرة ١٩٦٦م.

٧٤ – محمد عدنان مراد : صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، جذوره التاريخية وأبعاده، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٤م.

٧٥ – محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، القاهرة ١٩٧٧م.

٧٦ – محمد فؤاد شكري (دكتور) : أوروبا في العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠م.

٧٧ – محمد فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٥م.

٧٨ – محمد محمد أمين (دكتور) : تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، بحث ضمن كتاب «العلاقات العربية الأفريقية» دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة، القاهرة ١٩٧٨م.

٧٩ – محمد محمد صالح (دكتور) : تاريخ أوروبا في عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، مكتبة الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١م.

٨٠ – محمد بن محمود الحلبي : العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، دار الفكر، دمشق ١٩٨٦م.

٨١ – محمد مخزوم : مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي «عصر النهضة» دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣م.

٨٢ – محمود رزق سليم (دكتـور) : الأشرف قانصـوة الغوري، سلسلـة أعلام العرب، العدد ٥٢، مكتبة مصر، القاهرة (بدون تاريخ).

٨٣ – محمود سعيد عمران (دكتور) : الحملة الصليبية الخامسة حملة جان دي بريين على مصر، الإسكندرية ١٩٧٨م.

٨٤ – مـديحة أحمد درويش (دكتـورة) : سلطنة عثمان في القـرن الثـامن عشر والتاسع عشر، طبعة أولى، جدة ١٩٨٢م.

٨٥ – مصطفى عقيل الخطيب (دكتـور) : التنـافس الـدولي في الخليج العـربي (١٦٢٢ – ١٧٦٣م) المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨١م.

٨٦ – مصطفى محمد رمضـان (دكتور) : العالم الإسـلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزء الأول، القاهرة ١٩٨٥م.

٨٧ – نجم الدين محمد الغزي (الشيخ) الكـواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة تحقيق جبرائيل سليمان جبـور، المطبعة الأمـريكية، بيروت ١٩٤٥م.

٨٨ – نعيم زكي فهمي (دكتور) : طـرق التجارة الدوليـة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخـر العصور الوسطـى، الهيئة المصرية العـامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

٨٩ – النهروالي (قطب الدين محمد بن أحمد) : البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض ١٩٦٧م.

٩٠ – نور الـدين حاطوم : تـاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكـر، الكويت ١٩٦٨م.

٩١ – وليـد محمد جـرادات (الرائد) : الأهميـة الاستراتيجية للبحـر الأحمر بين الماضي والحاضر، نشر وتـوزيع دار الثقـافـة، الـدوحـة ١٩٨٦م.

٩٢ – وندل فيليبس : تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبدالله، عمان ١٩٨٣م.

٩٣ – يسري الجوهري (دكتور) : أ – الكشوف الجغرافية، الإسكندرية ١٩٦٧م.

ب – الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٥م.

سادسا : دوائر المعارف

١ - المعرفة (بيروت بدون تاريخ).

سابعا : تقاويم

١ - ف. ويستنفلد : جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية، بأيامها وشهورها، ترجمة د / عبدالمنعم ماجد، وآخر، الطبعة الأولى ١٩٨٠م، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.

ثامنا: المراجع الأجنبية

1. BESHAH GIRMA AND ATHER:

The guestion of the union of the churches in luso ethiopian Relations 1500 - 1632.

(lishon 1964).

2. Cipolla M. carrlo :

guns, salls, and empires, (N.Y. 1965).

3. CORTESAO ARMANDO :

The mystery of Vasco Da Gama (COIMBRA) 1973).

4. CASTONHOSO M. :

The portuguese expedition to abyssinia in 1541 - 1543). (N.D.)

5. CORTEESAO ARMANDO :

The mystery of Vasco Da Gama, (COIMBRA 1973).

6. DUFFY, JAMES :

Portuguese Africa.

(LONDON 1959).

7. DUFFY JAMES :

Portugal in Africa.

(U.C.A. 1962).

8. DUFFY , JAMES :

Portugal in Africa

(U.S.A. 1962).

9. DUFFY, JAMES :
Portugugal in Africa
(LONDON 1959).
10. HALLTON, JAMES :
In the wake of da gama.
(LONDON 1951).
11. HALIL I NALCIK :
The ottoman empire.
(LONDON 1973).
12. JOBN STOVEN FOBN :
Translated of monuel de faria sousathe portuguese asia, vol 11 part 11 (LONDON 1695).
13. JOHNESTON, H.H. :
The opening up Africa.
(LONDON 1929).
14. JOHNSTON H. :
History of colonization of Africa by alien races.
(CAMBRIDGE 1913).
15. KAMMERER ALBERT :
La mer rouge l'abyssinie et l'arabie
(LE CAIRE 1952).
16. KHALIFAH HAJI :
The history of maritime wars of the turks.
(LONDON 1831).
17. LOPES DAVID :

Tex tos aljamia portuguesa.
(LSBAÂ 1897).
18. PERES DAMIAO :
A history of the portuguese discoveries
(LISBOA 1960).
19. PESCE ANGELO :
Jiddah of an arabian city.
(ITALY 1977).
20. FR. DE SOUSA :
Documentos arabicas.
(LISBOA 1790).
21. STRIPLIGN, G.W.F. :
The ottoman turks and the arabs. 1511 - 1574.
(N. Y. 1942)
22. SID ALI REIS :
The travels and adventures translated from the turkish by a. vombery.
(N.D.).
23. TOYNBEE ARNOLD J. :
A study of history
(LONDON 1934).

تاسعا : الدوريات

١ – إبراهيم علي طـرخان (دكتـور) : الإسلام والممالك الإسـلامية بـالحبشة – المجلة التاريخية المصرية – المجلد الثامن – القاهرة ١٩٥٩م.

٢ – حسن قائد – جنوب البرتغال، الفجيرة تتحدث عن نفسهـا – مجلة الرياضة والشباب – مؤسسة البيان – العدد ٣١٨ – الإمارات ١٩٨٧م.

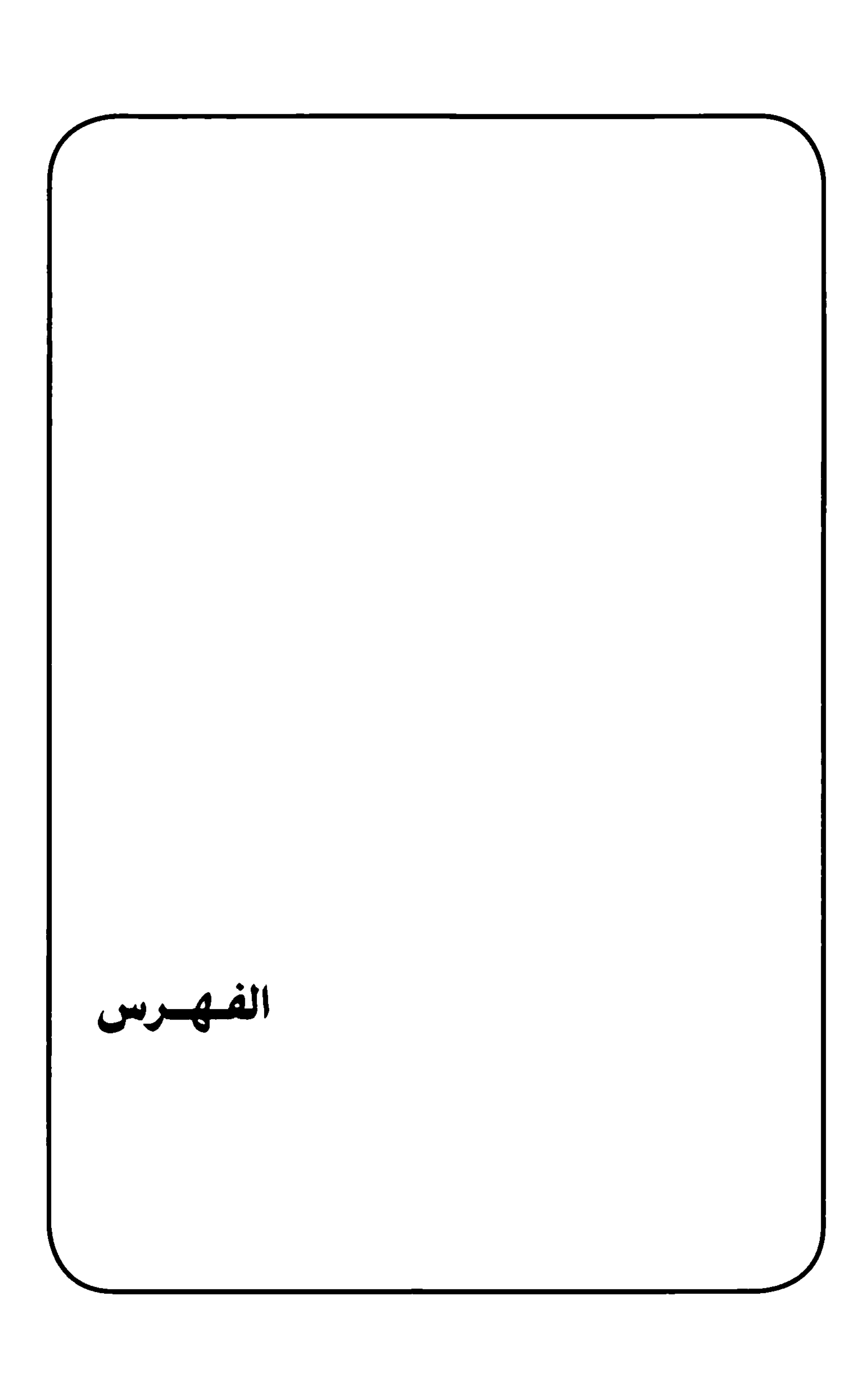
٣ – عبدالله الحبيد – سفارة الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم إلى البلاط الملكي في عاصمة الحبشة جوندار – مجلة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية – العدد ١٣ – مكة المكرمة – ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧م.

٤ – عبدالوهـاب القيسي (دكتور) : موقف العثمانيين من الغـزو البرتغالي للمياه الغربية – مجلة الخليج العربي – عدد ١ – العراق ١٩٧٦م.

٥ – محمد عبـدالعال أحمد (دكتـور) : أضواء جديـدة على ملامح : فـاسكو دي جاما – مجلة الدراسات الأفريقية – العدد ٥ – القاهرة ١٩٧٦م.

٦ – محمد على الـدواد (دكتور) : العـلاقات البرتغـالية مع الخليج العـربي من (١٥٠٧ – ١٦٥٠م) – مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد – العدد الثاني ١٩٦٠م.

٧ – محمود السمـرة – الصراع بين العرب والبرتغاليين في شرق أفريقيـا – مجلة العربي – العدد ٥٩ – الكويت ١٩٦٩م.


الفهرس

الفهرس

الفهرس

سلسلة
إصدارات المركز

أولاً : سلسلة كتاب الأبحاث .

1 - **أحمد بن ماجد**

- حياته، مؤلفاته، استحالة لقائه بفاسكو دي جاما -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م - الطبعة الثانية : 2001 م - الطبعة الثالثة 2011 م

2 - **أحمد بن ماجد**

- حاوية الاختصار في أصول علم البحار -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م - الطبعة الثانية : 2001 م - الطبعة الثالثة 2011 م

3 - **أحمد بن ماجد**

- شعره الملاحي (الأراجيز و القصائد) -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م - الطبعة الثانية : 2001 م - الطبعة الثالثة 2011 م

4 - **أحمد بن ماجد**

- كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد و الفصول -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م ، الطبعة الثانية : 2001 م - الطبعة الثالثة 2011 م

5 - **أحمد بن ماجد و الملاحة في المحيط الهندي**

تأليف : حسن صالح شهاب

الطبعة الأولى : 1988 م ، الطبعة الثانية : 2001 م ، الطبعة الثالثة 2013 م

6 – **الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي و مدى مشروعية التغيرات الإقليمية الناتجة عن استخدام القوة**

تأليف : المستشار عبد الوهاب عبدول

الطبعة الأولى : 1995 م ، الطبعة الثانية : 2001 م

7 – **شركة الهند الشرقية البريطانية و دورها في تاريخ الخليج العربي (1600 م – 1858 م)**

تأليف : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 1997 م ، الطبعة الثانية : 2001 م

8 – **الصقر**

(ديوان شعر شعبي و نبطي)

تأليف : مصطفى عزت هبرة

الطبعة الأولى : 2001 م

9 – **الأصالة**

(ديوان شعر)

تأليف : مصطفى عزت هبرة

الطبعة الأولى : 2001 م

10 – **سلطنة هرمز العربية**

(المجلد الأول)

تأليف مشترك : للأستاذ إبراهيم خوري و الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2000 م - الطبعة الثانية 2010 م

11 – **سلطنة هرمز العربية**

(المجلد الثاني)

تأليف مشترك : للأستاذ إبراهيم خوري و الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2000 م - الطبعة الثانية 2010 م

12 ـ حالات الـدهـــر

(ديوان شعـر نبطـي)

قصائد الشيخ : سلطان بن سالم القاسمي

جمع و إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 1988 م - الطبعة الثانية : 2001 م

13 ـ الإمـارات و العـولـمــة

تأليف : مصطفى عزت هبـرة

الطبعة الأولى : 2003 م

14 ـ موسوعة الغوص و اللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي قبل النفط (المجلد الأول)

ـ سفنه ، مواسمه ، مغاصاتهُ ، بحارتهُ ، أدواته ، نواخذته ـ

تأليف : مصطفى عزت هبـرة

الطبعة الأولى : 2004 م

14 ـ موسوعة الغوص و اللؤلؤ في مجتمع الإمارات و الخليج العربي قبل النفط (المجلد الثانـي)

ـ مملكة الغوص و اللؤلؤ و أسباب انـدثارهـا

تأليف : مصطفى عزت هبـرة

الطبعة الأولى : 2004 م

15 ـ سلطان بن صقـر بن راشـد القاسمي

و دوره السياسي في الخليج العربي (1803 م ـ 1866 م)

تأليف : عيسى راشد سعيد الفلاح

مـراجعـة : الدكتور أحمد جلال التدمـري

الطبعة الأولى : 2005 م

16 ـ نمط الإمكـانـات في النظام الإقليمي الخليجي واستقلالية السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة (1971 م ـ 1997م)

تأليف : يوسف فالح خضر أبو الشيخ

مـراجعـة : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 2005 م

17 – ملامح الدراما في التراث الشعبي الإماراتي

تأليف : الدكتور هيثم يحيى الخواجة

الطبعة الأولى (2009م)

18 – الألغاز الشعبية في الإمارات

تأليف : د . عبد الله علي الطابور

الطبعة الثانية (2009م)

19 – العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي

تأليف : د. حمد محمد بن صراي

الطبعة الأولى (2009م)

20 – تاريخ الخدمات الصحية في الإمارات المتصالحة (1949 م – 1971م)

تأليف : فيصل محمد عبدالله المندوس

الطبعة الأولى 1430هـ – 2009 م

21 – القصة والرواية وأدب الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة « مدخل توثيقي »

تأليف : علي محمد راشد

الطبعة الأولى 1430هـ – 2009 م

22 – مجلس حكام الإمارات المتصالحة (1952 م – 1971 م)

تأليف : د. سيف محمد بن عبود البدواوي

الطبعة الأولى 1430هـ – 2009 م

23 –سياسة بريطانيا التعليمية في إمارات الساحل (1953 م – 1971 م)

تأليف : عبد الله سليمان المغني النقبي

الطبعة الأولى 1430هـ – 2009 م

24 –ومضات من المسرح الإماراتي (رؤية الواقع والحلم)

تأليف : الدكتور هيثم يحيى الخواجة

الطبعة الأولى 1431هـ – 2010 م

25 - **الإتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عمُان وبريطانيا (1806 م ــ 1971 م)**

تأليف علي محمد راشد

الطبعة الثالثة 2010 م

26 - **الإمامة الإباضية والاستعمار - دراسة حول الاستعمار البرتغالي للخليج العربي وإحياء الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة ومقومات المشروعية**

بلال موسى بلال العلي

الطبعة الأولى2010 م

27 - **منهج أبي شامة المقدسي في كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وذيله) (599 هـ - 665 هـ / 1203 م - 1267 م)**

د . سالم محمد بسيس الطنيجي

الطبعة الأولى2010 م

28 - **تواريخ من الخليج**

تأليف : خالد البسام

الطبعة الأولى 1431هـ. 2010م

29 - **النبرة الشعرية في القصيدة المطلقة العربية (قصيدة النثر)**

تأليف : الدكتور دريد يحيى الخواجة

الطبعة الأولى 2011م

30 - **الهنود في شرق إفريقيا البريطانية (كينيا) في الفترة من (1886 - 1963 م)**

تأليف : الدكتور أحمد محمد عبيد بن بطي الشامسي

الطبعة الأولى 2011 م

31 - **أدب الرسائل في العهد النبوي دراسة في الشكل والمضمون**

تأليف : زيدان عز الدين عللوه

الطبعة الأولى 2011 م

32 - **الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر**

تأليف : د . أحمد محمد عبيد بطي الشامسي

الطبعة الأولى 1991 م . الطبعة الثانية 2013 م .

ثانياً : سلسلة الندوات التاريخية .

1 – أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى

(الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق آفريقيا)

إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 1988 م – الطبعة الثانية : 2001 م

2 – أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية

(الصلات التاريخية بين الخليج العربي و الدولة العثمانية)

إعداد : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 2001 م

3 – أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية الثالثة

(العلاقات التاريخية بين الخليج العربي و شبة القارة الهندية)

إعداد : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 2001 م

4 – أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية الرابعة (ندوة جزر السلام)

إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2001 م

5 – أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية الخامسة (المؤتمر العالمي السادس لتاريخ العلوم عند العرب)

إعداد : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 2004 م

6 – أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية السادسة

(العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وبلدان آسيا الوسطى والقوقاز)

إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2006 م

ثالثاً : أدب التراجم

1 ـ صقر رجل الفكر والعلم

إعداد : ليلى يوسف حداد

الطبعة الأولى : 2009 م

رابعاً : سلسلة كتب الأطفال

1 ـ مغامرات أحمد بن ماجد (الجزء الأول) جلفار وأسود البحر

تأليف : مصطفى عزت هبرة

الطبعة الأولى : 1998 م

2 ـ حكاية صندوق

تأليف : د . هيثم يحيى الخواجة

الطبعة الأولى : 2011 م

خامساً : سلسلة الإبداع الأدبي

1 ـ مسارات الضوء وعناقيد الحب ـ شعر

تأليف : رهف المبارك

الطبعة الأولى : 2010 م

2 ـ مرافئ الكلمات (أبيات في بحار التأملات)

تأليف : سالم سيف الجابر

الطبعة الأولى : 2010 م

3 – **جنازة حب وأشياء أخرى**

تأليف : عبد الله محمد السبب

الطبعة الأولى : 2011 م

4 – **مع سجع الكهنة**

تأليف : سالم سيف الجابر

الطبعة الأولى : 2011 م



مطبعة رأس الخيمة الوطنية
R.A.K. National Printing Press
sales@rakpress.com
+971 7 228 11 70